معالم الإيمان في تفسير القرآن

الجزء السابع والثلاثون

سورة البقرة الآيات (٢٠٦-٢١٠)

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح الطائي

استاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله لعظيم قدرته وسعة سلطانه ودوام رأفته، وقرب رحمته من الناس، قال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]،

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الذين أذهب عنهم الرجس .

الحمد لله ملأ السماوات والأرض حمداً كثيراً دائماً متجدداً كل ساعة من ساعات النهار والليل.

الحمد لله الذي جعل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2]، وحينما صلى النبي صلاة الفريضة في أحد الأيام، قال رجل : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته(مَنْ ذَا الَّذِي قَالَ هَذَا، قَالَ الرَّجُلُ أَنَا وَمَا أَرَدْتُ إِلاَّ الْخَيْرَ. فَقَالَ : لَقَدْ فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَمَا نَهْنَهَهَا شَيْءٌ دُونَ الْعَرْشِ[3].

الحمد لله الذي أنعم علينا بهذا السفر المبارك في تفسير القرآن، وكل آية منه خزينة للعلوم، تستقرأ منها شذرات معدودة لتبقى

---

(١) سورة الأعراف ٥٦.

(٢)سورة النجم ٣-٤.

(٣) سنن ابن ماجة ٣٩٣/١١.

تدعو العلماء لإستنباط الأحكام وضروب الحكمة العلمية بمعرفة تداخل الأسباب والمسببات والعلة والمعلول، وسنن الشريعة ونحوها ، والحكمة العملية وهي التصرف الملائم والتدبر الحسن ووضع الأشياء في مواضعها وفي الوقت والأوان المناسب ، قال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾(١).

وجاء هذا الجزء وهو السادس والثلاثون من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) في تفسير الآيات (٢٠٦-٢١٠) سورة البقرة .

إذ يبدأ بتفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (٢)، لبيان خصال المنافقين المذمومة، وتوجه الإنذارات والدعوة لهم للتوبة والإنابة، فحينما يفسد ويظلم المنافق لن يترك وشأنه بل يقوم المؤمنون بتذكيره بلزوم تقوى الله، ونبذ الفساد الذي هو قبيح ذاتاً وأثراً.

وبينت الآية إصراراً من المنافق على الإثم والتعدي، وعدم إستجابته للإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأختتمت الآية أعلاه بقوله تعالى ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

وهل تقول الآية أعلاه للمنافق والكافر (اتق الله) الجواب نعم، لذا فمن الإعجاز في وجوب تلاوة آية البحث في الصلاة توالي وتعاقب الإنذارات للمنافقين في ذات الآية، ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن المنافقين يحضرون الصلاة ويسمعون تلاوة الإمام في الصلاة الجهرية، كما أنهم يقومون بالتلاوة في الصلاة فراداً ، وفيه حجة عليهم، وهل من

---

(١) سورة البقرة ٢٦٩.

(٢) سورة البقرة ٢٠٦.

مصداق للإمتثال لآية البحث من قبل الذين تذمهم الآية، الجواب نعم، وكم من منافق تاب وأصلح نفسه وعمله، وصار ممن يوافق باطنهم ظاهرهم الإيماني .

ومن الإعجاز في آية البحث أن عامة المسلمين والمسلمات ينتفعون منها، من جهات :

الأولى : الدعوة إلى تقوى الله.

الثانية : تعاهد مراتب وسنن تقوى الله.

الثالثة : إتخاذ الأمر بالتقوى مصداقاً للأمر بالمعروف، قال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

ومن الإعجاز في آية البحث أن تلاوتها والإحتجاج بها دعوة إلى الخير، وأمر بالمعروف، والصلاح، ونهي عن منكر وفساد وضلالة.

وأختتمت الآية بالتذكير بالأخرة ومنازل الناس فيها وأن الذي يصر على الكفر والنفاق ، يكون مصيره الخلود في الجحيم الحاطمة.

وأختتم هذا الجزء بقوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾[2].

وهذه الآية مع قلة كلماتها ورد فيها اسم الله ثلاث مرات وفيها إحتجاج على المشركين وتخويف لهم من العذاب يوم القيامة، وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) سورة البقرة ٢١٠.

إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً بالملائكة ، وذلك قوله { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام }[١].

وفي قراءة أبي بن كعب (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام) قال : يأتي الملائكة في ظلل من الغمام ، وهو كقوله { يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً }[٢].

فمن الإعجاز الذاتي للقرآن ذكره ليوم القيامة بلسان التخويف والوعيد، ليكون حجة يوم القيامة على الذين كفروا، ويتعذر عليهم الإعتذار.

وفيه دعوة للمسلمين عامة والعلماء خاصة لإتخاذ الموعظة دعوة إلى الله، وبيان أهوال يوم القيامة ولزوم الإحتراز منها بالإيمان والعمل الصالح قال تعالى﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣].

---

(١) الدر المنثور ٤٨٤/١.

(٢) الدر المنثور ٤٨٤/١ .

(٣) سورة فاطر ٢٨.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ **الآية ٢٠٦**

الاعراب واللغة

الواو : حرف عطف.

وإذا قيل له: إذا: ظرف للزمان المستقبل يتضمن معنى الشرط في محل نصب متعلق بالفعل(أخذته)، قيل: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح، ونائب الفاعل هو القائل.

وهو أعم من الإختصاص والإنحصار.

له: جار ومجرور متعلقان بالفعل(قيل).

إتق الله: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر يراد منه الشخص المخاطَب وتقديره أنت.

ولفظ الجلالة مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهره على آخره.

أخذته العزة: أخذ: فعل ماض مبني على الفتح، والتاء تاء التأنيث. الساكنة :الهاء : ضمير مفعول به.

العزة: فاعل مرفوع وعلامة رفعة الضمة الظاهرة على آخره.

بالإثم :جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في (أخذته) وتقديره: متلبساً بالإثم، وجملة (أخذته العزة) لا محل لها جواب شرط غير جازم.

فحسبه جهنم: الفاء للترتيب والإستئناف : حسبه: حسب: خبر مقدم مرفوع وهو مضاف، والهاء: ضمير في محل جر مضاف اليه،

جهنم: مبتدأ مؤخر .

وقيل : الفاء إستئنافية و(حسب) مبتدأ مرفوع، و(جهنم) خبر مرفوع، ولا تعارض بينهما، والأول أرجح.

ولبئس : الواو : حرف عطف ، ولعلها للحال كما في قولك: أخرجت زكاة الفطرة والهلال موجود، اللام: قالوا انها واقعة في جواب قسم محذوف ، أي والله، والظاهر انها مرادفة "مع" كما في قول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً:

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً[(١)]

أي مع كثرة وطول اجتماعنا.

بئس: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمهاد: الفراش ومنه مهد الصبي: أي الموضع الذي يهيأ لنومه.

وفي الآية مجاز عقلي وهو ان الكفار بسوء فعلهم وتصديهم للتعدي والظلم يهيئون لأنفسهم موضعاً في جهنم ويوطئون للخلود في العذاب فكأنهم يذهبون اليها بارادتهم وكسبهم ولكن لا يشعرون، وبذا يمكن أن نقول بأن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما هي اعمالكم ترد اليكم) [(٢)] ، في أحد وجوهه بيان وتفسير لهذه الآية وانه ترجمان لها في الإنذار وتجديد الوعيد للمنافقين.

في سياق الآيات

بعد ان جاءت الآيتان السابقتان في إظهار سجايا المنافق والضرر الذي يحدثه، جاءت هذه الآية لبيان إصراره على الفجور والمنكر وعناده وعدم قبوله النصيحة والوعظ.

---

(١) الكامل في التأريخ ٣٧٢/١.

(٢) حلية الأولياء ١٢٦/٥.

الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا...﴾[1]، وفيها مسائل:

الأولى : يتعلق موضوع كل من الآيتين بالمنافق وخصاله المذمومة.

الثانية : إبتدأت كل من الآيتين بحرف العطف (الواو) وصيغة الشرط (واذا).

الثالثة : التباين في معنى الشرط في الآيتين، مع الإتحاد في الغايات، في رمي المنافق بالوهن، وأثره وأذاه بالضعف لما في لغة الشرط من التعليق في الفعل في قوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ فقد يحجب المنافق عن التولية والإمارة ، وكل من آية البحث والسياق من أسباب حجبه عنها، بينما جاء الشرط في آية البحث بصيغة تحقق الحدوث لمجئ جواب الشرط بصيغة العزم والفعل بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ وفيه مصداق للقانون الذي يتجلى في قوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾[2].

الرابعة : تتجلى موضوعية نظم وترتيب آيات القرآن التوقيفي بأن يتوجه الوعظ والإنذار للمنافق بتقوى الله في آية البحث ومجيئها بعد آية السياق التي تخبر عن إفساد المنافق في الأرض حال توليته ليكون من ثمرات البيان في هذا الترتيب أن الأمر والطلب بتقوى الله يتوجه إلى المنافق حتى وهو في مقام الأمرة والسلطنة ونالها بالمكر أو الوراثة أو الإستحواذ أو الإستيلاء بالقوة أو بالكلام الحسن الذي أعجب الناس وجعلهم يميلون إليه ويصير فريق منهم أتباعاً له، وجيشاً لوصوله إلى الكرسي والأمرة .

---

(١) سورة البقرة ٢٠٥.

(٢) سورة آل عمران ١١١.

وحينما يكتشفون أمره وحاله يقولون له(اتق الله) أي ما على الفساد أو إتلاف الحرث والنسل إتبعناك، ولكنه بدل أن ينصت لهم يصر على قبيح فعله.

الخامسة : جاءت كل من الآيتين بصيغة المفرد (واذا تولى سعى) (وإذا قيل له) لبيان الجنس من صيغة المفرد، وفيه نكتة من وجوه:

الأول : إتحاد القول والفعل من المنافقين.

الثاني : التخفيف عن المسلمين ببيان الخصال والصفات العامة الظاهرة للمنافقين.

الثالث : تحذير الناس من صفات النفاق، ودعوتهم للتنزه عنها.

الرابع : بيان حقيقة وهي تقلب الأيام وتغير الحال وتبدل السلطات ومن المحال ثبات الحال، قال تعالى﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (1)، لتأتي آية البحث لحجب بلوغ المنافق مقامات التولية.

السادسة : جاء فعل الشرط في آية السياق بصيغة البناء للمعلوم، والإخبار عن فعل للمنافق وتوليه، وجاء جواب الشرط بفعل آخر قبيح وهو الإفساد، فيكون فعل الشرط مقدمة وعلة لجوابه، فلا يتحقق مضمون الجواب إلا بتحقق فعل الشرط، وهل هو مثل قولك: إذا طلعت الشمس فالنهار موجود) الجواب لا، لأن المنافق مختار في فعله، وقد يبادر إلى التوبة والإنابة قبل أو بعد التولية، وهو من الغايات الحميدة لهذه الآيات إذ أنها تدعو المنافق في كل آن إلى التوبة والإنابة.

---

(1) سورة آل عمران ١٤٠.

وورد فعل الشرط في آية البحث بصيغة المبني للمجهول والموجه إلى المنافق وليس صادراً منه ، وورد جواب الشرط قولاً للمنافق ورداً على فعله.

والجمع والتفريق في لغة الشرط في آية البحث والسياق مدرسة في علم الأصول في فعل الشرط ومفهومه.

السابعة : تعددت أفراد جواب الشرط في آية السياق، فعندما يصل المنافق إلى مرتبة التولية يقوم بفعل قبيح من وجوه:

الأول : الإفساد في الأرض.

الثاني : إتلاف الأموال والزراعات وتعطيل التجارات.

الثالث : هلاك الدواب بالنقص في المراعي، وقلة العناية بها، والحاجة إلى أكلها وإتخاذها غذاء والنقص في الولادات والتكاثر.

أما جواب الشرط في آية البحث فتمثل بإصرار المنافق على الإثم والفساد وما يجلب الضرر العاجل للناس في معاشاتهم ، والضرر النوعي لنفسه وبما يشمل الدنيا والآخرة.

الثامنة : أختتمت آية السياق بالإخبار عن كره الله عز وجل للفساد ذاتاً، وأختتمت آية البحث بالوعيد للمنافق﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1]، في إنذار بعلم الله عز وجل بكل ما يفعله المنافق، وأن إصراره على الفساد والإفساد يسوقه إلى النار.

---

(1) سورة البقرة ٢٠٦.

الثاني :صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾[١]، وفيها مسائل:

الأولى : آية البحث معطوفة على آية السياق، ومتحدة معها في الموضوع، فكلاهما في نعت وذم المنافق.

الثانية : أخبرت آية السياق عن إعجاب ورضا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قول المنافق بخصوص الحياة الدنيا، وجاءت آية السياق لفضح المنافق بإعراضه عن الدعوة لتقوى الله.

الثالثة: لو دار الأمر بين حسن القول بالحياة الدنيا أو عدمه، وبين تلقي الأمر بتقوى الله بالقبول، فان الثاني هو المقدم والواجب.

الرابعة : حينما أشارت آية السياق إلى كذب وزيف قول المنافق في الحياة الدنيا، جاءت آية البحث بكشف هذا الزيف وفضح مراءاته بأن يقال له اتق الله فيغضب ويصر على الباطل وإرادة الفساد.

الخامسة : إشهاد الإنسان الله عز وجل على ما في قلبه أمارة أولية على إيمانه، ولكن المنافق يفضح نفسه بسعيه في الفساد وإمتناعه عن تلقي الأمر بتقوى الله بالقبول.

السادسة : في الجمع بين الآيتين ترغيب بالإيمان ودعوة للمنافقين للتوبة والإنابة، فحينما يسمع المنافق كلاً من آية السياق والبحث فانه قد يحرص على عدم الإصرار على الإثم حين دعوته لتقوى الله، وأن يراجع ما في قلبه ويخشى طيه على الكره والبغض للمسلمين لأن آية السياق فضحته وأخبرت عن كونه ألد الخصام، وجاءت آية البحث لتبين

---

[١] سورة البقرة ٢٠٤ .

صيغة لتاكيد نفاقه باصراره على الباطل عندما يقال له اتق الله، فيبغض الإقامة على الإثم، ليكون من إعجاز الجمع بين الآيتين مسائل:

الأولى : الدعوة إلى الصلاح في القول والعمل.

الثانية : الهداية إلى سبل التوبة ، وهذه الهداية لا تنحصر بالمنافق بل هي عامة.

الثالثة : حرص الناس على إجتناب أمور:

الأول : إرادة التغرير بالمسلمين بالقول الجميل بخصوص الحياة الدنيا لأن الله عز وجل جعل هذا التغرير سالبة بانتفاء الموضوع بنزول هذه الآيات المباركات.

الثاني : بغض المسلمين، والتثاقل في أداء العبادات، قال تعالى في ذم المنافقين﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾[1].

الثالث : إشهاد الله على صدق النوايا أزاء المسلمين إذا كانت تلك النوايا تتصف بالخصومة والحسد للمسلمين.

الرابع : دعوى إشهاد الله على أمر غير صحيح وغير تام، لإفادة آية السياق حقيقة وهي عدم رضا الله على إشهاده على أمر غير موجود في قلب الذي يجعل الله شاهداً عليه وأنه ممتلئ بضد ما يحبه الله.

الخامس : الغضب والتعدي عند سماع الأمر بتقوى الله.

السادس : الطرق المؤدية إلى جهنم ومنها النفاق.

---

(1) سورة النساء ١٤٢.

السابع : أختتمت آية السياق بنعت المنافق بأنه (ألد الخصام) وأختتمت آية البحث بالإخبار عن سوء عاقبته وإقامته الدائمة في نار جهنم، وفي الجمع بين الخاتمتين وجوه:

الأول : الإنذار من العداوة للمسلمين.

الثاني : إدراك الناس لحقيقة وهي علم الله عز وجل بما في قلوب العباد، وفي التنزيل ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[1].

الثالث : غضب الله عز وجل على الذي يشهده على أمر يريد به الإضرار بالمسلمين والناس.

الرابع: الملازمة بين خصومة وعداوة الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والخلود في النار، وكأنها من العلة والمعلول، والسبب والنتيجة.

الخامس: الجمع بين خاتمتي الآيتين بلاغ وإنذار للناس، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

السادس : إمهال الله عز وجل للمنافق في الدنيا، حتى إذا قامت الساعة كان مصيره إلى النار جزاءً وعقوبة.

السابع : بعث السكينة في نفوس المسلمين، ودعوتهم للصبر في تلقيهم الأذى من المنافق وهذا الموضوع من عمومات قوله

---

(1) سورة الأنعام ٣.

(2) سورة الأنبياء ١٠٧ .

تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]، لتبين الآية أعلاه أن الصلاة كبيرة وثقيلة على المنافق لخلو قلبه من الخشوع، أو غلبة الحسد والعداوة للمسلمين على الخشوع.

فجاءت كل من آية البحث والسياق والآية أعلاه لإزاحة الخصومة والحقد والبغضاء والنفاق عن قلبه، وهل الصلاة حرب على النفاق الجواب نعم وكذا الصيام والزكاة والحج والإستغفار والدعاء، فاذا كان النفاق داءً متحداً فان سبل الوقاية منه وعلاجه تفوق الاحصاء كماً وكيفاً، وموضوعاً وحكماً.

الثامن : البشارة للمسلمين بالنجاة من النار، لأن الله عز وجل يجازيهم بعدم إجتماعهم الدائم في مقام هم وأعداء الله ورسوله، الذين يضمرون لهم البغضاء والخصومة الشديدة لا لشئ إلا لأنهم آمنوا بالله والنبوة والكتاب وأحسنوا إسلامهم، وثبتوا على الإيمان، ولم يضعف إيمانهم أهل النفاق وعداوتهم الظاهرة والخفية.

التاسع : تحذير المسلمين والناس من إتباع المنافقين في إتباع نهجهم كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾[2][3] وكما جاء

---

(1) سورة البقرة ٤٥ .

(2) سورة آل عمران ١٥٦.

(3) أنظر الجزء الثلاثين بعد المائة من هذا السفر والذي ورد خاصاً بتفسير هذه الآية .

قوله تعالى ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [1] فان آية البحث والآية أعلاه تحذران من إتباع خطوات المنافقين .

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ...﴾ [2]، وفيها مسائل :

الأولى : جاءت آية البحث بصيغة الجملة الشرطية ويتعلق موضوعها بالمنافق وإصراره على الإثم مع توجه الدعوة له بتقوى الله، وجاءت آية السياق بصيغة الجملة الإنشائية والخطاب للمسلمين وموضوعها أداء مناسك الحج.

الثانية : إبتدأت آية البحث بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ وتحتمل مضامين آية السياق بلحاق هذا القول وجوهاً:

الأول : ذكر المسلمين لله عز وجل من صيغ دعوة المنافق لتقوى الله.

الثاني : أداء المسلمين لمناسك الحج دعوة للمنافق بالتقوى خصوصاً وان وجوبه عام شامل للناس جميعاً، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً..﴾ [3] .

ولكن الكفار حجبوا عن أنفسهم نعمة الإستجابة لأمر الله بالحج، والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار.

الثالث : عمل المسلمين بالرخصة في التقدم والتأخر في الطواف والنفر من التقوى وتلقي السعة والمندوحة في الحكم بالقبول والإمتثال،

---

(1) سورة البقرة ١٦٨.

(2) سورة البقرة ٢٠٣ .

(3) سورة آل عمران ٩٧.

وفيه حجة على المنافق الذي يتغشاه الكسل عند طرو أسباب أداء الفعل العبادي.

الرابع: تقوى المؤمنين حجة على المنافق ودعوة له للخشية من الله، ولزوم محاكاتهم في إخلاص النية في أداء العبادات وإقترانه بقصد القربة، صحيح أن ذكر المسلمين لله وأدائهم المناسك موضوع مختلف عن دعوة المنافق للتقوى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾[1]، ولكنه درس في التقوى يقتبس منه المنافق الموعظة طوعاً أو قهراً.

وعيش المنافق بين ظهراني المسلمين وإظهاره الإيمان مع ما فيه من الضرر على المسلمين مناسبة لإكتسابه المعارف من المسلمين وتدبره في المعجزات، وكما في الأسير من الكفار الذي قد يصبح عبداً عند المسلمين فان هذا الرق سبب للسلامة من أذاه، ووسيلة يومية متجددة للتزود بالعلوم وصيغ التقوى من المسلمين، لذا ترى محو وزوال ظاهرة العبيد في الإسلام وإنصهارهم بين المسلمين وفي قبائلهم.

فبعد أن كان العبد يسمى مولى آل فلان وتعلق هذا العنوان بابنائه الصلبيين واحفاده تراه زال في هذا الزمان وكأنهم إنتسبوا حقيقة إلى قبائل مخصوصة أو صاروا بذاتهم بيوتات معروفة في باب العلم والفقه أو التجارة والسياسة.

ويحكي نظام وحكم المماليك في العراق ومصر وغيرها مدرسة في بناء صرح الإسلام وأولوية الإيمان والتقوى فذات الشخص المملوك يصبح والياً وأميراً وقائداً، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]، وكذا المنافقون فان آيات وسنن التقوى تتوجه لهم كل يوم تدعوهم لنبذ

---

(١) سورة البقرة ٢٠٤.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

النفاق وطرد الكفر من قلوبهم.

الثالثة : يقال للمنافق(اتق الله) وتضمنت آية السياق الأمر للمسلمين (واتقوا الله) فمع أداء المسلمين المناسك وتعقبها بذكر الله، وكل فرد منها من مصاديق التقوى فان الله يأمرهم بالخشية منه، وفيه حجة على المنافق، وجذب له لمنازل التوبة وتطهير الجوانح من دنس النفاق.

وهل يشمل الخطاب(واتقوا الله) في آية السياق المنافق أم أنه يخرج بالتخصص أو التخصيص من الخطاب، الجواب هو الأول بلحاظ أنه مسلم ظاهراً بالإضافة إلى مجئ القرآن بأمر الناس جميعاً بالتقوى ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1].

الرابعة : أختتمت آية البحث بذم وإنذار المنافق بقوله تعالى ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وأختتمت آية السياق بالخطاب للمسلمين ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وفيه وعد كريم وبعث للسكينة في نفوس المسلمين.

والإخبار عن الحشر مطلق ولا يدل بذاته على الوعد وبعث الطمأنينة، ولكنه جاء هنا الإخبار بعدما ذكرت الآية أموراً وهي:

الأول : الأمر للمسلمين بذكر الله في أيام مخصوصة.

الثاني : الرخصة للمسلمين في تقديم وتأخير بعض مناسك الحج.

الثالث : الشهادة للمسلمين بالتقوى.

الرابع : الأمر للمسلمين بالخشية من الله.

الخامسة : من دلالات الجمع بين خاتمتي آية البحث والسياق، هو إخبار المسلمين عن سوء عاقبة المنافق وإقامته الدائمة في النار.

---

(١) سورة النساء ١.

السادسة : أخبرت آية السياق عن حشر المسلمين يوم القيامة بصبغة الأمن والبشارة بذكرهم لله وبتقواهم وأدائهم الفرائض بينما يحشر المنافق والنار تنتظره.

الشعبة الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه:

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ...﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : يتعلق موضوع آية البحث بالمنافق، وبيان إستحقاقه للذم وتخلفه عن وظائفه العبادية، بينما تضمنت آية السياق الثناء على المؤمن الذي أخلص في إسلامه.

الثانية : كل من الآيتين تتعلق بفريق من الناس مع التباين والتضاد بينهما، ومن خصائص ذكر المتضادين في العقيدة والفعل جذب الناس إلى منازل الإيمان، وبعث النفرة في نفوسهم من النفاق وخصاله.

الثالثة : الجمع بين الآيتين مدرسة تأديبية للناس جميعاً في أجيالهم المتعاقبة، فمن منافعه ثبات قلب المؤمن في مقامات الإيمان، ودعوة الكافر للتخلي عن الكفر.

الرابعة : حصانة المؤمن من النفاق، فمن إعجاز القرآن عدم الخشية من إفتتان المؤمن بالمنافق وخصاله، إذ ورد ذكرها بصيغة الذم الذي يؤدي إلى نفرة النفوس منها، فلا أحد يحب الفساد والإصرار على الفسوق والإثم ، قال تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧.

قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (١).

الخامسة : جعل المؤمن يشكر الله على نعمة الإيمان وأنه إذا قيل له إتق الله إستجاب وخشعت جوانحه وأركانه.

وهل يمكن القول أن الطلب من الإنسان بتقوى الله يكشف عن سنخيته وما يضمره في نفسه، الجواب نعم، ولكن الرد الكاشف في المقام أعم من أن يكون فورياً.

السادسة : ذكرت الآيتان فريقين من الناس وبينهما مراتب وبرزخ في خصال طوائف أخرى.

السابعة : هل يعني الجمع بين الآيتين إرادة صيرورة المنافق بمرتبة المؤمن المذكورة صفاته في آية السياق على نحو الحصر ، الجواب لا، فالقدر المتيقن من الجمع بينهما دعوة المنافق لإصلاح سريرته والتنزه عن النفاق، ومن خصائص آية السياق أنها تجذب المنافق والكافر والفاسق إلى سبل التوبة، وقد ينتقل بعضهم إلى منازل آية السياق دفعة واحدة أو بالتدريج لذا أختتمت آية السياق بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فمن رأفته سبحانه في المقام دعوة المنافق إلى الإقلاع عن الفساد، وإلى تلقي الأمر بالتقوى بالقبول والإستجابة والتوبة النصوح ،وفي التنزيل ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (٢).

الثامنة : من أسرار تعقب آية السياق، وما فيها من الثناء على المؤمنين، بثلاث آيات متتاليات تتضمن صفات المنافق وعزمه على الفساد وجوه:

---

(١) سورة الحجرات ٧.

(٢) سورة المائدة ٣٩.

الأول : أنه باعث للمسلمين للجهاد في سبيل الله.

الثاني : فيه منع وحيلولة دون تولي وسلطنة المنافق ، قال تعالى ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[1].

الثالث : تثبيت الكراهية من النفاق في نفوس الناس جميعاً.

الرابع : الترغيب بالإيمان، وبيان حسنه الذاتي والعرضي .

التاسعة : ذكرت آية البحث اسم الجلالة مرة واحدة، وذكرته آية السياق مرتين، وفيه تذكير بلزوم عبادة الله، والإمتناع عن معصيته، وجاءت آية البحث بصيغة الجملة الشرطية ، وجاءت آية السياق بصيغة الجملة الخبرية لبيان أمرين وهما:

الأول : تزلزل النفاق وتولي المنافق على نحو الشرط والإحتمال.

الثاني : ثبات الإيمان في نفوس المسلمين وتحليهم بأبهى سنن التقوى والنفر في طاعة الله.

العاشرة : بعد ثلاث آيات تتعلق بخصال المنافق وذمه جاءت آية السياق وهي تتضمن الثناء على المؤمن الذي فوض أمره إلى الله عز وجل، وفيه بعث للفزع والخوف في قلب المنافق، وإنذار له من المؤمنين وعزمهم على محاربة وإستئصال النفاق، وفيه رحمة بالمنافق لأنهم يساعدون في نجاته من الخلود في الجحيم، وهو من مصاديق خاتمة آية السياق﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ بلحاظ أن بلوغ المؤمنين درجات التقوى وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فضل الله عليهم وعلى الناس جميعاً ومنهم المنافقون.

الحادية عشرة : من شراء النفس إبتغاء مرضاة الله والذي ذكرته آية

---

[1] سورة النساء ١٠٢.

السياق بالقول للمنافق(اتق الله) خصوصاً عندما يصير المنافق في مقام الولاية وإتخاذ القرار.

الثانية عشرة : أختتمت آية السياق بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ وفيه بلحاظ آية البحث أمور :

الأول : من رأفة الله وجود مؤمنين يدعون إلى تقوى الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

الثاني : عدم ترك المنافق وشأنه بل تتوجه له أسباب الهداية الخاصة بدعوته للتوبة والإنابة وإستحضار ذكر الله إلى جانب سبل الهداية العامة، قال تعالى﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾[1].

الثالث : فضح المنافق في إصراره على الفساد وإرادة الإضرار بالمسلمين والناس عامة.

الرابع : تحذير المسلمين والناس من النفاق ، قال تعالى﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[2].

الخامس : إقامة الحجة بالإخبار عن عاقبة النفاق وأن مصير المنافق إلى النار.

السادس : بيان شدة العذاب بالخلود في الجحيم والذي ينتظر المنافق.

الثاني : صلة هذه بقوله تعالى﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ

---

(١) سورة فصلت ٥٣.

(٢) سورة آل عمران ٢٨.

كَافَّةً...﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : تتصف آية السياق بأمور:

الأول : وردت الآية بصيغة الجملة الإنشائية.

الثاني : إنها خطاب للمسلمين والمسلمات وأجيالهم المتعاقبة إلى يوم القيامة.

الثالث : تتضمن الآية معنى المدح والثناء على المسلمين للشهادة لهم من الله بالإيمان ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتتصف آية البحث بأمور :

الأول : صيغة الآية خبرية وإعلان عن حال وخصال المنافقين المذمومة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [2].

الثاني : جاءت الآية بلغة الشرط (إذا قيل).

الثالث : وردت الآية بلغة المفرد (قيل له) وإرادة جنس المنافقين.

الرابع : أختتمت آية البحث بلغة الوعيد والتخويف للمنافق.

الثانية : شمول المنافق بمضامين آية السياق بلزوم دخوله في السلم بلحاظ كبرى كلية وهي نطقه بالشهادتين وإسلامه الظاهر، ليكون من معاني ودلالات آية السياق دعوة المنافقين للتنزه من النفاق، لأن دخول المنافق في السلم من تقوى الله، وسلامة من الإقامة على الإثم والرضا به.

---

(1) سورة البقرة ٢٠٨.

(2) سورة النحل ٨٩.

الثالثة : دخول المسلمين والمسلمات في السلم ونبذ العنف والأذى دعوة يومية متجددة للمنافق للإمتناع عن الفساد والإضرار بالناس وممتلكاتهم ، ليكون هذا الدخول من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرابعة : تضمنت آية السياق أمراً ونهياً متوجهين إلى جميع المسلمين، وكل واحد منهما إنحلالي يتوجه إلى كل مسلم ومسلمة على نحو الإستقلال إلى جانب خطاب الجمع، أي أن تفريق الخطاب بحسب عدد المسلمين لا يتعارض مع تلقي نصيبه من الخطاب العام فهو في طوله ومن خصائص هذا المعنى أن نهج وعمل المسلمين العام عون ومدد للفرد منهم وكذا العكس فان دخول الفرد منهم في السلم عون للجماعة والطائفة منهم في العمل بذات النهج المبارك، خصوصاً إذا كان الفرد ذا شأن ومقام .

بينما تشير آية البحث أن المنافق إذا بلغ مراتب الولاية والشأن أهلك الحرث والنسل واصر على الإثم، ولم يلتفت إلى وجوب العدل والإنصاف، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1].

الخامسة : إذا كان المنافق مشمولاً بالخطاب والأمر الوارد في آية السياق بالدخول في السلم ففيه وجوه:

الأول : الأمر بالدخول في السلم مصاديق القول للمنافق(اتق الله).

الثاني : إنه رشحة ونتيجة لهذا الأمر فحينما يؤمر المسلمون بالدخول في السلم ويعلمون أن هذا الأمر يتغشاهم جميعاً بدليل لفظ(كافة) فيتوجه للمنافق بالدعوة إلى تقوى الله، لذا جاءت آية البحث بصيغة البناء للمجهول(واذا قيل له) لإفادة معنى التعدد في القول.

---

(١) سورة النحل ٩٠.

الثالث : لا صلة للخطاب في آية السياق بدعوة المنافق إلى تقوى الله.

الرابع : الدخول في السلم من مصاديق تقوى الله، وتقدير الآية: وإذا قيل له أدخل في السلم أخذته العزة بالإثم.

وباستثناء الوجه الثالث فان الوجوه الأخرى مصاديق لآية البحث وحث للمنافق للتوبة ولإصلاح نفسه بالخشية من الله، ونجاة الناس من شر يده ولسانه.

السادسة : تضمنت آية السياق النهي العام للمسلمين عن إتباع خطوات وخطرات الشيطان، ومن هذا الإتباع المذموم بلحاظ آية البحث والآيتين السابقتين وجوه:

الأول : الإفتراء على الله باشهاده على أمر غير موجود في القلب، بل الموجود في قلب المنافق هو الكفر وهو ضد ونقيض الإيمان الذي يعلن المنافق إشهاد الله عليه.

الثاني : شدة خصومة المنافق للمسلمين لقوله تعالى في نعته ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

الثالث : سعي المنافق للإفساد في الأرض عندما يتولى، قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1].

الرابع : قيام المنافق بإتلاف المزروعات وتعطيل التجارات ، لبيان قانون وهو شدة ضرر المنافق ، وأن أذاه لا ينحصر باخفاء الكفر بل يترشح عنه من الحسد والبغض والعداوة ، وهو من أسرار شدة ذم النفاق والمنافقين في القرآن وسوء عاقبتهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ

---

(١) سورة الأعراف ٥٦.

الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ﴾[1].

الخامس : إشاعة المنافق القتل والخراب إذا تهيئت له أسبابه وأمن من العقاب العاجل، ولم يعلم أنه يخلد في العذاب الشديد يوم القيامة.

السادس : صدود المنافق عن الدعوة إلى تقوى الله، سواء تتوجه له على نحو الخصوص أم هي عامة.

السابع : سعي المنافق إلى اللبث الدائم في النار، وهذا الذي يريده له الشيطان لعداوته للناس.

السابعة : أختتمت آية السياق بالإخبار بأن الشيطان عدو مبين للناس جميعاً، أي أنه عدو لكل إنسان على نحو مستقل ومتحد مع غيره.

وأختتمت آية البحث بالوعيد للمنافق بالنار ليفيد الجمع بين خاتمتي الآيتين وجوهاً :

الأول : بيان فضل الله على المنافق بتحذير المنافق من عداوة الشيطان له، وتجلي هذه العداوة بالتلبس بالنفاق.

الثاني : من مصاديق شدة عداوة الشيطان للناس ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ سعيه لصيرورة من يصغى إلى وساوسه منافقاً يصر على الإثم ولا يستمع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعرض عن الدعوة إلى تقوى الله، وهذا الإصرار من عمومات ما ورد في التنزيل حكاية عن إبليس ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

الثالث : وسوسة الشيطان خفية ، وتتجلى أحياناً بغلبة النفس

---

(1) سورة النساء ١٤٥.

(2) سورة ص٢٨-٨٣.

الشهوية، وهي مذمومة أما الدعوة إلى تقوى الله فهي ظاهرة وتتصف بالحسن الذاتي والعرضي.

الرابع : يؤدي إتباع الشيطان إلى الإقامة في الجحيم، وهذه الإقامة مصداق لعداوته الشديدة للناس، أما طاعة الله بخصوص آية السياق في النهي عن إتباع الشيطان فان جزاءها دخول الجنة ، قال تعالى في الثناء على المؤمنين ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [1].

الخامس : تتضمن خاتمة آية السياق دعوة المنافق لهجران النفاق، وحثه على ترك الإنطواء على الكفر، والعزم على الإجهاز على أموال المسلمين.

الثامنة : مثلما تكون دعوة المنافق للتقوى (اتق الله) من الأمر بالدخول في السلم، فانه من مصاديق النهي عن إتباع خطوات الشيطان، فالتقوى والخشية من الله واقية من الشيطان، وشاهد في النشأتين على التنزه عن الإنصات للباطل ، وفيه ترغيب بالإستعانة ، وفي المرسل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام من الليل يقول : اللهم أني أعوذ بك من الشيطان الرجيم إلى من همزه ونفخه ونفثه) [2].

التاسعة : يفيد الجمع بين الآيتين عموم الإنذار والتحذير من إتباع خطوات الشيطان سواء إبتداءً أو إستدامة، ومن مصاديق هذا الإتباع الإقامة على المعصية والإصرار على الباطل، والعناد عند تلقي الأمر بتقوى الله.

---

(١) سورة النحل ٩٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١١١/١.

العاشرة : قد أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فامتثلوا إلا إبليس، قال تعالى ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، ليكون من خطوات الشيطان بلحاظ الآية أعلاه وجوه:

الأول : الإباء والإمتناع عن إتباع الحق.

الثاني : الإستكبار والغرور.

الثالث : الكفر والجحود.

وكل وجه من هذه الثلاثة من خطوات الشيطان التي ذكرتها آية السياق، فيكون المعنى دعوة المنافق لطاعة الله، مع بيان قبح الإستكبار ولزوم هجران الكفر والجحود.

الحادية عشرة : من عداوة الشيطان، للناس صدهم عن دعوة المنافق لتقوى الله وحثه على الخشية من الله، فجاءت آية البحث لطرد عداوة الشيطان، وجعله عاجراً عن التأثير على المسلمين والمسلمات لأنهم قائمون بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء العبادات.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : تتعلق آية البحث بالمنافق وإصراره على الباطل وسوء عاقبته، وجاءت آية السياق خطاباً للمسلمين وتأديباً لهم.

الثانية : جاءت كل من الآيتين بصيغة الجملة الشرطية مع التباين

---

(1) سورة ص ٧٣-٧٤ .

(2) سورة البقرة ٢٠٩.

الموضوعي، إذ تتضمن آية البحث الذم للمنافق وإقامة الحجة عليه، أما آية السياق فانها تتضمن تعليم المسلمين وهدايتهم إلى سبل الرشاد.

الثالثة : قد تزل قدم المؤمن ويرتكب الخطأ بعد تلقيه البيان وتدبره في الدلالات الباهرات التي تدل على لزوم التقوى والصلاح ،ولكنه يتدارك أمره ويتوب إلى الله، أما المنافق فانه يصر على الذنب وظلم النفس ويبُطن الكفر والجحود.

الرابعة : يفيد الجمع بين الآيتين دعوة المنافق للإقتداء بالمؤمنين بالإلتفات إلى الزلل في حال وقوعه، والتدارك بالتوبة والإنابة.

الخامسة : قوله تعالى في آية السياق ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ شامل للمسلمين والمسلمات، ومنهم المنافقون، لتكون آية السياق حجة إضافية على المنافق، وشاهداً على أن إخفائه الكفر ليس عن جهل وغفلة بل عن عناد وإستكبار، وتقدير الجمع بين الآيتين: أخذته العزة بالإثم من بعد ما جائتكم البينات.

السادسة : أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وفيه وجوه:

الأول : بعث السكينة في نفوس المؤمنين، وإنذار وتخويف المنافق والكافر.

الثاني : الإخبار بأن الله عز وجل هو الغالب ، وأن النفاق ينحسر من الأرض.

الثالث : من حكمة الله ترغيب المسلمين بأمر المنافق بتقوى الله، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

عَلَيْهِمْ﴾ [١].

الرابع : إخبار آية السياق بأن الله هو العزيز إنذار للمنافقين بأنهم لن يعجزوا الله، فلابد من وقوفهم بين يديه.

الخامس : وجود المنافقين بين ظهراني المسلمين من الإبتلاء في الحياة الدنيا، وهو سبب لنيل المسلمين الثواب العظيم بالصبر في طاعة الله.

إعجاز الآية

تقطع الآية الأمل من المنافق وتنذره بعذاب اليم وتبين ما يتصف به من الجحود والعناد والإستكبار وتدل في دلالتها التضمنية على اباحة نصيحة المنافق ووعظه وارشاده ولكن المدار على استجابته او عدمها وعلى كيفية رده، وتؤكد الآية الملازمة بين عدم التقوى ودخول النار.

والآية وثيقة سماوية تشهد على عناد وإستكبار المنافق، فحينما جاءت الآية قبل السابقة باشهاد المنافق الله عز وجل على ما في قلبه بأنه لا يضمر الكفر والشرك، جاءت هذه الآية بفضحه وإظهار ما في نفسه من الكفر والإستكبار والعناد، ليكون الناس على حذر ويأخذون الحائطة منه، فاذا قيل له اتق الله واجعل الخشية منه لباساً ورداءً لك أبى الإنصات وإعتز بما هو عليه من الإقامة على النفاق والتلبس به، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : خصلتان لا تجتمعان في منافق ، حسن سمت وفقه في الدين) [٢].

ولا يختص فضح المنافق بالذي يقول له اتق الله بل يفتضح عند المسلمين والناس جميعاً لأن هذه الآية صارت فيصلاً ومائزاً يعرف به

---

(١) سورة التحريم ٩.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٠٩.

المؤمن من المنافق، فاذا قيل للمؤمن إتق الله حرص على إجتناب معصيته، أما المنافق فانه يمتنع عن إصلاح سريرته ، وكأن النفاق إستقر في نفسه وصار ملازماً لها.

نعم جاءت الآية للتفكيك هذه الملازمة ودعوة المنافقين للتوبة والنجاة من العقاب الأليم الذي ينتظر الذي يظهر الإيمان وهو يبطن ويخفي الكفر.

تبعث الآية النفرة في النفس من النفاق لما يترشح عنه من الفساد والإفساد عندما تحين الفرصة وتتهئ أسباب الولاية ومن إعجاز نظم هذه الآية والآيتين السابقتين وجوه:

الأول : إختصاص الآيات الثلاثة بالمنافق.

الثاني : الإخبار عن قلة عدد المنافقين بصيغة المفرد في قوله تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [1] وكذا مجئ آية البحث بصيغة المفرد (قيل له).

الثالث : مجئ الدعوة إلى تقوى الله والإنذار للمنافق كما في هذه الآية بعد أن يعيث المنافق في الأرض فساداً وان كان معنى الآية السابقة أعم لأنها وردت بصيغة الجملة الشرطية فقد يتولى المنافق وقد لا يتولى ففي الحالتين تأخذه العزة بالإثم عند دعوته لتقوى الله والخشية منه.

الرابع : آية البحث هي الآية الثالثة التي تتعلق بالمنافق فاختتمت بتأكيد سوء عاقبة المنافق وأنها الخلود في النار، لبيان غنى الإسلام عن المنافق وجعله ينشغل بسوء عاقبته فيمتنع عن ظلم المسلمين، وفي هذا التأكيد دعوة للمسلمين للصبر ومواجهة أذى المنافق بالتقوى ودعوته إلى

---

(١) سورة البقرة ٢٠٤.

التوبة لأنها سبيل النجاة من العذاب الأليم يوم القيامة.

وتدل الآية بالدلالة التضمنية على سلامة الذي يأمر بالتقوى من بطش المنافق وان كان في مقام الولاية والسلطنة.

ويمكن تسمية هذه الآية آية (وإذا قيل له) ولم يرد لفظ ﴿قيل له﴾في القرآن إلا في آية البحث لبيان موضوعية إنذار المنافق وعدم تركه وشأنه وفيه مسائل :

الأولى : أداء المسلمين لوظائفهم الجهادية .

الثانية : تأكيد بقاء المسلمين في حال يقظة وفطنة .

الثالثة : بيان قانون وهو أن المنافق مفضوح ومعروف بين الناس .

الرابعة : لقد جعل الله عز وجل الدنيا دار الإنذار ، ويرد هذا الإنذار بالآيات الكونية وبعثة الأنبياء والكتب السماوية ، كما يرد بواسطة البشر فيما بينهم .

الخامسة : لزوم تحذير المنافق وبيان القبح الذاتي والعرضي للنفاق .

السادسة : من معاني زجر المنافق الوقاية من النفاق فاذا قال المسلم له إتق الله، فان المسلم يحرص على التقوى وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [1] فمن معاني وأفراد هذا الخروج في المقام وجوه :

الأول : تلاوة المسلمين لآية البحث .

الثاني : قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثالث : من عموم الناس الذين أخرج الله لهم المسلمين المنافق .

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

الرابع : بيان صفة من صفات وخصال المسلمين في خروجهم للناس بأن يأمروا بالتقوى .

الخامس : إقامة الحجة على المنافقين باصرارهم على الجحود ، وورد وصفهم بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [1].

الآية سلاح

في الآية تخفيف عن المؤمنين بالإخبار المسبق عن سوء رد المنافق، وبالوعيد الظاهر في الآية وعذاب النار الذي ينتظره.

تتجلى في الآية حقيقة وهي أن تقوى الله سلاح من وجوه:

الأول : التقوى شاهد على سلامة القلب من النفاق.

الثاني : إتخاذ المؤمنين الدعوة إلى التقوى للزجر عن النفاق.

الثالث : معرفة المنافق بالعناد والإستكبار عند تلقيه الدعوة إلى التقوى .

الرابع : حث الناس على التقوى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخامس: التوجه إلى المنافق بالدعوة والأمر بتقوى الله من الجهاد في سبيل الله، ومحاربة الفساد.

السادس : حصانة الذي يدعو إلى التقوى من آفة النفاق وعن زيد بن أسلم قال (تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية { قوا أنفسكم وأهليكم ناراً } فقالوا : يا رسول الله كيف نقي أهلنا ناراً؟ قال :

---

(1) سورة النساء ٦١.

تأمرونهم بما يحبه الله وتنهونهم عما يكره الله)[١].

السابع : نجاة المؤمن من عذاب جهنم لأنه يتلقى الأمر بالتقوى بالقبول والإمتثال، والتقوى أصل وخصلة يتصف بها الإنسان، وجاء قوله تعالى﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ رحمة بالمنافق ودعوة للمؤمن للإنتفاع من هذا الأمر، فحينما يعرض المنافق عن هذه الدعوة فان المسلمين يعملون بمضامينها، وفيه خزي للمنافق وعزل له، أي أن هذه الدعوة وإن توجهت إلى المنافق على نحو القضية الشخصية فانها لن تذهب سدى بل يتلقاها فريق من المؤمنين بالعمل وحسن السمت والخشية من الله ،وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

مفهوم الآية

تبين الآية موضوعية التنبيه والتحذير وان الوعظ لا ينحصر بالمؤمن خطاباً او غاية بل يشمل الجميع، وتدل الآية بالدلالة الإلتزامية على سبق الإنذار على الفعل والعقوبة، ويتجلى في الآية الإنذار بابهى معانيه لأنه يتضمن موضوعاً ودلالة الخشية من الله عز وجل فان لم يتقبله المنافق ويتقيد بأحكامه فانه يدل على التزام وتقيد القائل به.

والظاهر ان القائل هو عامة المسلمين لذا ورد بصيغة المبني للمجهول لأن متعلقه المنافق بغض النظر عن جهة صدور القول الا انه لا يعني عدم اهميته بل فيه دلالة على شيوع حالة التقوى وانتصار الحق وظهور الأحكام الشرعية والقدرة العامة على معرفة الخلل والخطأ وموارد

---

(١) الدر المنثور ٥٨/١٠.

(٢) سورة التوبة ١٠٥.

النفاق، وورود الفعل على البناء للمجهول يحتمل التعدد والكثرة وعلانية الصيغة والخطاب واستيعابها لأفراد الزمان الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل وما فيها من الحجة.

وتبين الآية في مفهومها ان تقوى الله حاجة وضرورة وحرز وواقية للنجاة من التعدي وآفات النفس، وفيها صلاح الفرد والمجتمع والتخلص من الضرر النوعي والشخصي، وتحذر الآية من غلبة النفس الغضبية ومن الإصرار على الذنب والإثم ، وتذم صنفاً من الناس استحوذ عليهم الشيطان وأداروا ظهورهم للحق والنصيحة واعتزوا بما ارتكبوا من السيئات مع ان ضررها وما فيها من الأذى والفساد ظاهر للعيان والوجدان مما يدل على ارادة الإضرار بالإسلام والمسلمين فلذا جاءت خاتمة الآية وعيداً بالنار والخلود فيها، وهذا الوعيد لا يمنع من التصدي للمفسد بعد وعظه ونصحه، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

ويلاحظ في الآية الذم لسوء فعل المنافق ثم تحذيره ونصحه ومحاولة منعه وزجره عن سوء فعله مع تخويفه بالخلود في النار، وهذا التخويف واعانة على نصحه واتمام للحجة ومواساة للمسلمين سواء الذين قاموا بنصحه وارشاده وزجره عن الفساد، او الذين وقع عليهم سوء فعله مباشرة او بالواسطة.

الآية لطف

مع موضوعية فريضة الصيام في الإسلام، وفي دوام الحياة على الأرض لقوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فان وجوب وأحكام الصيام ذكرت في خمس آيات متتالية من القرآن، وكذا بالنسبة لفريضة الحج فانها ذكرت في آيات معدودات في القرآن، وجاءت آية البحث والآيتان السابقتان لها بخصوص المنافق وبيان خصاله وإقامة الحجة عليه بقوله ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ وما ينتظره من العذاب الأليم لتدل المقارنة العددية الظاهرة على ضرورة التصدي للنفاق، ومحاربته وأخذ الحائطة من أهله، والمنع من توليهم زمام الأمور، لتكون هذه الآيات لطفاً عاماً من وجوه:

الأول : اللطف بالمسلمين والمسلمات من جهات:

الأولى : التفقه في الدين ومعرفة خصائص النفاق وذمه، وأن المنافق موجود معهم ويظهر الإيمان ويتكلم في الدنيا بلسان عذب.

الثانية : لزوم الإحتراز من أخلاق النفاق ودبيبها إلى النفس، فمن أسرار الحياة الدنيا أنها دار إمتحان وإبتلاء، والمؤمن في جهاد مع النفس ومن العادات المذمومة وإغواء الشيطان، فجاءت آية البحث للحصانة الذاتية من النفاق بذم إصرار المنافق على المعصية.

الثالثة : بعث المسلمين للمناجاة بتقوى الله، وجعلها أمراً وقولاً موجهاً للغير، وحلّة يتزين بها المسلم في يومه وليلته، وفي باب العبادات والمعاملات.

---

[1] سورة الذاريات ٥٦.

الرابعة : دعوة المنافق للتقوى إضعاف ومحاصرة للنفاق، ليكون مناسبة لعز الإيمان وسلامة المسلمين من الجدال والمغالطة.

الخامسة : تعليم المسلمين كيفية جذب المنافق لمنازل الهداية، وإقامة الحجة عليه إن أصر على الباطل.

الثاني : الآية لطف بالمنافق وجماعة المنافقين من جهات:

الأولى : عدم مغادرة ذكر الله سمع المنافق، وجاء في آية البحث بصيغة كريمة بأمره بتقوى الله.

الثانية : تدل آية البحث بالدلالة التضمنية على قدرة المنافق على التوبة والتنزه من النفاق، فحينما يوثق القرآن القول والأمر للمنافق بتقوى الله، فانه شاهد على علم الله عز وجل على قدرته على التقوى وتطهير نفسه من آفة النفاق ، ومن رشحاته على الجوارح والأركان، وهذه القدرة عند الإنسان من مصاديق قوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الثالثة : مصاحبة الأمر بتقوى الله للناس في الحياة الدنيا، فمن الدلالة التضمنية لصيغة الشرط في آية البحث التناجي بتقوى الله بين الناس، وهذه المصاحبة من عمومات قوله تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2]، من وجوه:

الأول : لجوء المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حال القوة والضعف، والرخاء والشدة.

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

الثاني : بيان علاج الفساد ورجاء الإصلاح بـ(تقوى الله).

الثالث : عدم ترك المسلمين للمنافق يفسد في الأرض بل يدعونه للخشية من الله.

الثالث : الآية لطف بالناس جميعاً من جهات:

الأولى : بيان القرآن لموضوعية التقوى في إصلاح النفوس.

الثانية : يمكن إقتباس مسألة من آية البحث وهي أن كل إنسان محتاج إلى تقوى الله.

الثالثة : تقوى الله واقية من الفساد والإفساد في الأرض.

الرابعة : دعوة الناس للإصغاء للمسلمين في حثهم على تقوى الله، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [1].

الخامسة : دعوة الناس للتنزه من النفاق ، وعدم مؤازرة المنافق لأنه يسعى إلى الإفساد والإحتراز بالناس عندما تتهيئ له الأسباب وهل يضر المنافق الذين يركنون له ويهلك حرثهم ونسلهم، أم أن القدر المتيقن هو إضراره بالمؤمنين كما تدل عليه أسباب نزول الآية التي تقدم ذكرها، الجواب هو الأول لمجئ الآية بالإطلاق في إفساد المنافق وفي قوله تعالى ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [2]، فلم تقل الآية (ويهلك حرث ونسل المؤمنين ويبت مالهم) لذاجاء الأمر له بتقوى الله مطلقاً وهذا الإطلاق أعم من أن يختص بالفساد بل يتضمن الأمر بأمور:

الأول : إصلاح السريرة.

---

(1) سورة النساء ١.

(2) سورة البقرة ٢٠٥.

الثاني : تعظيم شعائر الله.

الثالث : تعاهد أداء الفرائض، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1].

الرابع : دعوة المنافق للتوبة وقيامه بأمر الآخرين بتقوى الله.

إفاضات الآية

لقد جعل الله عز وجل الدار الدنيا محلاً لرحمته، ومسكناً لخليفته، وحينما نفخ الله من روحه في آدم أراد للإنسان التنزه الذاتي عن النفاق وطرد الكفر من قلبه، ولم ينحصر الأمر بالنفخ، فقد يغلب على الإنسان الإشتغال بالدنيا وزينتها فجاء القرآن للتذكير بلزوم تقوى الله، وفيه تعاهد لمعاني وغايات النفخ من روح الله في آدم عند خلقه وفي التنزيل ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾[2].

ومن رشحات التقوى سلامة التقوى من الكدورات الظلمانية، ومنع الناس من التعدي والظلم لتكون التقوى عقلاً إضافياً، وسيكشف الطب الحديث بأن التقوى وقاية وعلاج من الأمراض النفسية والبدنية والعضوية في وقت واحد، لذا ذكرتها آية البحث كخطاب وأمر إلى المنافق لتحثه على إتخاذها لباساً ومنهجاً من وجوه:

الأول : إنها علاج من التضاد بين إخفاء الكفر وإظهار الإيمان.

الثاني : التقوى تنزه من الفساد والعزم عليه، فمن تمتلأ نفسه من التقوى لا يبيت الظلم والتعدي وإهلاك الحرث والنسل.

---

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

(٢) سورة السجدة ٩.

الثالث : أهلية كل مسلم لإتخاذ التقوى واقية وعلاجاً له ولغيره من الناس، وسيأتي بعد آيتين قوله تعالى ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ...﴾[1]، فاصلاح الزلل بالتقوى والخشية من الله.

الرابع : التقوى باعث على الإنابة والتوبة، وان كانت هي ذاتها من مصاديق التوبة.

الخامس : هل من ملازمة بين أمر المنافق بتقوى الله وبين التحلي بلباس التقوى، أي هل تدل الآية على أن الذي يدعو المنافق لتقوى الله لابد وأن يكون متقياً، ونفسه نقية من درن النفاق ومن ندب الكفر السوداء.

الجواب لا، فقد تأتي دعوة المنافق لتقوى الله من الفاسق وقرينه في النفاق، ومن الكافر ومن داخل بيته ومن أعوانه وأتباعه في الفساد، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ...﴾[2].

السادس : يتفق العقلاء بأنه ليس من واقية أعظم وأبهى وأحسن من التي تكون برزخاً دون الإقامة الدائمة في النار، وتبين آية البحث أن التقوى هي الكنز والحرز الذي يجعل العبد يمر على الصراط يوم القيامة بسرعة وأمن وسلامة، وقيدت الآية الخلود في النار بتلقي الدعوة إلى تقوى الله بالإصرار على الإثم والمعصية.

وسيبقى الأمر بتقوى الله مادة للفناء في مرضاة الله، وموضوعاً لتهذيب النفوس وإشاعة الصلاح، وأمارة على العلم للملازمة بينها

---

(1) سورة البقرة ٢٠٩.

(2) سورة المدثر ٣١.

وبينه، قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾[1].

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بأداة الشرط (وإذا) لإفادة تجدد الدعوة للمنافق ومعنى الشرط في المقام أعم من أن يختص بالمستقبل من أفراد الزمان فيشمل أفراد الزمن الماضي إذا وردت بصيغة الشرط العام.

والتقسيم بأن (إذ) للزمن الماضي، و(إذا) للمستقبل تقسيم نحوي إستقرائي متأخر على زمان القرآن ولا يستوفي معاني الفاظه، فقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ يتضمن أيضاً معنى الخبر، وتوجه القول للمنافق بتقوى الله في الزمن الماضي ليكون من مفاهيم (إذا) في المقام الإخبار عن الزمن الماضي وقيام الحجة على المنافق إلى جانب أن الآية من علم الغيب بتجدد القول للمنافق بتقوى الله، وأن الذي يفسد في الأرض إذا قيل له اتق الله قد يغلب عليه العناد والإستكبار.

وفي مجئ الآية بصيغة المضارع دعوة للمسلمين بتجديد إنذار المنافق، وحثه على الكف عن الفساد والإضرار بالمصالح العامة.

وأخبرت الآية عن القول الموجه إلى المنافق بصيغة المبني للمجهول(وإذا قيل له) وفيه وجوه:

الأول : الملاك في المقام هو حال المنافق، وبيان تبليغه ونصحه وإنذاره.

الثاني : تعدد الجهات والأفراد الذين يقولون للمنافق(اتق الله).

---

[1] سورة الزمر ٩.

الثالث : ترغيب المسلمين بحث الناس على الخشية من الله والتي تتجلى بالإيمان بالله ورسله وكتبه وإتيان الواجبات العبادية.

الرابع : منع دبيب اليأس إلى نفوس المؤمنين حينما يصر المنافق على الفساد ، قال تعالى ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

الخامس : تنمية ملكة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المسلمين.

فمن معاني قوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ هو: أيها المسلمون قولوا له، لتتجلى مسؤوليات جهادية للمسلمين تتمثل بمنع الفساد في الأرض بالحث على التقوى، إلى جانب الحرب على الفساد باليد والسلاح.

وتبين الآية قدسية وعظيم شأن الدعوة لتقوى الله، وأن الأصل هو تلقي الإنسان لها بالقبول والرضا والتطامن والكف عن الفساد والإفساد.

وكما تضمنت الآيتان السابقتان الذم والتوبيخ للمنافق فان هذه الآية تضمنت ذمه بذكر إقامته على الباطل، ومقابلته للأمر بالمعروف والتقوى باظهار ما في نفسه من النفاق والشقاق.

---

(١) سورة يوسف ٨٧.

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : بيان ما لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون من الأذى والضرر الذي لم ينحصر بجهة الكفار بل يأتي من طائفة من الناس تدّعي الإيمان ظاهراً وهم يخفون الكفر والعداوة للمسلمين.

الثانية : لزوم عدم ترك المنافق وشأنه، فلابد من دعوته لتقوى الله.

الثالثة : إستدامة ونضارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابعة : التوثيق القرآني لإصرار المنافق على الفساد.

الخامسة : الإخبار عن إقتران النفاق بالإثم وبيان حقيقة وهي أن النفاق لاينحصر باخفاء الكفر في قرارة النفس والمراعاة بأدعاء الإيمان بل يشمل إعلان الإصرار على الإثم والظلم والجور، ويظهر هذا الإصرار عندما يتولى المنافق ويكون له شأن.

فلو جاء له قول (اتق الله) بصيغة الأمر من الأعلى والسلطان وبقصد التخويف والإنذار فهل تأخذه العزة بالإثم، الجواب قد جاء قبل آيتين البيان بأن المنافق يلجأ إلى الكلام الحسن في الدنيا وإلى إشهاد الله على ما في قلبه مع شدة عداوته للمسلمين فاذا قيل للمنافق(اتق الله) وهو في حال الضعف والخشية من سلطان المسلمين فهل تأخذه العزة بالإثم، الجواب لا، بل يمتنع عن الصدود ولا يظهر الإستكبار، وفيه تحذير إضافي للمسلمين من المنافق.

السادسة : عجز المنافق عن الإضرار بمن يدعوه لتقوى الله، بل تراه ينشغل بحال العناد والإصرار، فان قلت إن قوله تعالى ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾

يشمل إنتفاء بطش المنافق بمن ينصحه ويزجره عن النفاق والظلم، الجواب لا دليل على هذا العموم، وفي التنزيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(١).

وتكرر الضمير (الهاء) في الآية ثلاث مرات مع قلة كلماتها (قيل له) (أخذته العزة) (فحسبه جهنم) وكلها تتعلق بذات الموضوع وهو المنافق، ولتشمل أحواله في الدنيا والآخرة، فتبين الآية مصير المنافق في الآخرة وإنعدام الناصر والشفيع له.

التفسير

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾

وفي الآية مسائل :

الأولى : (إذا) اسم شرط يفيد المستقبل، فمثل هذا المنافق الذي يخفي الكفر في ذات الوقت الذي يدعي الإيمان لا يترك سدى.

الثانية : من وجوه التصدي للمنافق تحذيره وهو من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثالثة : جاء الفعل بصيغة المبني للمجهول مما يدل على الإتساع والتعدد والإجمال ولكن موضوع القول يدل على التقييد والحصر.

الرابعة : الدعوة الى تقوى الله لا يأمر ويقوم بها الا المسلمون فهم الذين يدعون الى الصلاح والهداية والرشاد.

الخامسة : تدل الآية على الإطلاق الزماني وشمولها لأفراد الزمان الطولية وعدم حصره بأيام التنزيل.

السادسة : يدل ظاهر الآية على العموم من جهة المكان والحال، أي في حال سعيه للفساد ومحاولته اهلاك الحرث والنسل، بل حتى عند قوله الحسن في الدنيا يكون الأمر بتقوى الله بحسن الكلام في الآخرة

(١) سورة الزمر ٣٦.

والإقرار بها وان يكون كلامه في الدنيا جزء من نصحه.

السابعة : من تقوى الله التي يؤمر بها الإتحاد والتشابه بين ما يظهر وما يخفي وان يتجنب اشهاد الله عز وجل على ما في قلبه وهو خلاف الذي يدعيه.

الثامنة : من مصاديق التقوى اجتناب الفساد في الأرض.

التاسعة : تؤكد الآية قيام الحجة على المنافق، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾[1].

العاشرة : تدل الآية بالدلالة التضمنية على معرفة المنافق لذنبه وضلالته وانه على الباطل لأن قوله ﴿ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ تفيد الدعوة الى التقوى ورجاء حصولها ابتداء واستدامة عنده.

لقد ذكرت آية البحث القول للمنافق ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾وفيه وجوه :

الأول : إذ أظهر المنافق مكره وخبثه قيل له اتق الله .

الثاني : حينما يبث المنافقون سمومهم يأتيهم القول أتقوا الله وللمنفرد منهم اتق الله (عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي. وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. فنزلت { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ } الآية) [2] .

الثالث : الأمر بالتقوى والتقيد بها من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا

---

(1) سورة المدثر ٣١.

(2) تفسير ابن كثير ١٨٤/٤.

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الرابع : من خصائص بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توجه الأمر بتقوى الله إلى كل إنسان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [2].

الخامس : بيان كثرة عدد المسلمين وقلة المنافقين فما أن يظهر النفاق حتى يتوجه له الأمر بتقوى الله .

السادس : في كل مرة يتلى فيها القرآن دعوة للمنافق بالتقوى .

السابع : تكرار دعوة المنافق للتوبة والتقوى بحسب الحال والمناسبة وعن (أنس بن مالك قال: لما حملنا جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته وكان رجلاً طوالاً ضخماً! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إن الملائكة حملته) [3].

الثامن : يدل قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين لم يقتلوا المنافق إنما كانوا يتوجهون إليه بالإنذار والدعوة إلى التقوى .

وورد عن ابن إسحاق عن بعض بني المصطلق حينما كان على ماء لخزاعة قال (فَبَيْنَا رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وآله وَسَلّمَ عَلَى ذَلِكَ الْمَاء وَرَدَتْ وَارِدَةُ النّاسِ وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّاب أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا ، فَصَرَخَ الْجُهَنِيّ يَا

---

(1) سورة الذاريات ٥٦.

(2) سورة الأنبياء ١٠٧.

(3) الإستيعاب ١/١٨١.

مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ .

وَصَرَخَ جَهْجَاهٌ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَغَضِبَ عَبْدُ اللّه بْنُ أُبَيّ ابن سَلُولَ وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِه فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ غُلَامٌ حَدَثٌ فَقَالَ أَوَقَدْ فَعَلُوهَا ، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا ، وَاَللّه مَا أَعُدّنَا وَجُلَابِيبَ قُرَيْشٍ إلّا كَمَا قَالَ الْأَوّلُ سَمّنْ كَلْبَك يَأْكُلْك ، أَمَا وَاَللّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الْأَعَزّ مِنْهَا الْأَذَلّ .

ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِه فَقَالَ لَهُمْ هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ أَمَا وَاَللّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوّلُوا إلَى غَيْرِ دَارِكُمْ .

فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَمَشَى بِهِ إلَى رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ مِنْ عَدُوّه فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ ، فَقَالَ مُرْ بِهِ عَبّادَ بْنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إذَا تَحَدّثَ النّاسُ أَنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ لَا وَلَكِنْ أَذّنْ بِالرّحِيلِ وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النّاسُ

وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللّه بْنُ أُبَيّ ابن سَلُولَ إلَى رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ فَحَلَفَ بِاَللّه مَا قُلْت مَا قَالَ وَلَا تَكَلّمْت بِهِ - وَكَانَ فِي قَوْمِه شَرِيفًا عَظِيمًا - فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِه يَا رَسُولَ اللّه عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرّجُلُ حَدَبًا عَلَى ابن أُبَيّ ابن سَلُولَ وَدَفْعًا عَنْهُ .

قَالَ ابن إسْحَاقَ : فَلَمّا اسْتَقَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلّمَ

وَسَارَ لَقِيَهُ أُسَيْدَ بْنُ حُضَيْرٍ فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ وآله وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا نَبِيِّ اللَّهِ وَاَللَّهِ لَقَدْ رُحْت فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْت تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَوَمَا بَلَغَك مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ وَأَيِّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ .

قَالَ وَمَا قَالَ ؟ قَالَ زَعَمَ أَنَّهُ إنْ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ قَالَ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاَللَّهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إنْ شِئْت ، هُوَ وَاَللَّهِ الذَّلِيلُ وَأَنْت الْعَزِيزُ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْفُقْ بِهِ فَوَاَللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِك ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْحَرَزَ لِيُتَوِّجُوهُ فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّك قَدْ اسْتَلَبْته مُلْكًا . ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى ، وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ وَصَدْرَ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى آذَتْهُمْ الشَّمْسُ .

ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنْ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ . ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَسَلَكَ الْحِجَازَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ بِالْحِجَازِ فُوَيْقَ النَّقِيعِ ؛ يُقَالُ لَهُ بَقْعَاءُ .

فَلَمَّا رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ هَبَّتْ عَلَى النَّاسِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ آذَتْهُمْ وَتَخَوَّفُوهَا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لَا تَخَافُوهَا ، فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ . فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ)[1].

وحينما أختتمت آية (وإذا تولى) بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ تعقبها قوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ ليكون هذا القول من رشحات بغض الله

---

(١) الروض الأنف ١٤/٤.

للفساد، وأن عدم حبه للفساد يترجل الخارج بأمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وباصوات تتوجه إلى المنافق تزجره عن الفساد وتدعوه إلى الصلاح، وهو من مصاديق قوله تعالى﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، وفيه نكتة وهي ترغيب المسلمين بنبذ الفساد، ليفوزوا بالأجر والثواب، وإذا كان الذي يقول للمنافق اتق الله، يصدق عليه أن من جنود الله، فان المسلمين يجاهدون في سبيل اله، ويحاربون الكفر والنفق بأنفسهم وأموالهم ويدل عليه الآية التالية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾[2]، ترى ما المراد والمقاصد السامية من المنافق بتقوى الله﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الجواب من وجوه .

الأول : دعوة المنافق لجعل باطنه موافقاً لظاهره ونطقه للشهادتين.

الثاني : حث المنافق على التدبر في الآيات الكونية والمعجزات الرسالية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث : الخشية والخوف من الله، وهو الأمر الذي تتقوم به التقوى.

الرابع : الإقلاع عن الفساد.

الخامس : الإمتناع عن تحريض ومدّ الكفار في حربهم على الإسلام والمسلمين.

السادس : دعوة المنافقين للتدبر في آيات القرآن، والإعجاز الذي فيها.

---

(١) سورة المدثر ٣١.

(٢) سورة البقرة ٢٠٧.

السابع : التنزه من النفاق، لأنه ضد قبيح للتقوى التي هي أمر حسن ذاتاً وعرضاً ، قال تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1].

الثامن : تقوى الله بلحاظ الآية السابقة بالكف عن الفساد، وإجتناب الإضرار بالمصالح العامة.

التاسع : إرادة صيرورة المنافق مجاهداً في سبيل الله، مدافعاً عن الثغور، ساهراً على الأمن وسلامة الزراعات والتجارات من التلف، وقد لا يعلم أحد بما في نفسه إلا الله إلى أن يحسن حاله ويتوب إلى الله، فجاءت هذه الآيات لإعانته وجذبه إلى الصلاح وهل من منافقين تابوا بتلاوة أو سماع هذه الآيات قبل أن ينكشف أمرهم وإضمارهم النفاق، الجواب نعم وهو من إعجاز القرآن ومصاديق قوله تعالى﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

فجاءت الآية أعلاه بالإطلاق في معاني البيان القرآني، والعموم في إرادة الناس على مذاهبهم المختلفة ليدخل المنافقون فيه وإنذارهم ورجاء هدايتهم وموعظتهم بقوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾[3]، أي مع بلوغ المنافق مرتبة التقوى يأتيه الفيض الإلهي من أفراد الهداية والموعظة.

وهل يختص البيان في الآية أعلاه بخصوص حال الكفر والنفاق بالنسبة للذي يتوب منهما ومن مفاهيمها.

---

(١) سورة البقرة ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران ١٣٨.

(٣) سورة البقرة ٢٠٦.

الجواب لا، فحتى في حال إنتقاله لمنازل الإيمان وما تتصف به من خصائص السمو والرفعة يأتيه البيان في القرآن ، وأيهما أكثر البيان الذي يأتيه قبل التوبة أم بعدها.

الجواب هو الثاني ، وتلك آية في إكرام المسلمين، وتتجلى في آيات البحث هذه، فان قلت جاءت هذه الآية والآية السابقة والآية التالية في ذم النفاق والمنافق رجاء توبته، والجواب هذا صحيح، ولكن الآيات مدرسة للمسلمين من جهات منها:

الأولى : نفرة المسلمين من النفاق، وإستحالة إرتداد المسلم بأن يذم القرآن قوماً ليكون في هذا الذم عصمة للمسلمين من الأخلاق المذمومة قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

الثانية : سلامة مجتمعات المسلمين من شرور المنافق ويتجلى هذا المعنى بورود آية البحث بصيغة الشرط(وإذا تولى) وعدم ترك المنافق وشأنه بل تتوجه له الدعوة للتقوى والتوبة والصلاح (وإذا قيل له).

الثالثة : دعوة المسلمين لإصلاح صفوفهم للدفاع ضد النفاق ومحاربة النفاق حينما يتولى ويظهر الفساد والإفساد، وهل هو من عمومات قوله تعالى﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[2]، أم أن القدر المتيقن من موضوع الآية أعلاه هو محاربة الكفار.

الجواب هو الأول لأن المنافق في إفساده ضال ويدعو إلى الكفر، ويحارب الإسلام بكيفية متعددة فلذا تضمنت الآية التالية ندب المسلمين

---

(١) سورة آل عمران ١٤٩.

(٢) سورة الأنفال ٦٠.

إلى الجهاد في سبيل الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾(١)، وتقدير الآية أعلاه بلحاظ آية البحث السابقة لها ومن المسلمين من يشري نفسه لأمور منها:

الأول : العصمة الذاتية من النفاق.

الثاني : تأديب الأهل على نبذ النفاق وعلى الحذر من المنافقين، وفي التنزيل في الثناء على إسماعيل ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾(٢).

الثالث : دعوة المنافق لتقوى الله والخشية منه، وعدم الخوف من المنافق في ولايته.

الرابع : إصلاح المسلمين لأنفسهم لمواجهة النفاق وفضحه، وهل يتولى محاربة النفاق غير المسلمين، الجواب لا، إذ يتعاضد المسلمون، ويتناجون بتقوى الله والإحتراز من النفاق وفساد أهله، وهذا التعاضد ومنافعه من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٣).

الخامس : عدم إكتفاء المسلمين بالقول للمنافق (اتق الله) إذا أصر على الباطل والكفر والنفاق.

والمراد من القول في المقام وجوه :

الأول : القول والسؤال من المساوي وهو الطلب.

الثاني : الأمر من الأعلى لصدق اسم القول عليه.

---

(١) سورة البقرة ٢٠٧.

(٢) سورة مريم ٥٥.

(٣) سورة آل عمران ١١٠.

الثالث : القول من الأدنى ويأتي بصيغة الرجاء .

ومن الإعجاز أن قول المؤمن للمنافق (اتق الله) تنطبق عليه الوجوه الثلاثة أعلاه للتباين في منازل وشأن الناس، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلم ولا تكون رفعة شأن المنافق أو غيره الدنيوية مانعاً من أمره بالمعروف والصلاح وزجره عن المنكر ومنه النفاق، وقد يأتي القول (إتق الله) من أقران وأصحاب المنافق في ذات السنخية، إذ يدرك المنافق في قرارة نفسه قبح ما تنطوي عليه من الكفر، وذكرته آية البحث بأن عاقبتهم النار، فيأخذ بعضهم بتحذير بعضهم الآخر من النفاق وكأنه يريد التنزه الجماعي من النفاق، والتعاون في إصلاح الذات قال تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1].

وهل يدخل الفعل والبعث باليد على تقوى الله في عمومات الآية أم أن القدر المتيقن هو قول(اتق الله) الجواب هو الأول ، ويمكن تأسيس قاعدة وهي لو ذكر القول ودار الأمر بين إرادة القول والفعل معاً أم خصوص القول.

فالأول هو الصحيح إلا أن تدل قرينة على الخلاف.

وفي قول (اتق الله) وتقدير موضوعه وجوه :

الأول : اتق الله في نفسك.

الثاني : اتق الله في لزوم أداء الفرائض بقصد التوبة.

الثالث : اتق الله في موارد رزقك ومعاشك وأن لا يشوبها الحرام.

---

(١) سورة النساء ١١٤.

الرابع : اتق الله في إصلاح سريرتك ووجوب خلو قلبك من النفاق والكفر.

الخامس : اتق الله بوجوب التصديق بنبوة محمد باللسان والقلب، وليس اللسان وحده.

السادس : من مفاهيم التقوى التنزه عن الفساد في الأرض.

السابع : لزوم الإمتناع عن إتلاف الحرث والنسل.

الثامن : من التقوى عدم تبييت الخصومة والعداوة للمسلمين الذين صدّقوا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

التاسع : اتق الله إن توليت فلا تفسد في الأرض.

العاشر : إتق الله واذكر عالم الآخرة والوقوف بين يدي الله للحساب، عن أنس بن مالك قال : مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوم من الأنصار يضحكون ، فقال : أكثروا ذكر هادم اللذات[1].

الحادي عشر : من التقوى الإحتراز من دخول النار والخلود فيها يوم القيامة، وإجتناب النفاق لأنه طريق يؤدي للإصطلاء بحر نارها.

الثاني عشر : إتق الله ولا تأخذك العزة بالأثم، ويحتمل تحصيل الثواب في القول للمنافق (اتق الله) وجوهاً:

الأول : الفوز بالثواب لكل من يقول للمنافق (اتق الله).

الثاني : الثواب العظيم للذي يأمر بالتقوى بقصد القربة.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٢/٢٠١.

الثالث : نيل المسلم والمسلمة الثواب عند دعوة المنافق للخشية من الله، والكف عن الظلم والتعدي وإتلاف أموال الناس وإرادة تعطيل أحكام الشريعة.

الرابع : ليس من ثواب في قول(اتق الله) إلا إذا إستجاب المنافق للدعوة وإمتنع عن الفساد.

الخامس : مجئ آية البحث بصيغة البناء للمجهول (إذا قيل) وعدم تعيين القائل يدل على أن الموضوع من المباحات والأمور الملحقة بها.

السادس : نيل الذي يلقى الأذى من المنافق الثواب على قوله(إتق الله) إذ كان من منازل الإيمان.

السابع : الثواب لمن لم يكتف بقول (اتق الله) عندما تأخذ المنافق العزة بالإثم، فيكرر عليه القول ويغلظ عليه، ويحول دون تماديه في الفساد.

وباستثناء الوجه الأول والرابع والخامس فان الوجوه الأخرى كلها من مصاديق الآية، نعم الثواب في المقام من الكلي المشكك، كل بحسبه وبقصده وجهة الصدور، وكيفية القول، وحال المنافق وولايته وشأنه.

تفسير قوله تعالى ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾

في الآية وجوه :

الأول : اخذه أي لزمه لإرادة إصرار المنافق على سوء فعله وإستحواذ صبغة الإستكبار على فعله وقوله واظهر نوع تحد.

الثاني : تظهر الآية ما عند المنافق من العناد.

الثالث : في الآية إشارة الى ركوب المنافق المعصية عن نية وقصد

وعزيمة.

الرابع : الآية دعوة للمسلم بعدم الغضب والإنفعال حينما يذّكر بالله ولزوم خشيته، (لذا ورد عن عبد الله بن مسعود في حديث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ابن مسعود اذا قيل لك: اتق الله، فلا تغضب.

الخامس : تبين الآية الأخطار الجسيمة التي تواجه المسلمين واستدامتها واتصالها في مختلف الأزمان والأمصار بلحاظ القاعدة الكلية وهي ان الآية القرآنية حية وصالحة موضوعاً وحكماً لكل زمان.

إن إصرار المنافق على الباطل وحال الأنفة التي يتصف بها حملته على البقاء على الإثم وعدم الكف عنه ، فقوله تعالى :أخذته العزة بالإثم أي ساقته الأنفة على الإقامة على الإثم والإصرار عليها.

وعن الإمام علي عليه السلام: الإيمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما أزداد الإيمان إزداد ذلك البياض. فإذا استكمل العبد الإيمان ابيّض القلب كله. وإن النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء، كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد. فإذا استكمل العبد النفاق، اسود القلب كله.

وبينت الآية عدم إنتفاع المنافق من دعوته إلى التوبة، وإعراضه العلني عن المساعي الكريمة لدفعه عن مستنقع النفاق وما يترشح عنه من الفساد.

ومن أسرار مجئ هذه الآيات بالتبعيض في قوله تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ...﴾[1]، حصول توبة شطر من المنافقين وإزاحة ندبة النفاق من نفوسهم ليكون تقدير الآية: ومن المنافقين إذا قيل له اتق الله أخذته

([1]) سورة البقرة ٢٠٤.

العزة بالإثم) لأن الدعوة إلى تقوى الله ليست لغواً.

ولم تذكر الآية ما بعد إصرار المنافق على الإثم والفساد حينما يقال له(اتق الله) ويحتمل وجوهاً:

الأول : تكرار توجه الأمر بالتقوى إلى المنافق من ذات الجهة والأفراد، أو من جهات وأفراد آخرين.

الثاني : ترك المنافق وشأنه يفسد في الأرض.

الثالث : الإرتقاء في رتبة وكيفية زجر المنافق عن الفساد، على نحو الإستدامة بدليل قوله تعالى﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[1].

الرابع : تحكي آية البحث تحدي وذم إصرار المنافق على الفساد بالوعيد وإخباره عن إنتظاره للإقامة الدائمة في النار.

والصحيح هو الأول والثالث والرابع وهو من خصائص إمامة المسلمين في ميادين العدل والإنصاف.

وجاءت الآية بلفظ الأخذ (أخذته العزة بالإثم) أي غلبت عليه وقهرته، وجاءت دون إنتفاعه من التذكير بتقوى الله، ليستعد وكأن المنافق مغلوب على أمره، عاجز عن مقاومة إستحواذ النفس الغضبية والحسد عليه، وفيه آية في تأديب المسلمين والناس جميعاً بلزوم التدبر في الدعوة إلى الله.

وتدل الآية في مفهومها على الثناء على المسلمين من جهات:

الأولى : حسن إختيار كيفية مواجهة النفاق.

الثانية : عدم ترك المنافق يفسد في الأرض.

---

(1) سورة التوبة ٧٣.

الثالثة : إنتفاء الخوف والخشية من المنافق في نفوس المسلمين.

الرابعة : تلاوة المسلمين لآية البحث، وكل مرة يتلو فيها المسلمون آية البحث فانها دعوة متجددة للتنزه من النفاق، كما تقدمت الإشارة إليه.

تفسير قوله تعالى ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾

وفي الآية وجوه :

الأول : وعيد وتخويف واخبار عما ينتظر المنافق من العذاب الدائم في النار.

الثاني : يأتي العقاب على الذنب المركب من النفاق والإصرار عليه بعد إقامة الحجة بتحذيره.

الثالث : ظاهر الآية دعوة المسلمين للإعراض والكف عن توجيه النصيحة للمنافق ولكن هذا الإعراض لا يمنع من الحذر والتوقي منه ودفع الأسباب التي تساعد في إفساده في الأرض كي تمتنع عليه المعصية مع غياب مقدماتها، ومن العصمة انعدام المعصية.

الرابع : جهنم اسم لنار الآخرة التي يعذب الله بها الكفار والمجرمين وهي معروفة عند المليين بل الناس جميعاً من يؤمن منهم باليوم الآخر ومن يجحد، وقد ورد لفظ جهنم في القرآن والسنة، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة ثم انقطع علي شئ يعني خالدكانت حديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا الصلاة على المنافقين[1].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ٦٢٨/١.

يحتمل متعلق الوعيد بالنار في آية البحث وجوهاً:

الأول: إصرار المنافق على البقاء في مستنقع المراءاة والنفاق والختل أي لأن العزة بالإثم تستولي عليه حين دعوته للهداية والتوبة يستحق الدخول في النار يوم القيامة.

الثاني: إهلاك المنافق للحرث والنسل، وإضراره بالناس ومصالحهم العامة.

الثالث: إفساد المنافق في الأرض.

الرابع: إشهاد المنافق الله عز وجل على ما في قلبه، مع أنه كاذب في دعواه حب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإظهاره الإيمان.

الخامس: محاولة المنافق خداع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بحسن القول في الحياة الدنيا، وذكره لخصائص البهجة فيها، قال تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

السادس: إرادة الجمع بين أفراد وخصال المنافق المذكورة في هذه الآية والآيتين السابقتين.

والصحيح هو الأخير والوجوه الأخرى في طوله، وفيه دعوة للناس بالصلاح، وللمنافق بالتوبة والإنابة، وحجة على المنافقين وسعيهم للإضرار بالمسلمين، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[2].

ومن بديع أحكام الإسلام قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وهي مستقرأة

---

(١) سورة البقرة ٩.

(٢) سورة الأنعام ١٤٩.

من حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيام المنافق بالفساد جلب للضرر لنفسه وللناس، ومن أظهر مصاديق إضراره بنفسه شموله بالوعيد الذي تختتم به آية البحث فليس من ضرر أشد على الإنسان من الذي يسعى إليه بيده، ويسوق نفسه معه إلى الخلود في النار، لا يفصله عنها إلا أياماً في الدنيا.

وأخبرت الآية بأن المنافق إذا ثنيت له الوسادة ولو على نحو الموجبة الجزئية عاث في الأرض فساداً، وأشاع مفاهيم الكفر، وأعرض عن الدعوة لتقوى الله، وترك موضوع إشهاد الله على ما في قلبه من الإيمان كما تقدم قيل آيتين[1]، وأظهر العناد واللجاج وأصر على الباطل فكان يبادر إلى القول الحسن في الدنيا ويشهد الله على أن قلبه مملوء بالإيمان ولكنه حينما يتولى يقابل الأمر بالمعروف والدعوة إلى تقوى الله بالإقامة على الباطل، وهو من مصاديق قوله تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[2].

فاذا أمن المنافق وصارت له صولة وأمن من العقاب والأخذ على يده أهلك الحرث والنسل.

فجاءت آية البحث لتخبر عما ينتظره من العقاب الأليم، والعذاب الشديد وهو خلوده في جهنم، وفيه آية تأديبية وزاجر سماوي متجدد عن النفاق وعن العبث والظلم والتعدي حين التولي.

وهل يختص الأمر بالمنافق الجواب لا، فان المورد لا يخصص الوارد، فكل من يسعى في الأرض فساداً ويهلك الحرث والنسل ويضر الناس في أسباب رزقهم وأموالهم وأنفسهم بغير حق يكون خالداً في النار، ونزل

---

(١) أنظر الآية ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة ١٠.

القرآن بلغة إياك أعني واسمعي يا جارة.

وتبين هذه الآية حال المنافق وكأنه من المتزلزل وغير الثابت فهو يظهر الإيمان ويؤدي الفرائض، أما قلبه فمملوء كفراً وبغضاً لأهل الإيمان، وهذه الحال ليست ثابتة فهناك صراع بين الظاهر والباطن، بين الإيمان والكفر في ذات المنافق.

فجاءت آية البحث لكشف هذا الصراع وترجيح كفة الإيمان وبعث الإستحياء في نفس المنافق من المسلمين والمسلمات بعد كشف سريرته وهي مناسبة لتوبته.

وجاء قوله تعالى ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ لبيان غلبة الكفر على ظاهره وجريانه على لسانه، فلذا إستحق العقاب الأليم، فقال تعالى ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ لقيام الحجة عليه من وجهين:

الأول : إخفاء المنافق الكفر والضلالة.

الثاني : ترجل كفر المنافق إلى الخارج، وظهوره في عالم الفعل باقبح الصور من جهات:

الأولى : إفساد المنافق في الأرض.

الثانية : إتلاف للزراعات والنسل.

الثالثة : صدّ المنافق المؤمنين عن الجهاد ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران ١٥٦.

الرابعة : إظهار المنافقين الشماتة بالمسلمين عند تلقي الأذى أو نزول مصيبة بهم.

﴿وأخرج أحمد في الزهد عن الربيع بن أنس قال : أوحى الله إلى نبي من الأنبياء : ما بال قومك يلبسون جلود الضأن ، ويتشبهون بالرهبان ، كلامهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر؟ أبي يغترون أم لي يخادعون؟ ، وعزتي لأتركنّ العالم منهم حيراناً ، ليس مني من تكهن أو تُكُهِّنَ له ، أو سحر أو سُحِرَ له ، من آمن بي فليتوكل عليّ ، ومن لم يؤمن فليتبع غيري﴾[1].

قاعدة كلية

أختلف في اسم جهنم هل هو عربي ام اعجمي ويمكن ان تشرع قاعدة اصولية تصلح ان تكون كلية في باب الإختلاف في المقام وهي مع تعارض الأقوال في عربية اللفظ او عدمها يكون التساقط بين الأقوال فيرجع الى الأصل وهو عربية الفاظ القرآن، قال تعالى﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، بالإضافة الى القواعد الأخرى والقرائن وحكي عن رؤبة انه قال: (ركية جهنام أي بعيدة القعر)[3].

وورد لفظ جهنم في القرآن سبعاً وسبعين مرة ، كلها تتعلق بالنار وشدة حرها، وذكرت النار في القرآن باسماء أخرى منها اللظى ، الشوى، الحطمة، الساهرة ، الجحيم ، بئس القرار ، بئس المهاد ، بئس الورد المورود، دار الفاسقين ، دار البوار، سقر، السعير، كما ورد في

---

(١) الدر المنثور ٤٧٧/١.

(٢) سورة يوسف ٢.

(٣) تفسير الرازي ٢٢١/٣.

القرآن بعض أسماء أهل النار مثل فرعون .

ومن أسباب هذا التعدد بعث الفزع والخوف في قلوب الكافرين، ودعوة الناس للإستعداد للآخرة، وطرد الغفلة عنهم، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وأختلف في لفظ جهنم على أقوال :

الأول : الكلمة عربية وتمتنع عن الصرف للعلية والتأنيث .

الثاني : إنها كلمة اعجمية وعرّبت، والأصل كهنام.

الثالث : إنها تعريب كهنام من العبرية وذكر أن الاسم في التوراة بسفر يشوع بصيغتي (جي- هنم) و(جي بن-هنم) وذكر أن معنى لفظ (جي) الوادي، وذكر أن لفظ جهنم مكتوب في النقوش المصرية القديمة.

الرابع : إنه فارسي معرب، وعن الجوهري (جَهَنَّم من أسماء النار التي يعذّب الله بها عباده نعوذ بالله منها هذه عبارة الجوهري ولو قال يعذب بها من استحق العذاب من عبيده كان أجود قال وهو مُلْحَق بالخماسي بتشديد الحرف الثالث منه ولا يُجْرَى للمعرفة والتأنيث ويقال هو فارسي معرّب[2].

تفسير قوله تعالى ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

الآية وعيد وانذار وتخويف للمنافقين وليعرف المسلمون ما ينتظرهم من العذاب فيزدرون ويستهزءون بالمنافق لسوء مستقره الدائم وخلوده في الجحيم ويستبشرون بما اعد الله للمؤمنين.

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) لسان العرب ١١٢/١٢.

وتبين الآية منافع تقوى الله وقبول النصيحة والإصغاء لكلمة الحق والرشاد واجتناب الإضرار بالمسلمين ومحاولات عرقلة مسيرة الهداية وتطبيق احكام الشريعة وسنن النبوة.

ويحتمل متعلق خاتمة الآية وجوهاً:

الأول : إستحقاق المنافق للعذاب الأليم لأن العزة بالإثم تأخذه إذا يقال له اتق الله.

الثاني : إقامة الحجة على المنافق بالإنذار والدعوة إلى تقوى الله.

الثالث : إرادة الملازمة بين الموت على النفاق وبين العذاب الأليم في النار.

الرابع : العقاب الأليم لمن مات على النفاق في الآخرة باللبث الدائم في جهنم بسبب إصراره عن إبطان الكفر.

الخامس : إرادة المعنى الأعم لمضامين هذه الآيات، وأن المنافق يستحق الإقامة في نار جهنم جزاء لسوء ما ارتكبه من جهات:

الأولى : يمين وحلف المنافق على إيمانه كذباً وزوراً، لقوله تعالى﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ كما لو قال: أشهد الله أني مسلم وقلبي مؤمن، أو قال: والله إني من المؤمنين بلحاظ ان الإيمان هو التصديق بالجنان، وهو نية وقول وعمل.

الثانية : مكر وكيد المنافق بالمسلمين .

الثالثة : شدة خصومة وعداوة المنافق للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وفيه شاهد على شدة الأذى الذي لاقاه والمؤمنين، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ما أوذي نبي مثل ما أوذيت)[1]. بتقريب أن من ضروب الأذى الذي لحق النبي هو تعدد جهات الأذى

---

(١)تفسير الرازي ٤٥٤/٢.

منها:

الأولى : الكفار والمشركون.

الثانية : أهل الكتاب في المدينة.

الثالثة : المنافقون والمخادعون.

الرابعة : الأذى المتحد الذي تجتمع به أكثر من جهة وطرف.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ **الآية ٢٠٧**

الإعراب و اللغة

ومن الناس: الواو: حرف عطف، من الناس: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم.

من يشري نفسه : من : اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر.

يشري: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره(هو).

نفسه: نفس: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضاف والهاء: مضاف إليه، وجملة(يشري) لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموضوع.

إبتغاء : مفعول لأجله منصوب، وهو مضاف، مرضاة: مضاف إليه مجرور، وهو مضاف، ولفظ الجلالة(الله) مضاف إليه مجرور.

والله رؤوف بالعباد: الواو: حرف إستئناف، ولفظ الجلالة: مبتدأ مرفوع بالضمة، رؤوف: خبر مرفوع بالضمة.

بالعباد: جار ومجرور متعلقان برؤوف.

من صفاته تعالى الرؤوف وفيه قراءتان قرء بهما، رؤوف على وزن فعول، قال كعب بن مالك الأنصاري:

نطيع نبينا ونطيع رباً هو الرحمن كان بنا رؤوفاً[1]

ورؤف على فَعُل، قال جرير:

---

(١)الكشف والبيان١/٢٥٨.

يـرى للمسـلمين عليـه حقـاً كفعل الوالد الرؤوف الرحيم[١]

والرأفة: اشد الرحمة واكثر منها رقة.

في سياق الآيات

بعد بيان حال المنافق والمعاند الذي يظهر خلاف ما يخفي امام المؤمنين وفي حال الضعف والخوف، وما يصدر عنه من الأذى والكيد والضرر عند التولي والإنفراد جاءت هذه الآية لوصف حال مناقضة ومغايرة ملؤها الإيمان والإقرار بالمعاد والتضحية في سبيل الله وفيها مدح لأهل التقوى وجاءت متعقبة لثلاث آيات في ذم المنافقين وفضحهم ولابد لهذا النظم من دلالات وعبر وحكمة تظهر من خلال سعة واطلاق هذه الآية وما فيها من الإشارات والمعارف الإلهية، حتى على القول بعدم حجية الدلالة السياقية فانها في المقام ثناء على المؤمنين وتوبيخ للكافرين.

الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[٢]، وفيها مسائل :

الأولى : كل من الآيتين تتعلق بفريق من الناس مع التباين بينهما في الموضوع والحكم والعدد والأثر، فمضامين هذه الآية تخص المؤمنين أما الآية السابقة فوردت بخصوص المنافق إذا تولى، والمؤمنون هم أكثر عدداً وقوة قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١)الجوهري/الصحاح في اللغة ١/٢٣٣.

(٢) سورة البقرة ٢٠٦.

(٣) سورة المنافقون ٨.

الثانية : عدد المنافقين في نقصان وإنحسار، وعدد المسلمين في إزدياد، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1].

الثالثة : صحة إنتقال الإنسان من منازل النفاق والإصرار على الباطل إلى مقامات الإيمان والتضحية في سبيل الله، وحرمة العكس وعدم جواز الإرتداد.

الرابعة : جاءت الآيات الثلاثة السابقة في خصال المنافق المذمومة، وبيانها بما يجعل المسلمين يحذرون منه ومنها، وجاءت آية البحث بمفردها في الثناء على المؤمن الذي يبذل نفسه في مرضاة الله ثم إنتقلت الآية التالية إلى خطاب المسلمين بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ..﴾[2].

الخامسة : إذا كان المنافق تأخذه العزة بالإثم حينما يدعى إلى تقوى الله، فان المؤمن يشتري العزة والمنعة بتقوى الله.

السادسة : هل شراء المؤمن نفسه إبتغاء مرضاة الله من عمومات القول للمنافق: اتق الله، الجواب لا، لأن القدر المتيقن من آية السياق هو دعوة المنافق للتقوى بصيغة الأمر أو الطلب أو الرجاء وبالتصريح أو الكناية والإشارة، والترغيب أو الترهيب، نعم بذل المؤمن الوسع وإجتهاده في طاعة الله موعظة وحجة على المنافق.

---

(1) سورة النصر ١-٢.

(2) سورة البقرة ٢٠٨.

السابعة : تضمنت آية السياق توجه القول بتقوى الله إلى المنافق، فهل يتوجه ذات القول إلى المؤمن الذي يجاهد بنفسه حباً وشوقاً للقاء الله أم أنه قد بلغ مرتبة التقوى بأبهى حللها فتكون تلك الدعوة سالبة بانتفاء الموضوع، الجواب هو الأول، من وجوه :

الأول : تقوى الله من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً، ويكون الطلب للمؤمن بتقوى الله إرادة للإرتقاء في سلم الخشية من الله.

الثاني : موضوع تقوى الله أعم من ميادين الدفاع فيشمل العبادات والمعاملات وفي النهار والليل.

الثالث : بالأمر بتقوى الله ثواب لكل من :

الأول : الداعي إلى تقوى الله، وإجتناب معصيته، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

الثاني : العامل بتقوى الله.

الثالث : المتلقي للدعوة بالقبول وقصد القربة .

الرابع : المؤمن الذي يساعد الآخرين لبلوغ مراتب التقوى .

الخامس : السامع بالدعوة والقول مع الرضا به.

---

(1) سورة آل عمران ١٠٤.

الثامنة : أختتمت آية السياق بالوعيد والتخويف ثم تعقبتها آية البحث بخاتمة تبعث على السكينة بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فهل من تضاد بينهما، الجواب لا، إنما ورد الوعيد في الآية السابقة بخصوص المنافق الذي يشيع الفساد ويعبث في الأرض حسداً وطغياناً، ليكون هذا الوعيد من رأفة الله عز وجل بالناس من وجوه :

الأول : إقامة الحجة على المنافق وكشف حقيقته.

الثاني : بعث الفزع والخوف في نفوس المفسدين.

الثالث : دعوة المنافق والمفسد والظالم إلى التوبة والإنابة.

الرابع : إخبار الآية عن حقيقة الجزاء الأخروي، وفيه منع للجهالة والغرر وبرزخ دون التفريط في أمور الدين والدنيا.

الخامس : التذكير بأن الدنيا دار زوال وفناء وأن الحساب يوم القيامة على الأعمال ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾(١).

السادس : الرأفة بالمسلمين والناس جميعاً في تخويف ووعيد المنافق الذي يفسد في الأرض.

السابع : الترغيب بالإسلام للمنافق والكافر مطلقاً أي الذي يخفي الكفر ويظهر الإيمان، والذي يخفي ويظهر الكفر.

الثامن : بيان قانون كلي وهو أن بغض الله للفساد وعداوته للمفسدين وذمه للنفاق من رأفته بالناس وسبل إصلاحهم، لذا جاء متعلق الرأفة هم العباد.

---

(١) سورة غافر ٣٩.

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : جاءت آية السياق بصيغة الجملة الشرطية، وجاءت آية البحث بصيغة الجملة الخبرية، وفيه آية إذ أن الخبر أكثر تأكيداً في البيان والتحقيق، ويتصف الإخبار القرآني بأنه لا يحتمل إلا الصدق والقطع بخلاف التقسيم المنطقي للخبر.

الثانية : موضوع آية السياق هو المنافق الذي يخفي الكفر في ذات الوقت الذي يظهر فيه الإيمان ، أما موضوع آية البحث فهو المؤمن الذي أخلص في إيمانه.

الثالثة : لقد ذكرت آية السياق حال تولي المنافق وأنه يفسد في الأرض، ترى ما هو حال المؤمن الذي يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله إذا تولى، الجواب من وجوه:

الأول : يسعى المؤمن في إصلاح الأرض.

الثاني : يعمر المؤمن الأرض بذكر الله، قال تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾[2].

الثالث : من خصائص المؤمن إذا تولى تعاهد الحرث والزراعات، وإشاعة الأمن إلى جانب البركات التي تنزل من السماء.

---

(1) سورة البقرة ٢٠٥.

(2) سورة الحج ٣٥ .

الرابعة : يفيد الجمع بين الآيتين: ومن الناس إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله، لبيان أن الدنيا دار إمتحان وإختبار وأن وظيفة المؤمن زجر المنافق عن فساده، وإعانة المؤمن في دعوته إلى الله وتضحيته في سبيله.

الخامسة : تدل آية البحث بالدلالة التضمنية على حسن سمت المؤمن، وإنقطاعه إلى ذكر الله والخشية منه، والإنشغال بالجهاد في سبيله مما يعني أمن وسلامة الناس وأموالهم منه، فلا يأتيهم منه إلا الخير المحض.

السادسة : الغاية الحميدة من شراء المؤمن نفسه طاعة لله إصلاح المجتمعات وتقريب الناس لمنازل العبادة، وتنزيه النفوس من آفة الكفر وإسرار النفاق.

السابعة : حينما إحتجت الملائكة على جعل الإنسان خليفة في الأرض كما في التنزيل﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[١]، تفضل الله عز وجل ورد على الملائكة ببرهان قاطع﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ومن الإعجاز في القرآن تعلق آية السياق بموضوع الفساد الذي ذكرته الملائكة لأنها تخبر عن فساد وقتل لقوله تعالى﴿سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾، وتعلق آية البحث بخصوص المؤمنين

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

وهو من علم الله في المقام، ومن كنوز المعرفة في نظم آيات القرآن إنعدام الفاصلة بين الآية التي هي مصداق لقول وإحتجاج الملائكة وإخبارهم عن حصول الفساد في الأرض وبين آية البحث التي تتضمن التفصيل في علم الله عز وجل بأن تأتي التقوى والجهاد في سبيل الله ليس على الفساد وحده بل على أصله وهو النفاق وفيه رضا من الملائكة وثناء على الله، ودعاء للمؤمنين بالنصر والغلبة في الأرض والسلامة من القتل والعذاب، قال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

الثامنة: أختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ليكون من مصاديق رأفة الله بلحاظ آية السياق أمور:

الأول: بيان قبح فعل المنافق إذا تولى في الأرض، فقد جعل الله عز وجل العقل رسولاً باطنياً عند الإنسان وفيصلاً للتمييز بين الصلاح والفساد، وجعل نفسه تنفر من الفساد والقائم به، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2].

الثاني: منع المنافقين من الفساد، وهو من أسرار مجئ الآية بصيغة الإجمال والتنكير في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ...﴾[3]، وهذه الصيغة دعوة للتوبة وجذب لمنازل الهداية والرشاد.

---

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سورة القصص ٧٧.

(٣) سورة البقرة ٢٠٤.

الثالث : عدم بلوغ المنافق مرتبة التولية رأفة بالعباد ومنهم المنافق نفسه، ومن الإعجاز في آية البحث مجيؤها بلفظ العباد لإفادة الإطلاق والعموم في الناس، وعدم إنحصار الرأفة بفريق دون آخر من الناس.

الرابع : تعيين آية السياق لصيغة فعل المنافق وهي الفساد والإتلاف، وهذا التعيين رأفة ورحمة بالناس جميعاً، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، من جهات:

الأولى : كشف المنافقين، وبيان ماهية النفاق.

الثانية : ذم سوء فعل المنافقين.

الثالثة : حث الناس على منع المنافق من الولاية والسلطنة.

الرابعة : تبرأ الله عز وجل من قول وفعل المنافق وإن أشهد الله على ما في قلبه كما في الآية السابقة وقوله تعالى ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[2].

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾[3]، وفيها مسائل :

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه :

---

(1) سورة الأنبياء ١٠٧.

(2) سورة البقرة ٢٠٤.

(3) سورة البقرة ٢٠٣.

الأول : واذكروا الله في أيام معدودات ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله.

الثاني : ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه وأذكروا الله في أيام معدودات والله رؤوف بالعباد.

الثالث : واتقوا الله والله رؤوف بالعباد.

الرابع : والله رؤوف بالعباد واعلموا انكم إليه تحشرون.

الثانية : ذكر الله في أيام معدودات من شراء الإنسان نفسه في مرضاة الله لأنها من مصاديق الحج وعن الإمام الصادق: الحج جهاد الضعفاء[1].

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين إعانة المسلمين لبلوغ مرتبة شراء النفس في مرضاة الله بالتقوى وأداء مناسك الحج.

الرابعة : شراء النفس في مرضاة الله بذل الوسع في سبيله، وإخلاص العبادة ومصاحبة قصد القربة لأعمال البر والخير والإحسان، فجاءت آية السياق للهداية إلى مصاديق من شراء النفس في طاعة الله، وهي:

الأول : ذكر الله والتكبير المخصوص والمرسوم في أيام التشريق.

الثاني : العمل بالرخصة فيما يخص بعض الواجبات أيام الحج.

الثالث : الأمر بتقوى الله والتنزه عن المعاصي والفسوق، ومن المعاصي الصدود والإعراض عن الحج مع الإستطاعة، قال تعالى﴿وَلِلَّهِ

---

(١) الوسائل ٢٤٩/١٢ .

عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾[١].

الرابع : بلوغ مرتبة العلم بالحشر باعث إلى تقوى الله.

الخامسة : بين تقوى الله كما في آية السياق وشراء النفس في مرضاة الله عموم وخصوص مطلق، والتضحية في سبيل الله من مصاديق التقوى ومرتبة سامية ومتقدمة منها.

السادسة : يدل قوله تعالى﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢]، الذي أختتمت به آية السياق على أن شراء المسلم لنفسه لم يتم إلا عن تفقه وإيمان ورضا، فحينما يعلم المسلم أن الدنيا زائلة وأنها دار مرور وعبور إلى الآخرة التي يقف فيها الإنسان بين يدي الله عز وجل فانه يخلص في طاعته، ويعشق لقاءه، ويحب أن يلقاه بالفناء في مرضاته.

السابعة : مع أن كل الناس يبعثون وبصحبتهم أعمالهم في الدنيا فان الذين يبذلون الوسع ويضحون في سبيل الله فريق منهم، إذ أن الآية إبتدأت بلغة التبعيض (ومن الناس) وجاءت بين آية السياق والبحث ثلاث آيات تتعرض للمنافقين وسوء فعلهم وسعيهم للإضرار بالناس والأموال والزراعات.

الثامنة : أختتمت آية البحث بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ وفيه بلحاظ آية السياق مسائل :

---

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة البقرة ٢٠٣.

الأولى : أداء المسلمين للحج من رأفة الله بالناس.

الثانية : ذكر المسلمين لله وقيامهم مجتمعين ومتفرقين بالتكبير والتهليل أيام الحج والتشريق من رأفة الله في تشريع الحج، وتحتمل الرأفة في المقام وجوهاً:

الأول : إنها خاصة بالذين يبادرون إلى ذكر الله، وإتيان التكبيرات المرسومة في المقام.

الثاني : تتغشى رأفة الله المسلمين عامة من جهات:

الأولى : يؤدي فريق من المسلمين فريضة الحج في ذات العام فتصيب المسلمين جميعاً الرحمة خاصة، وأن أداء الحج مقيد بالإستطاعة، وتكفي فيه المرة الواحدة وما زاد فهو مندوب.

الثانية : يذكر المسلمون الله عز وجل في كل يوم من أيام السنة رجالاً ونساءً وعلى نحو الوجوب العيني بأداء الصلاة، وأيهما أعظم وأكثر نفعاً وثواباً الذكر في الأيام المعدودة أم أداء الصلاة، الجواب هو الثاني إذ يؤدي كل مسلم ومسلمة الصلاة خمس مرات في اليوم وفي جميع الأمصار وكل الأحوال.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة عمود الدين، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : من علم ان الصلاة حق واجب دخل الجنة[1].

الثالثة : دلالة آية البحث على العموم، وعدم التقييد بخصوص وفد الحاج أو ذكر معين، إذ إبتدأت آية السياق بقوله تعالى﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾

---

(1) مسند أحمد ٤٠٢/١.

ليجزي مسمى الذكر، ولو دار الأمر بين الأقل والأكثر، فالأقل مبرئ للذمة وإن كان الإحتياط في الأكثر والتكرار.

الثالث : رأفة الله عز وجل عامة وشاملة للبشر كافة وإن تعلق أمر الذكر بالمسلمين خاصة من جهات:

الأولى : يذكر المسلمون الله في أيام الحج فتنزل الرحمة على أهل الأرض وتهطل الأمطار، وتعمر البلدان، وينصرف البلاء، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[1].

الثانية : وردت آية البحث ومضامين رأفة الله بالناس مطلقة وشاملة للعباد (والعباد جمع عبد)[2].

الثالثة : تتصف أيام الحج بأنها مباركة، وكذا البيت الحرام، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، فتفيض البركات من أفراد الزمان ومن موضع البيت والآيات التي فيه، ومن تكبير المسلمين أيام الحج وسماع الملائكة لهم.

الرابعة : من رأفة الله بالعباد بلحاظ آية السياق جعل المسلمين يتعاهدون الذكر المخصوص في أيام الحج سواء الذين في الموسم أو الذين هم في أمصارهم ويؤدون الصلاة في مساجدهم أو بيوتهم.

الخامسة : ذكر المسلمين لله أيام الحج دعوة للناس لدخول الإسلام وواقية من أذاهم، وحث للمنافقين لتطهير نفوسهم من النفاق.

---

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤/١٠٦.

(٣) سورة آل عمران ٩٦ .

التاسعة : من رأفة الله عز وجل بالناس أداء الحج والتي ورد فرد منها بجلاء في آية البحث، وفيه منع من تشديد المسلمين على أنفسهم، وزجر عن الجدال والخصومة مع الفقيه الذي يستنبط الرخصة من القرآن والسنة، أما ذكر الله الذي ورد في آية السياق فلا صلة له بالحرج والزحام وضيق المكان بل هو سبب للتوسعة المعنوية في الموضع بالإنشغال العام بذكر الله والإنقطاع إليه سبحانه لذا جاء الأمر مطلقاً ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ ولقدرة المسلم على الذكر قائماً وجالساً ومستلقياً (عن ابن مسعود في قوله { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم } قال : إنما هذا في الصلاة ، إذا لم يستطع قائماً فقاعدا ، وإن لم يستطع قاعداً فعلى جنبه) [1] والآية لأعلاه أعم في موضوعها ودلالاتها.

العاشرة : يفيد الجمع بين خاتمتي الآيتين البشارة للمسلمين بحسن العاقبة والثواب الجزيل لأن الله يتغشاهم برأفته في الدنيا وكذا يرأف بهم في الآخرة إذ يحتاج كل إنسان رحمة الله في الحياة الدنيا والآخرة وأشد ما تكون تلك الحاجة في الآخرة لأنها جلية وواضحة بالذات والسبب والأثر ..

الحادية عشرة : تقدير الجمع بين آية البحث وخاتمة آية السياق على وجوه:

الأول : ذكر المسلمين لله عز وجل في أيام الحج من شراء النفس في مرضاة الله.

---

(1) الدر المنثور ١٧/٢.

الثاني : بيان كيفية وصيغة من صيغ شراء النفس في مرضاة الله وهو ذكر الله والتكبير في أيام الحج ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١).

الثالث : يحشر المسلمون بتقواهم وخشيتهم من الله، فتغبطهم الخلائق وتقول هذه الأمة المتقية.

الرابع : ذكر المسلمين لله عز وجل في أيام الحج من بذلهم أنفسهم في مرضاة الله، وتسخيرها في طاعة الله والتنزه عن الكفر بالفرائض.

الخامس : حشر المسلم بايمانه وتصديقه بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لمصاحبة عمل الإنسان له في الآخرة .

السادس : التطلع إلى سعة رحمة الله بالمسلمين يوم القيامة، وغفران الذنوب، ومضاعفة الحسنات، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن للّه تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون ، وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة(٢).

الشعبة الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾(٣)، وفيها مسائل :

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) مفاتيح الغيب ١/١٤٧.

(٣) سورة البقرة ٢٠٨.

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : يا أيها الذين آمنوا من الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله.

الثاني : يا أيها الذين آمنوا الله رؤوف بالعباد.

الثالث : ادخلوا في السلم كافة ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله.

الرابع : ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان.

الخامس : والله رؤوف بالعباد ولا تتبعوا خطوات الشيطان.

الثانية : جاءت آية البحث بصيغة التبعيض (ومن الناس)، وجاءت آية السياق على وجهين :

الأول : صيغة العموم بخصوص للمسلمين والمسلمات.

الثاني : التبعيض بالنسبة للناس جميعاً، فبين الناس والمسلمين عموم وخصوص مطلق، فالمسلمون شطر من الناس، لتتعلق آية البحث بخصوص الخصوص وأن فريقاً من المسلمين يبذلون نفوسهم في في طاعة الله وطلباً لمرضاته .

(وأخرج ابن سعد عن عباد بن الوليد بن عبادة بن الصامت : أن أسعد بن زرارة أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة فقال : يا أيها الناس هل تدرون علام تبايعون محمداً؟ إنكم تبايعونه على أن تحاربوا العرب والعجم والجن والإنس كافة . فقالوا : نحن حرب لمن حارب وسلم لمن سالم . فقال أسعد بن زرارة : يا رسول الله اشترط

عليٌّ ، فقال : تبايعوني على أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، والسمع والطاعة ، ولا تنازعوا الأمر أهله ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهليكم . قالوا : نعم . قال قائل الأنصار : نعم هذا لك يا رسول الله فما لنا؟ قال : الجنة والنصر) [1].

الثالثة : تتصف آية البحث بأنها ثناء على المؤمنين، ومدح لهم، وترغيب بالجهاد، أما آية السياق ففيها إنذار وتحذير من إتباع ومحاكاة الشيطان في جحوده وإستكباره وضلالته.

الرابعة : وردت آية البحث بصيغة الجملة الخبرية وجاءت آية السياق بلغة الإنشاء.

الخامسة : تتكون آية السياق من ثلاثة مواضيع :

الأول : الخطاب للمسلمين بلغة المدح والثناء.

الثاني : أمر المسلمين بالدخول في السلم.

الثالث : نهي المسلمين عن إتباع خطوات الشيطان وإغوائه وعن مسروق : أتى عبد الله بن مسعود بضَرْع وملح، فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود: ناولوا صاحبكم. فقال: لا أريده. فقال: أصائم أنت؟ قال: لا. قال: فما شأنك؟ قال: حرمت أن آكل ضَرْعًا أبدا. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطْعَمْ وكفِّر عن يمينك.

رواه ابن أبي حاتم، وقال أيضًا:

---

(١) الدر المنثور ١٦٩/٥.

حدثنا أبي، حدثنا حَسَّان بن عبد الله المصْري، عن سليمان التيمي، عن أبي رافع، قال: غضبت على امرأتي، فقالت: هي يومًا يهودية ويوما نصرانية، وكل مملوك لها حر، إن لم تطلق امرأتك. فأتيت عبد الله بن عمر فقال: إنما هذه من خطوات الشيطان. وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة، وهي يومئذ أفقه امرأة في المدينة. وأتيت عاصمًا وابن عمر فقالا مثل ذلك.

وقال عبد بن حميد: حدثنا أبو نعيم عن شريك، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما كان من يمين أو نذر في غَضَب، فهو من خطوات الشيطان، وكفارته كفارة يمين[1].

السادسة: الدخول في السلم من مقدمات شراء النفس في مرضاة الله، ومن مصاديقه، فحينما ذكرت آية البحث التضحية بالنفس في سبيل الله والترغيب فيها جاءت آيه السياق بعدها مباشرة في بيان مصداق قريب وهو الدخول في السلم.

السابعة: يفيد الجمع بين الآيتين أن شراء النفس في مرضاة الله لا يختص بالجهاد والدفاع في ميادين المعارك بل يصدق على التعاون والتآلف بين المسلمين ونبذ الفرقة بينهم، قال تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴾[2].

الثامنة: لما أخبرت آية البحث عن بذل فريق من الناس أنفسهم في سبيل الله تعقبتها آية السياق بالخطاب (يا أيها الذين آمنوا) ليكون الإيمان

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٩/١ .

(٢) سورة الأنفال ٤٦.

بالله والتصديق بنبوة محمد من بذل النفس في سبيل الله ، سواء بأداء العبادات أو بالإستعداد للتضحية والجهاد عندما يكون واجباً عينياً أو كفائياً.

التاسعة : بذل النفس في مرضاة الله قهر للشيطان، وحرب عليه وبرزخ دون إفتتان الناس باغوائه.

العاشرة : التضحية في سبيل الله مصداق التقوى وإخلاص الإيمان.

الحادية عشرة : التقوى واقية وبرزخ دون إتباع الشيطان، وهي طريق لدخول الجنة وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: تقوى الله وجسن الخلق).

الثانية عشرة : من حسن الخلق العصمة والحبطة والحذر من إتباع الشيطان ويتقوم حسن الخلق بأمور:

الأول : الإيمان.

الثاني : الصبر .

الثالث : عفة البطن والفرج.

الرابع : العدل والإنصاف، والتنزه عن التعدي باليد أو باللسان.

الخامس : كظم الغيظ، وإظهار التحمل وعدم مقابلة التعدي بمثله قال تعالى﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾(١).

---

(١) سورة الرعد ٢٢.

السادس : السخاء والشجاعة من غير اسراف أو تهور والضابطة فيها لا إفراط ولا تفريط، وهو من علوم فقه الأخلاق من والتي يمكن استنباطها من الكتاب والسنة

الثالثة عشرة : صلة خاتمة آية البحث (والله رؤوف بالعباد) بآية السياق على وجوه:

الأول : هداية المسلمين للإيمان والتصديق بالتنزيل.

الثاني : من رأفة الله عز وجل بالعباد لغة النداء وخطاب المسلمين بصفة الإيمان (يا أيها الذين آمنوا) وهذه الرأفة من وجوه:

الأول : تثبيت المسلمين في منازل الهداية والإيمان.

الثاني : دعوة الناس لدخول الإسلام، وبيان النعم التي فيه، والتي تترشح عنه، ومنها الخطاب الإلهي للمسلمين بصفة الإيمان.

الثالث : مجئ الدعوة لدخول المسلمين في السلم بصيغة الأمر والوجوب للدلالة على أن هذا الدخول رأفة بهم، وهل هو رأفة بالناس من غير المسلمين، الجواب نعم من وجوه :

الأول : دخول المسلمين في السلم دعوة للناس للإيمان ببيان حسن سمت المسلمين وكونهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

الثاني : دخول المسلمين في السلم أمن للناس جميعاً، وباب لشيوع العدل والإنصاف في الأرض، إذ أن المسلمين يدخلون في السلم من

---

(1) سورة آل عمران ١١٠.

مقامات الولاء والسلطنة والشأن بدليل قوله تعالى في آية السياق(كافة) لإفادة العموم وعدم إستثناء جماعة أو طائفة من المسلمين.

الثالث : طاعة المسلمين لله عز وجل حجة على الناس، ودعوة للصلاح وإشاعة لمفاهيم الود والمحبة بين الناس.

الحادية عشرة : من رأفة الله عز وجل بالناس زجرهم عن إتباع خطوات الشيطان.

فان قلت جاء النهي والزجر خطاباً خاصاً للمسلمين والمسلمات وليس الناس جميعاً، والجواب من وجوه:

الأول : الأصل هو دخول الناس الإسلام، ومن ثم تلقيهم النهي عن إتباع خطوات الشيطان، قال تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[1].

الثاني : نهي المسلمين عن أمر ورد الدليل على قبحه، ولزوم إجتناب الناس له سواء بقصد القربة حيث يأتي الأجر والثواب أو تعففاً وتنزهاً.

الثالث : أخبرت آيات القرآن عن عداوة الشيطان للناس جميعاً.

الرابع : عصمة المسلمين من إتباع الشيطان وإغوائه رحمة بالناس جميعاً، لأن هذه العصمة حرب على الغواية ومدرسة في الإمتناع عن إتباع الهوى، وغلبة النفس الغضبية.

الخامس : تخاطب الآية العقول إذ جعل الله سبحانه العقل الإنساني ينفر من ماهية خطوات الشيطان وما تجليه على الإنسان من الضرر النفسي والبدني والمالي.

---

(1) سورة سبأ٢٨.

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١)، وفيها مسائل :

الأولى : إتحاد موضوع الآيتين، ومجئ كل منهما بخصوص المسلمين، وإن كانت آية البحث خبرية، وآية السياق بصيغة الإنشاء والخطاب.

الثانية : تتضمن آية البحث الثناء على المسلمين، ومدح الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله، أما آية السياق فتخبر عن حدوث الزلل والخطأ عند المسلمين، فهل من تعارض بينهما، الجواب لا، فقد يخطأ وتزل قدم المؤمن فتأتي تضحيته وتحمله المشاق في مرضاة الله كفارة لذنوبه، قال تعالى ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٢)(٣).

الثالثة : آية السياق مقدمة لآية البحث مثلما هي في طولها، وإصلاح للمسلمين لبذل الوسع في جنب الله، ويخلص كل مسلم في إيمانه، ويتخذ التقوى لباساً وطريقاً وبلغة وغاية.

الرابعة : أختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ وفيه بلحاظ آية السياق وجوه:

الأول : تفضل الله باقالة عثرة المسلمين، ولا تختص الإقالة بالعثرة على نحو القضية الشخصية، بل تشمل عثرة الجماعة لورود الآية بصيغة

---

(١) سورة البقرة ٢٠٩.

(٢) سورة آل عمران ١٥٧.

(٣) أنظر الجزء الثلاثين بعد المائة الذي جاء خاصا بتفسير هذه الآية.

الجمع (فان زللتم) ومن الشواهد مخالفة أكثر الرماة يوم أحد لأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدم مغادرة موضعهم وإن إنتصر المسلمون وأخذوا الغنائم، ولكن المغفرة من الله أدركتهم، ومنها في ذات اليوم موضوع قوله تعالى﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[1].

الثاني : عدم مؤاخذة الله عز وجل المسلمين عند القصور والتقصير بعد إقامة الحجة ومجئ البرهان، لأن زللهم من منازل الإيمان وليس جحوداً.

الثالث : آية البحث من رأفة الله بالمسلمين والناس جميعاً، ودعوة لدخول الإسلام والإنتفاع من الرخصة ومضامين العفو والمغفرة التي يختص بها المسلمون.

الرابع : تأكيد مجئ البينات والحجج الباهرات للمسلمين بنزول القرآن وإعجاز ألفاظه، وقدسية مضامينه، وبالمعجزات الحسية التي جرت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامس : مضامين آية السياق بشارة للمسلمين، ودعوة لهم للعمل وعدم الخشية من إحتمال الخطأ والزلل، فحينما يخطأ المسلم فان آية السياق وعد كريم للعفو عنه وعدم مؤاخذته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[2].

---

(1) سورة آل عمران ١٢٢.

(2) الكشف والبيان ٤٦٧/١.

الخامسة : أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وفيه شاهد بأن تفاني المسلم في طاعة الله، وإندفاعه إلى سوح الدفاع جهاداً إنما هو لنفسه، فالله عز وجل غني غير محتاج، والحاجة ملازمة للإمكان، فكل ممكن محتاج، والباري واجب ودائم الوجود وفي التنزيل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[1]،

وأراد الله عز وجل للمسلمين صدق الإيمان، والجهاد في سبيله كي يكون مثواهم الجنة والنعيم الدائم.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : جاءت كل من الآيتين بصيغة الغائب، مع التباين الموضوعي بينهما، فآية البحث ثناء وبشارة وباعث على السكينة بحسن لقاء الله يوم القيامة، أما آية السياق فانها تتضمن التحدي المقرون بالذم على الإقامة على العناد، وترك الإيمان.

الثانية : من الناس من يسعى ويستعد إلى أجله، ويبذل وسعه في طاعة الله، ولا يتردد في ملاقاة أسباب الحتف إذا كان فيها إصلاح للمجتمعات وإعلاء لراية الإسلام، ولبث دائم في جنة الخلد والنعيم، ومنهم من يختار اللجاج والجدال ويقيم في منازل العناد والإستكبار إلى أن يأتيه الأجل.

---

(١) سورة الحديد ٣.

(٢) سورة البقرة ٢١٠.

الثالثة : تضمنت آية البحث الوعد الكريم برأفة الله بالعباد، ومنها بلحاظ آية السياق أمور:

الأول : بيان حال قوم أصروا على الكفر والجحود.

الثاني : مجئ آية السياق بصيغة الإستفهام الإنكاري والتوبيخ لزجر الناس عن الكفر.

الثالث : دعوة الناس للتوبة والإنابة قبل حلول الأجل، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ...﴾[1].

الرابع : الإنذار من بطش الله ونزول عذابه بالكافرين.

الرابعة : يفيد الجمع بين الآيتين تثبيت المسلمين في منازل الإيمان، ومنعهم من الإفتتان بالكفار وغرورهم أو الإنشغال بالدنيا وزينتها، وليبذل المسلمون جهدهم في سبيل الله بقصد القربة، وإرادة الثواب والإقامة في دار النعيم.

الخامسة : يدل الجمع بين الآيتين على حتمية حلول الأجل ومغادرة الإنسان للدنيا، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]، ويغادر الناس الدنيا بكيفية متعددة ومتباينة، فجاءت آية السياق بصيغة للمغادرة مغايرة ومضادة للصيغة التي يغادر بها المؤمن الدنيا إذ تستقبله الملائكة بالبشرى وتحفه وتتلقاه بأسباب الغبطة، أما الكافر فانه يغادر الدنيا بعذاب أليم من الملائكة.

---

(1) سورة آل عمران ٩١.

(2) سورة يونس ٤٩.

ورد الله عز وجل على الملائكة حينما إحتجت على جعل خليفة في الأرض بقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [١]، ومن علمه تعالى أن الدنيا هي دار إختبار وإمتحان وان الناس منهم من يختار العودة إليه ويغادر منازل الخلافة زاهداً فيها لطمعه بما عند الله من العيش مع زمرة الملائكة، ومنهم من يتوفاه الله عز وجل ويكون مصيره إلى النار وهو الذي يفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[٢].

اعجاز الآية

في الآية ثناء على المسلمين ودعوة لهم للإرتقاء في منازل التقوى، والسياق هنا يبين عدم ترك المنافق من غير مواجه ورادع وناقض ايماني له، فبحضور الإيمان تنكشف عيوب النفاق وما فيه من القبائح الأخلاقية، وتبعث الآية في النفوس الأمل والثقة بانتصار الإسلام وتطرد القنوط الذي قد يسببه تصرف المنافقين او ذكر حالهم.

لقد جعل الله عز وجل القرآن ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٣]، ومن وجوه البيان ذكره لعلة الخلق مما يدل على أن القرآن جامع للعلة والمعلول، والسبب والمسَبب، وكذا سنخية السنن، ومراتب الأشياء، وكيفية الخلق، قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[٤]، وكأن في الآية

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة النحل ٨٨.

(٣) سورة النحل ٨٩ .

(٤) سورة غافر ٥٧.

إشارة إلى عالم الأستنساخ الحيواني والبشري ، وعجز الناس وإن إجتمعوا عن إيجاد مثل السماوات والأرض ، وهو من معاني قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [١].

ليكون في الآية أعلاه نوع تحد متقدم زماناً فحتى لو تم صناعة إنسان الإستنساخ ونحوه فان القرآن يبين عجز الخلائق عن إدراك معشار بديع صنع الله، إذ أن الإنسان يموت ويغادر الدنيا وبشأنه الصغير، أما السموات والأرض فهي باقية بعظمتها وسعتها، ومن العلل التي ذكرها الله علة خلق الإنسان، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٢]، فاشترك الإنسان مع أبناء جنسه مطلقاً ومع الجن في طوائفهم المختلفة في موضوع وسبب خلقهم وهو عبادة الله عز وجل .

ومن إعجاز الآية أعلاه أنها حجة متجددة على الناس، فلم تأت بصيغة المفرد واسم الجنس، ولم تقل الآية (وما خلقت الجان والإنسان) كيلا يحتمل إنصراف الآية إلى آدم أو فريق من الناس.

وقد أختتمت هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ليكون من رأفته في المقام أمور :

الأول : إدراك الناس لوجوب العبادة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [٣].

---

(١) سورة البقرة ١١٧.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

الثاني : تقريب الناس لمنازل العبادة.

الثالث : بيان الحسن الذاتي لسنن التقوى.

الرابع : تفقه الناس في الدين.

الخامس : وجود فريق من الناس يضحي بنفسه في مرضاة الله.

وجاءت آية البحث بخصوص الأمر الخامس أعلاه الذي هو ثمرة الأمور الأربعة الأولى أعلاه، ومن مصاديق رأفة الله بالناس جذبهم إلى منازل الإيمان، فيفوز بالإستجابة والإمتثال فريق من الناس ذكرت آية البحث أسناهم ممن يتفانى في طاعة الله ليتعاهد عبادة الله في الأرض بنفسه وبكيفية هي عز وفخر للناس جميعاً بأن يبادر إلى مواقع الفداء وميادين الدفاع في سبيل الله.

ويمكن تسمية هذه الآية آية (**يشري نفسه**) ولم يرد لفظ (يشري) في القرآن إلا في هذه الآية.

الآية سلاح

تنمي الآية ملكة الجهاد في سبيل الله والتسامي والإخلاص في محبته تعالى، وتبين فضله تعالى في حفظ المؤمن والذب عنه، وتساهم الآية في التغلب على النفس الأمارة بالسوء.

جاءت الآية بصيغة الجملة الخبرية ، وتتضمن بيان حقيقة وهي شدة إخلاص فريق من الناس في عباداتهم ليبلغوا مرتبة التضحية بالنفس من أجل خلودها في النعيم، وهو من أسرار مجئ الآية بلفظ الشراء فهو يشتري دوام الحياة والسعادة في الآخرة وتسلم نفسه في أهوال يوم القيامة

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، ينجو من إبتلاء الدنيا وما فيها من الأذى والضرر.

ومنه ما تذكره الآيات الثلاثة السابقة من عداوة المنافق وفساده وإتلافه للممتلكات، فليس في الجنة أذى أو وسوسة أو إغواء.

ومن الإعجاز في سبل الهداية في القرآن أن المؤمن لاينزوي في صومعة للعبادة بل يجاهد ويواجه الكفار والمنافقين، ويبذل نفسه لصدهم عن الكفر، ودفع فسادهم، والإنتفاع من تضحية المؤمن بنفسه في طاعة الله أعم من أن يختص بشخصه، وفيه وجوه:

الأول : إنتفاع المسلم الذي يتلو آية البحث بدعوته إلى بلوغ مرتبة التقوى واليقين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2].

الثاني : بعث الفزع والخوف في قلوب الكفار والمنافقين بوجود جيش من المؤمنين يجاهدهم ويدفعهم عن مقامات الولاية التي يتخذونها واسطة وآلة للفساد.

الثالث : تنمية ملكة التقوى عند المسلم بأن يجاهد نفسه لنقلها إلى مراتب التضحية في سبيل الله.

---

(١) سورة البقرة ٢٧٧.

(٢) سورة الأسراء ٩.

الرابع : بيان عجز الكفار والمنافقين عن تحقيق الغلبة في الأرض فعند المؤمنين سلاح يتعذر على عدوهم إحرازه، وهو التضحية بالنفس شوقاً إلى لقاء الله ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ . . .﴾[1] مما يدل على أن أن المواجهة والمنازلة والقتال بين المؤمنين والكفار لاتنتهي إلا بنتيجة واحدة وهي غلبة كفة الإيمان، وإنتصار المؤمنين فلا غرابة أن يلازم النصر المسلمين في معاركهم الأولى مع أن عددهم في كل معركة منها نحو ثلث عدد المشركين، قال تعالى بخصوص معركة بدر﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[2].

ومن منافع بيان عجز الكفار عن تحقيق الغلبة ترغيب الناس بدخول الإسلام، ودعوة الكفار لنبذ الكفر والضلالة، وبعث الفزع في قلوب المنافقين.

أسباب النزول

ذكرت فيها عدة روايات تدل على نزولها في علي بن ابي طالب ومبيته في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة خروجه الى الغار فلقد تحالفت قريش على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتفقوا ان تقوم كل قبيلة باختيار احد شبابها ليقتحموا عليه بيته ويقتلوه ليلاً وهو نائم ويضربوه ضربة رجل واحد فلا يستطيع بنو هاشم ان يأخذوا بثأره لتعذر تشخيص وافراد قاتله بعد تعدده.

فنزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بذلك

---

(١) سورة آل عمران ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

وامره ان يبيت ابن عمه علياً عليه السلام على فراشه ويخرج هو مهاجراً الى المدينة، ففعل ذلك وجاء الفتية الى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عازمين على الفتك به ومحاولين اطفاء نور الإسلام وفق ما تعاقدوا عليه فكبسوا عليه البيت ودخلوه عنوة وخلسة فوجدوا علياً نائماً على فراشه فتنحنح فعرفوه فرجعوا خائبين خاسرين ونجى الله نبيه من كيدهم وهو المروي عن الإمام الباقر والصادق عليه السلام.

كما روي عن انس بن مالك قال: لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الغار ومعه ابو بكر امر النبي علياً ان ينام على فراشه ويتغشى ببردته فبات علي موطناً نفسه على القتل ، وجاءت رجال من قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما ارادوا ان يضعوا عليه اسيافهم لا يشكون انه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ايقظوه ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه فلما ايقظوه فرأوه علياً تركوه وتفرقوا في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[١].

وروي عن ابن عباس أيضاً قال: بات علي عليه السلام ليلة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المشركين على فراشه ليعمى قريش ونزلت هذه الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾.

وروي قريب منه عن ابن عباس في مسند احمد بن حنبل ومناقب الخوارزمي ومختلف كتب المسلمين، وهذه الواقعة تنقل بالتواتر وهو طريق يفيد القطع ويعدها المسلمون كافة من مناقب امير المؤمنين عليه السلام وفضائله وقد روي ان جبريل عليه السلام اقام عند رأسه وميكائيل عند

---

[١] سورة البقرة ٢٠٧.

رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، ونزلت الآية.

ومضامين الآية تظهر فضل الله تعالى عليه فيما ناله من المراتب السامية والرياسة العامة في امور الدين والدنيا ودخول محبته الى قلب كل مسلم ومسلمة والى يوم القيامة.

وذكرت اسباب اخرى لنزول الآية منها ما روي عن عكرمة قال : نزلت في صهيب (قال : نزلت في صهيب بن سنان ، وأبي ذر الغفاري ، وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر ، أما أبو ذر فانفلت منهم ، فقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما رجع مهاجراً عرضوا له وكانوا بمر الظهران ، فانفلت أيضاً حتى قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما صهيب فأخذه أهله فافتدى منهم بماله ، ثم خرج مهاجراً فأدركه قنفذ بن عمير بن جدعان ، فخرج ممّا بقي من ماله وخلى سبيله)[1] ، وذكر أن الآية نزلت في عمار بن ياسر وسمية امه وياسر ابيه وبلال مولى ابي بكر وخباب بن ارت وعابس مولى حويطب اخذهم المشركون فضربوهم، فاما صهيب فقال لأهل مكة: اني شيخ كبير ولي مال ومتاع ولا يضركم كنت منكم او من عدوكم تكلمت بكلام وانا اكره ان انزل عنه، وانا اعطيكم مالي ومتاعي واشتري منكم ديني، فرضوا منه بذلك وخلوا سبيله فانصرف راجعاً الى المدينة فنزلت الآية.

ومنها انها نزلت في رجل امر بمعروف ونهى عن منكر ونسب الى ابن عباس ايضاً.

ونزولها في علي عليه السلام ثابت عند عامة علماء المسلمين والواقعة مناسبة لنظم الآية وموضوعها ودلالتها أعم لأن المدار على عموم اللفظ وليس سبب النزول لذا ورد عن صهيب قال (لما خرج النبي صلى الله

---

(١) الدر المنثور ٤٨٠/١.

عليه وآله وسلم إلى المدينة هممت بالخروج ، فصدني فتيان من قريش ثم خرجت ، فلحقني منهم أناس بعد ما سرت ليردوني ، فقلت لهم : هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي؟ ففعلوا . فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقي ، وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قباء قبل أن يتحوّل منها ، فلما رآني قال : يا أبا يحيى ربح البيع ، ثم تلا هذه الآية) [١] لتكون محط افتخار لكل مسلم وباب اقتداء كريم مع فضله تعالى في نجاته وحفظه وهو الذي تدل عليه خاتمة الآية وتظهر الأذى الشديد الذي كان يلاقيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته واصحابه من الكافرين.

مفهوم الآية

من اعجاز القرآن ومعالم مدرسته التعليمية مجيء مفاهيم التقوى والصلاح بعد ذكر مصداق القبح الشرعي والعقلي، وهذا التعاقب للتأديب والإرشاد وكأنه من النسخ الأخلاقي والموضوعي وفيه بعث الى الصالحات وتحبيب لفعل الخيرات ونبذ الفسوق والضلالة، فبعد ذكر صفات المنافق وضرره على المجتمع والدين جاء ذكر المؤمن الذي يحمل الصلاح مع البشارة والوعد الكريم بحسن الجزاء، وابتدأ ذكر موضوع النفاق والإيمان بقوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ مما يعني ان اهل الإيمان ايضاً من الناس وان المراد الذين اختاروا الإسلام واخلصوا النية والعمل وفازوا بمرضاته تعالى ، وفيه ترغيب لعامة الناس بالهداية والإيمان .

---

(١) الدر المنثور ٤٨٠/١.

وتظهر هذه الآية دراسة مقارنة بين المنافق والمؤمن للحث على الإيمان ولمنع اليأس من التسلل الى نفوس المسلمين من تعدي وظلم الكافرين، كما انها حافز للتوجه نحو الناس بالخطاب والدعوة الى الإسلام والهداية والترغيب بالإسلام، فالآية وحدها دعوة للناس لدخول الإسلام وحث للمسلمين على نشر الرسالة ومنع من القنوط فاذا رأينا منافقاً او كافراً يسيء الى الإسلام والناس فلا يعني هذا التوقف والإنكماش بل يجب ان تستمر الدعوة والولاء للإسلام ، فمن الناس من اصلحه الله للإسلام.

كما تظهر الآية الفرق بين المنافق والمؤمن ، فالمنافق يظهر بلسانه من الحسن غير الذي يخفيه من القبح ويحاول التستر وارتداء غير لباسه ولكن القرآن يفضحه ويخزيه ويبشره بالعذاب، بينما المؤمن يقصد مرضاته تعالى على نحو مباشر ومن دون لبس او تردد لتمتلأ نفسه بالسعادة والغبطة ويحظى بحب واحترام الناس واطمئنانهم اليه وعدم خشيتهم من إضراره بهم وبمزروعاتهم وممتلكاتهم مما يعني ان الإيمان رحمة للناس وباعث على استقرار المجتمعات وانتظام معايش الناس وبذا تظهر الحاجة الى الإيمان والسعي لمرضاة الله تعالى ، لتترشح منافع هذا السعي على نفوس المجتمعات فيصلحها لتنزل شآبيب الرحمة على الناس فينتفع من الإيمان المسلم وغير المسلم.

إفاضات الآية

هذه الآية سياحة في النفس الإنسانية، وأسرار نفخ الله في آدم من روحه بأن صار فريق من الناس يعشق الشهادة في سبيل الله ويفنى في طاعته ويشتاق إلى لقائه، ليكون كل واحد منهم أمة في الخير، وصرحاً إيمانياً يقف في وجه النفاق والضلالة، وجاءت آية البحث لبعث السكينة

في نفوس المسلمين من فساد المنافقين والأضرار المترتبة عليه وأن فسادهم عرض زائل إذ يتصدى لهم أهل التضحية في سبيل الله فيهزمونهم قال تعالى ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[١]، وهو الذي تدل عليه أسباب النزول ويؤكده الوجدان والواقع المتجدد في حياة الإنسان، وتطرأ سطوة النفاق وسرعان ما تزول، ولا تزول بذاتها ولكنه من رشحات إستعداد المؤمنين للشهادة.

ومن مصاديق التضحية في سبيل الله دفع الفساد، وإزاحة المنافقين عن مقامات الرياسة والسلطنة التي يصلون إليها باظهارهم الإسلام وعدم كشف الناس لما يخفون من الكفر، فتأتي أعمالهم لتكشف هذه السنخية، ولن تكون أفعالهم جاثوماً على الصدور بل تتصدى ثلة من المؤمنين لإزاحتهم وذكرت آية البحث أهل الأمر بالمعروف بالثناء والمدح وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

لذا فمن إعجاز الآية ورودها بلغة الإجمال في النسبة والتبعيض(ومن الناس) ليكون هذا الفريق من الناس من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة كثرة وقلة، وتكون تلاوة المسلمين لهذه الآية في الصلاة وخارجها وتدبرهم في معانيها ودلالاتها مناسبة كريمة لكثرة أهل هذه الآيتين بين صفوفهم، والنسبة بين عموم المسلمين والذين يشرون أنفسهم إبتغاء مرضاة الله هي العموم والخصوص المطلق، ولكنها قد تكون التساوي بينهما بإرتقاء كل مسلم ومسلمة إلى مرتبة شراء النفس والتضحية بها في سبيل الله.

---

(١) سورة التوبة ١٤.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

وهل يشري المؤمن نفسه وحدها بالتضحية في سبيل الله، أم أن موضوع الشراء والنفع أعم، الجواب هو الثاني من وجوه:

الأول : إنجذاب فريق من الناس للمؤمن الذي يشري نفسه.

الثاني : إشاعة سنخية التضحية في سبيل الله بين المؤمنين.

وشراء الشئ حيازته بعوض بعد أن لم يكن ملكاً للمشتري، وتتغشى الإنسان غبطة خاصة لايعلمها إلا الله عز وجل عندما يحوز شيئاً ثميناً ويصبح ملكاً له، وتتناسب هذه الغبطة طردياً مع كبر وغلاء العين المشتراة، وليس من شئ أثمن من النفس وإمتلاكها، لتكون هذه الآية سبيل هداية إلى أفضل البيوع ومن غير أن يتعلق بطرف آخر من البشر أو حاجة إلى مال ونقد، والثابت في الفقه أن البيع والشراء من العقود ويكون فيه أطراف وهي:

الأول : البائع.

الثاني : المشتري.

الثالث : العين المشتراة.

الرابع : العوض والبدل.

وليس من بائع في المقام، والعين المشتراة هي النفس، وشراؤها بالإستعداد لبذلها، وإقحامها والبدن في الذي فيه تلفها، وقد نزل القرآن بذم قوم إختاروا الجحود بالتنزيل بعد البشارة به والبينة والحجة الذاتية للقرآن، قال تعالى ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾[1].

---

(1) سورة البقرة ٩٠.

وهل يفيد الجمع بين الآية أعلاه وآية البحث لزوم شراء الإنسان نفسه في الخير والشر، وأن العاقبة تتقوم بشراء النفس على نحو حتمي.

الجواب لا، والله عز وجل واسع كريم فقد أراد بيان حال طوائف من الناس، والصراع بين الإيمان والكفر، والهدى والضلالة، مع إضافة على البيان وهي ترغيب الناس بالإيمان، وجعل نفوسهم تنفر من الضلالة وما يؤدي إلى دخول النار.

الآية لطف

صحيح أن الدنيا دار إختبار وإبتلاء وإمتحان، ولكن الله سبحانه لم يترك الإنسان يخوض غمار الإختبار فيها بمفرده، ولم يجعله يواجه عداوة الشيطان له بذاته، وان كان كيد الشيطان واهناً، قال تعالى ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[1].

فجاءت آية البحث لبعث القوة والمنعة في نفس المسلم، وجعله يجتاز إختبار الحياة الدنيا بملكات تبتنى على التقوى، وتكون مادة وسبباً للأمن والنجاة في مواطن يوم القيامة، فمن خصائص آية البحث أنها سلامة وأمن في الآخرة فهي تدعو إلى بذل النفس في سبيل الله ، ولكن لا ملازمة بين بذلها وبين الموت والشهادة ، فقد يأتي المؤمن بمصاديق شراء نفسه في مرضاة الله، ويقاتل في سبيله ويضحي بماله ويتحمل الأذى في جنب الله، ولكنه يخرج سالماً منتصراً، وهو من الشواهد الحاضرة والمتجددة على رأفة الله بالمؤمنين.

---

(1) سورة النساء ٢٨ .

ومن الإعجاز واللطف في آية البحث إختتامها بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فمن الرأفة دفع الضرر والقتل عن المؤمن، ومنه صرف القتال والإقتتال بين المسلمين والكفار فلا تقع خسائر في الأرواح والأموال بين الطرفين، لذا وردت الآية باحاطة رأفة الله بالعباد جميعاً، وعدم إختصاصها بالمسلمين على نحو التعيين، لتكون هناك مندوحة من الوقت

أما الكفار فالآية دعوة لهم ليدخلوا الإسلام ويكونوا من الذين يشترون أنفسهم في طاعته ومرضاته لذا قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1]، فهذه الأفواج والأمم تدخل الإسلام طواعية وعند رؤية الآيات والمعجزات ، وتدل عليه شواهد تأريخية عديدة، وكأن الآية تقول للإنسان سخر نفسك في طاعة ومرضاة الله، والله رؤوف بك وبغيرك.

وهل من حصر أو حد لمعاني أو دلالات رأفة الله التي أختتمت بها آية البحث ، الجواب لا، وهي مدرسة متجددة تقتبس منها المواعظ والسنن، وهل من شراء النفس وإبتغاء مرضاة الله أداء المسلم الحج وتركه عمله وتحمله وعثاء السفر وإنفاقه المال من أجل أداء المناسك، والتلبية مع وفد الحاج (لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك)[2]، أم أن القدر المتيقن هو الجهاد بالسيف، والنفر إلى سوح المعارك،

---

(١) سورة النصر ١-٢.

(٢) كتبت هذه الأوراق في مكة المكرمة بعد أداء عمرة التمتع لعام ١٤٣٤هـ.

الجواب هو الأول والمندوحة والتعدد في مواطن فداء وتضحية المسلم في سبيل الله وهي كثيرة لذا أختتمت آية البحث بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ليكون من مصاديق هذه الخاتمة أن الله عز وجل سنّ للمسلمين الفرائض وجعلها بدنية كالصلاة والصيام، ومالية كالزكاة، وبدنية مالية كالحج لتكون بفضل الله ولطفه من مصاديق شراء النفس إبتغاء مرضاة الله.

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بصيغة التبعيض (ومن الناس) لبيان حقيقة من جهات:

الأولى : الناس على مشارب شتى.

الثانية : ليس كل الناس يتصفون بالإيمان والتقوى.

الثالثة : ترغيب الناس بالفداء والتضحية في سبيل الله.

الرابعة : منع الناس من الإستهزاء أو الشماتة بالذي يقدم أعز ما يملك في سبيل الله.

وجاءت الآيات بالنهي عن القول بموت الشهيد قال تعالى﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [1].

وجاءت الآية بصيغة التنكير (ومن الناس) وفي هذه الصيغة مسائل:

الأولى : جاءت آية البحث متعقبة ومعطوفة على الآيات التي ذكرت المنافقين بلغة الذم ومنه (ومن الناس من يعجبك قوله) [1] فبعد أن بينت

---

(1) سورة آل عمران ١٦٩.

هذه الآيات أوصاف المنافقين بما يجعل أرباب العقول في دهشة وحيرة وأسى من قبح فعلهم، جاءت آية البحث لمنع اليأس والقنوط، وللإخبار بأن كلمة الله هي العليا.

إذ أن المؤمن يضحي بنفسه، بينما يكون المنافق في فزع وخوف، ويظهر سمو الإسلام إلا عندما يتولى وفي هذه الحالة يتصدى له المؤمنون الذين يشرون أنفسهم إبتغاء مرضاة الله، بصبر وتفان فلا يستطيع ملاقاتهم فينهزم أمامهم، ويتنحى قهراً عن مراتب الولاية والشأن، وتلك آية في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي من مصاديق قوله تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢]، إذ أن تحصيل حال شراء النفس ببركة نبوته والوعد الكريم من الله في القرآن للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم وإقامتهم في منازل التقوى ، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٣] وصحيح أن الآية أعلاه وردت في موضوع المصيبة ووقوعها إلا أن موضوع الصبر في الآية أعم .

وهل آية البحث من آيات الوعد الكريم من الله في القرآن للمجاهدين، الجواب نعم، لذا أختتمت بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وجاءت الآية بلفظ الشراء وهو من الأضداد، ويحمل على معناه الظاهر والقريب وهو بمعنى إقتناء الشئ بعوض، وأخذه ببدل ، وفيه نكتة وهي أن الشراء هو إمتلاك الشئ المشترى بعد أن لم يكن ملكاً

---

(١) سورة البقرة ٢٠٤.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة البقرة ١٥٥.

مستقراً أو متزلزلاً، ترى لماذا لم تقل الآية (ومن المسلمين من يشري نفسه) أو (المسلمون يشترون أنفسهم) إبتغاء مرضاة الله، بل جاءت الآية بصيغة التبعيض من الكل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ وفيه نكتة وهي أهلية كل إنسان لبلوغ مرتبة التضحية في سبيل الله ، وتسخير النفس في مرضاته حقيقة وليس مجازاً.

ومن علامات الحقيقة الإطراد ، وهو في الإصطلاح إستدامة ذات صفة الحقيقة في الذات، مثل الشجاعة بالنسبة للأسد كحيوان مفترس فهو لا يخشى حيواناً آخر، ولا يعرف الخوف والجبن، أما إطلاق اسم الأسد على الإنسان الشجاع فهو من المجاز لأن صفة الشجاع لا تستمر عنده في كل الأحوال والمناسبات فقد يخاف عدواً أكبر وأشرس وأكثر عدة منه، ويميل إلى الصلح أو المهادنة أو الإنهزام.

فهل تشترط آية البحث الإطراد في شراء النفس في مرضاة الله أي النفر لكل معركة، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم يكفي صرف الطبيعة ومسمى شراء النفس كما لو بادر إلى الجهاد والدفاع في معركة واحدة ثم إختار الصبر وليس القعود.

الجواب هو الثاني ، وهو الذي تدل عليه خاتمة الآية ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ نعم لو كان تكرار النفر من الواجب العيني على المكلف وإن كان قد برز للجهاد مرة أو مرات سابقة فلابد منه، إلا أن التخلف من غير علة عنه هل يمحو صفة شراء النفس التي أحرزها في نفر وجهاد سابق الجواب لا، لأن الله عز وجل إذا أنعم على العبد بنعمة فهو أكرم من أن يرفعها، نعم يحرم من الثواب المتجدد، وقد فات عدداً من الصحابة

معركة بدر ولما رأوا ما خصهم الله عز وجل به من حسن المنزلة والنصر المبين وما جلبوه من الغنائم تمنوا أن يشهدوا مثلها ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [1].

وأخبرت الآية عن شراء النفس وبلحاظ المتعلق تحتمل وجوهاً:

الأول : بذل ما هو دون النفس من المال ونحوه.

الثاني : القدر المتيقن من الآية هو النفس والتضحية بها في سبيل الله، وهذه التضحية هي التي تبعث الفزع والخوف في قلوب الكافرين، وهناك من ينفق المال في سبيل الله وهو جهاد أيضاً ولكنه خاص بالمال، قال تعالى في الثناء على أهل الجنة وبيان أوصافهم﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[2].

الثالث : الجمع بين بذل النفس والمال في سبيل الله مرتبة أعظم وأسمى قال تعالى﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [3]، والصحيح هو الثاني والثالث وفيه مندوحة وتخفيف عن المسلمين، فمنهم لايملك المال الزائد لينفقه في سبيل الله، وقد لا يملك قوت يومه، ولكنه يهب لنصرة الإسلام وتثبيت معالم التوحيد في الأرض، وفيه حجة على الناس بأنهم يتساوون في أسمى طريق إلى الخلود في النعيم وهو شراء النفس في مرضاة الله من عير حاجة إلى

---

(1) سورة آل عمران ١٤٣.

(2) سورة البقرة ١٧٧.

(3) سورة النساء ٩٥.

مقدمات عقلية أو مستلزمات مادية لنهج هذا السبيل، وكذا بالنسبة للعبادة فقد جعل الله عز وجل الصلاة أسمى الفرائض وأسنى العبادات، وهي عبادة بدنية لا تحتاج إنفاق المال، ولا تتقوم بالشأن.

ومن الإعجاز فيها أنها تؤدى على كل حال وبأي كيفية ممكنة، فمع العجز عن أدائها عن قيام تؤدى عن جلوس، وإلا إستلقاءً وإضطجاعاً.

وجاءت آية البحث بذات صيغة الإطلاق في كيفية أداء الصلاة، فلم تعين الآية فعلاً أو كيفية مخصوصة لشراء النفس إبتغاء مرضاة الله، ليكون هذا الإطلاق رحمة بالمسلمين، وليشمل موضوع الآية الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والصحيح والسقيم، ولو كان المسلم مريضاً مرضاً ليس له علاج، وأخبر الأطباء الحاذقون عن قرب موته وسكون قلبه عن الحركة، فاختار الجهاد في سبيل الله، وصار يوم استشهاده هو ذات اليوم الذي حدده الأطباء لوفاته، أو أنه جاء موته في ساحة المعركة أو في الطريق إليها من غير أن يذوق حر السيف فهل يكون من أهل هذه الآية أم أنه إختار الجهاد إضطراراً وعند التسليم بدنو الأجل.

الجواب هو الأول، لإطلاق الآية ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ ومن أسرار مجئ الآية بصيغة المضارع (يشري) صيرورتها باباً مفتوحاً للثواب على نحو متجدد ودائم وآية سماوية لدفع القنوط واليأس عن المسلمين وقد يبذل الإنسان نفسه في سبيل الله ويبادر إلى الجهاد بلسانه ويده وماله، فيكتب له الله العمر المديد، ويمحو عنه الأجل والبلاء الذي كان يصيبه لو ظل قاعداً مائلاً إلى الدعة ورغد العيش، قال تعالى﴿وَلَوْ

كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾[١]، وجاءت الآية بتعيين موضوع الشراء وهو إبتغاء مرضاة الله، وفيه مسائل :

الأولى : منع الجهالة والغرر بتعيين البلغة والغاية.

الثانية : الإخبار عن بذل النفس مع الرجاء والأمل بفضل الله وليس القطع والجزم.

الثالثة : تفقه المسلمين في الدين، ومعرفة سبل مرضاة الله، فالنفس أسمى ما يملك الإنسان فلابد من إحراز الغاية وأن بذلها يرضي الله عز وجل ، وهذه المعرفة من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

وتبين الآية فضل الله وهو على وجوه:

الأول : تأديب المسلمين وإصلاحهم للفداء والتضحية في سبيل الله.

الثاني : تنمية ملكة الإيثار والبذل في نفوس المسلمين، قال تعالى﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣].

الثالث : بيان مصداق من مصاديق قوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]، بأن المؤمنين يتعاهدون عبادتهم وعبادة ذراريهم لله عز وجل بالجهاد في سبيل الله وبذل النفس ، ومنع الكفار والمنافقين

---

(١) سورة النساء ٧٨.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

(٣) سورة الحشر ٩.

(٤) سورة الذاريات ٥٦.

من الإستحواذ على مقامات الولاية والقرار وما فيه من صد الناس عن طاعة الله، بينما تكون تضحية المؤمن في سبيل الله نوع مقدمة وسبب لجذب الكافر إلى التوبة، وإصلاح المنافق لسريرته وجعلها موافقة لعلانيته.

ولأن النفس أغلى شئ عند الإنسان ولقدسيتها وضرورة عدم التفريط بها أو إلقاءها بالتهلكة ولأن آية البحث جاءت متعقبة للآيات التي تذم النفاق والإفتراء على الله، بينت الآية الغاية من شراء النفس وبما يمنع من اللبس والجهالة، وحددت موضوعها وأنها(إبتغاء مرضاة الله).

وهل يفيد الإبتغاء هنا القطع بالفوز بمرضاة الله ،الجواب لا، إنما هو على نحو الرجاء وإتخاذ البلغة والسبيل مما يستلزم التحري والفحص في الطريق والكيفية التي تبذل بها النفس لإرادة مرضاة الله والتي تستقرأ من الكتاب والسنة على نحو التعيين والحصر، مع لزوم إجتناب البدعة والفتنة بين المسلمين.

وأختتمت الآية بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ وفيه شاهد على إكرام الله للمسلمين، وأن آية البحث وشراء المسلم نفسه في سبيل الله من رأفة الله وأسباب رحمته به والمسلمين عموماً والناس، إذ جعل الله هذا الشراء مناسبة لإحياء الشريعة، وتجديداً لأظهر وجوه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة للناس للفوز بالثواب العظيم بتسخير النفس في الجهاد والفناء في مرضاة الله، ولو كان المسلم ينفق ماله في سبيل الله فهل يحتسب من شراء النفس إذا كان هذا المال تتقوم به حياته الخاصة

ولكنه لا يتردد في بذله وبقائه من غير قوت سنوي الجواب لا، لأن الآية جاءت بخصوص بذل النفس لوجوه:

الأول : تساوي الغني والفقير في هذا البذل.

الثاني : إحراز رضا الله في الإجتهاد في السعي حباً وشوقاً لله له سبحانه وللقائه .

الثالث : المراد من شراء نفس أي الفوز بخلودها في النعيم، فكأن المسلم أحرز عتقها من النار، وضمن سلامتها من الفناء أيام البرزخ ومن العذاب في الآخرة ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : الإخبار السماوي عن وجود أمة مؤمنة بين أهل الأرض، تفوض أمرها إلى الله، ويبذل أفرادها أنفسهم في مرضاته.

الثانية : الثناء على المسلمين ودعوتهم للإرتقاء في منازل التقوى.

الثالثة : حث المسلمين على تعاهد الفرائض ، وطرد الكسل والغفلة عنهم.

الرابعة : بعث الخوف والفزع في قلوب الكفار والمنافقين من ثبات المسلمين في ميادين الجهاد.

الخامسة : إعلان رجحان كفة المسلمين في الدفاع.

---

(1) سورة آل عمران ١٦٩.

السادسة : ترغيب أجيال المسلمين المتعاقبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو منهاج الأنبياء.

السابعة : بعث الشوق في النفوس للقاء الله عز وجل.

الثامنة : التدبر في الأمور، ومعرفة مصاديق رأفة الله عز وجل بالمسلمين خاصة، وبالناس عامة بصرف أفراد عديدة من الخصومة والقتال، قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾[١].

وفي الآية أعلاه شاهد على العموم في أفضلية الصلح وتقدمه على القتال والمناجزة، وفيه نكتة وهي أن إنتشار الإسلام لا يتوقف على السيف ولم ينتشر بالسيف بل ظهر على الملل الأخرى بالمعجزات والبينات الباهرات، قال تعالى في الثناء على الإسلام وبيان فضل الله عز وجل في إعلاء كلمته ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢].

التاسعة : بعث السكينة في قلوب المسلمين، فمن يجاهد بنفسه في سبيل الله يدرك أن الله عز وجل يرأف به في النشأتين، ومن مصاديق الرأفة النصر مع السلامة في البدن، ومنها الشهادة في سبيل الله، ومغادرة الدنيا في ذات أجله مع الفارق وهو ذهابه شهيداً مغفوراً له، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء ١٢٨.

(٢) سورة التوبة ٣٣.

(٣) سورة يونس ٤٩.

التفسير

تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾

لقد كان الجهاد والدفاع عن بيضة الإسلام ضرورة عقائدية أدرك الصحابة الحاجة اليها، ولزوم الإستعداد الشخصي والجماعي للتضحية في سبيل الله ، والآية اعم من ان تنحصر باسباب النزول أو أوان التنزيل وأيام النبوة بل هي مستمرة باقية الى يوم القيامة وتبرز وظيفتها بصورة اكثر عند الشدائد والمخاطر وحالات تهديد الإسلام، ويكون سبب النزول مثالاً يقتدى ودرساً وعبرة وموعظة لذا جاء بشخص الإمام علي عليه السلام والصحابة الذين يعرفهم المسلمون والتأريخ بالشجاعة والإخلاص والجهاد المتصل في سبيل الله.

قال قتادة اما والله ما هم باهل حروراء المراق من الدين، ولكنهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار لما رأوا المشركين يدعون مع الله الهاً آخر، قاتلوا على دين الله وشروا انفسهم غضباً لله وجهاداً في سبيله.

وهذا العموم والشمول لا يتعارض مع أسباب النزول لثبوت القاعدة الكلية وهي ان الآية تنزل في سبب ولكن حكمها باق الى يوم القيامة، ويظهر من خلال نفي موضوع الآية عن أهل ووراء انهم استدلوا بالآية على خروجهم، ومن الغرائب ان تجد الخارجين عن امير المؤمنين الذي نزلت فيه الآية يدعون عملهم بها، فاصابهم القتل والهزيمة المتصلة.

والشراء من الأضداد، فيأتي بمعنى اقتناء العين مقابل دفع عوض للبائع، كما يأتي بمعنى البيع لذا قال أكثر المفسرين ان المراد بالآية هو البيع أي أن المؤمن يبيع نفسه رجاء ثواب الآخرة بان يسخي بها ويختار الجهاد والشهادة في سبيل الله لتكون نفسه كالسلعة التي يبغي فيها الثمن

ويمكـن الإسـتدلال عليـه بقولـه تعـالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ ﴾[1].

ويمكـن إجـراء لفـظ الشـراء علـى معنـاه الظـاهري المتعـارف وهـو الأصل، فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع احكام القرآن وسنن النبـوة يشـتري العبـد نفسـه بـان ينـعتق مـن العـذاب الـذي أعـدّه الله للكافرين، والبيع نوع مفاعلة ومعاملة يحتاج إليهـا النـاس في كـل زمـان ومكان .

ولم تنحصر بأيام الإسلام، ويأتي البيع بعنوان الشراء وهو في اللغة والإصطلاح انتقال عين من شخص إلى آخر بعوض مقدر على وجه التراضي والقبول، وعرّف ايضاً بانه اعطاء المثمن وأخذ الثمن.

والحق ان موضوع الآية ينطبق على البيع والشراء متحدين ومتفرقين أي ان الشراء الوارد في الآية يعتبر بذاته متعدداً، وحصل الإختلاف في معنى الشـراء في الآيـة بـين علمـاء التفسـير، هـل هـو مـن الشـراء بمعنـاه الإصطلاحي أم انه من البيع كما في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾[2] أي باعوه.

يجب ان يكون تفسير الآية بالمنظار الإسمي ووفـق المعـارف النظريـة للقرآن ومراتب اعـجازه التي تفوق وتزيـد على قـواعد اللغة، والتعدد في شراء النفس وبيعها جهتياً وبحسب اللحاظ، فشراء النفس لعتقها من النار وتخليصها من العـذاب الأخـروي وللنجـاة مـن الغضـب الإلهـي الذي يتعقب فعل السيئات، ليبقى مطمئناً سعيداً في الدنيا.

الا تـرى الإنسـان الـذي لا يمتلـك داراً يبقـى مضـطرباً غـير مسـتقر

---

(١) سورة التوبة ١١١.

(٢) سورة يوسف ٢٠.

ويكثر من الشكوى ويخاف الضياع والهوان والذل خصوصاً عند تقدم العمر به، ويصبح فرحاً سعيداً حالما يشتري داراً أو مركبة ويتملكها، فكيف بمن يشتري نفسه ويزحزحها من النار وينظر الى الكفار والفجار نظرة فراق ابدي، والعوض الذي قدمه لشرائها وانتقالها الى ساحل الأمان هو الإخلاص في طاعة الله وبافضل مصاديقه.

وتصلح الآية لمعنى البيع الإصطلاحي لتعلقها بمن باع نفسه بان جندها في مرضاة الله وضحى بها في دروب الشهادة والعوض الذي رضي به واختاره هو الوعد الكريم الذي اخبر الله عز وجل به وهو الفوز بالجنة والمغفرة والسعادة الأبدية، وبذا يجتمع معنى البيع والشراء في الآية ويصدق كل واحد منهما على موضوعها على نحو مستقل.

ويمكن ان يكون من معاني قوله تعالى ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ... ﴾[1] وجاء اللفظ بالشراء ولم يأت بالبيع مع ان البيع من الأضداد اذ يصح الأمران في حال بيع الأعيان بالأعيان، كشراء ثوب بكتاب فكل من الطرفين يصدق عليه انه بائع وانه مشتر، والسر في ذكر الشراء في الآية دون البيع، ان الذي يشتريه المسلم اكبر بكثير من الذي يبيعه، فصحيح انه يقدم نفسه وهي كل ما يملك، ولكن الذي يشتريه هو الخلود بالنعيم ولو علم الإنسان ما أعد الله عوضاً وثمناً أخروياً لتضحيته لما تخلف عن بذل النفس ساعة واحدة.

وتبين الآية القواعد الكلية بأمور حسية تيسيراً للعباد وتقريباً للأحكام الى اذهان عامة الناس بلغة الحجة والبلاغ.

وجاءت الآية بصيغة التبعيض وفيه وجوه:

---

(١) سورة التوبة ١١١.

الأول : عدم حصر موضوع هذه الآية بأهل ملة مخصوصة.

الثاني : إرادة المسلمين بأجيالهم المتعاقبة.

الثالث : المقصود دعوة الناس للإرتقاء إلى منزلة شراء النفس.

الرابع : فريق من المسلمين وهم الذين يقاتلون في سبيل الله.

الخامس : تتضمن الآية التعليق وإرادة الذي يسعى مجاهداً في سبيل الله، فقد ينتقل بعضهم من منازل الكفر إلى الإيمان ويبذل مهجته دفاعاً عن الإسلام، قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(١).

والصحيح هو الثاني، وفيه آية في إكرام المسلمين وإخبار عن تعاهدهم لمبادئ وأحكام الشريعة والمدار على المصداق الواقعي، والشواهد العملية ويتجلى الإطلاق وإرادة عموم المسلمين في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾(٢).

بينما تأتي كافة بمعنى الإحاطة وإرادة الجميع كما يقال لطرف اليد الكف لأنه يكف بها عن أعضاء البدن، وتكون في المقام على ثلاثة وجوه:

الأول : ادخلوا في السلم جميعكم.

الثاني : ادخلوا في السلم كله أي في مصاديقه ومراتبه كلها في جميع أحكام الشريعة.

---

(١)سورة الأنعام ٨١.

(٢)سورة التوبة ١١١.

الثالث : إرادة المعنى الأعم الشامل للمخاطبين وموضوع الخطاب وتقديره : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا جميعكم في السلم كله.

والأرجح هو المعنى الأول ويكون الثاني في طوله ، وجاء لفظ(كافة) في القرآن خمس مرات، وفي كل مرة يراد منها جنس الناس والعقلاء، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

ولفظ كافة لا يثنى ولا يجمع، فلا يصح القول كافات ولا كافين مثلما لا تصح تثنية أو جمع خاصة، وعامة[2].

تفسير قوله تعالى ﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾

الإبتغاء في الآية إعجاز من وجوه:

الأول :صيغة الإطلاق من غير تقييد بعوض معين، فشراء النفس من أجل رضاه الله تعالى أي انها تصبح مسخرة ومستجيبة لما فيه مرضاته تعالى والإمتثال لأوامره.

الثاني :الإبتغاء أعم من الشهادة، فبينهما عموم وخصوص مطلق فمن أستشهد فقد إبتغى مرضات الله تعالى ولكن ليس كل من ابتغى مرضاته تعالى ينال الشهادة.

الثالث : جاء لفظ ﴿ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ في أربع آيات ، واحدة في هذه الآية، وثانية تتعلق بانفاق المال، وهي قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.... ﴾[3].

والثانية في قوله تعالى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ

---

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سيأتي مزيد بيان في الجزء الحادي والثلاثين بعد المائة من هذا التفسير المبارك .

(٣) سورة البقرة ٢٦١.

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

والظاهر ان موضوعهما يخرج بالتخصص من أحكام هذه الآية لأن شراء النفس اخص.

وموضوعه مختلف انما اطلق عليه الشراء إستعارة ووصفاً قرآنياً ذا دلالات اعجازية.

أما الآية الأخرى فقد جاءت بإضافة " مرضاةِ" الى الضمير العائد للذات المقدسة بقوله تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾[2] وهي من تفسير وبيان الآية محل البحث.

الرابع : يترشح عن شراء الإيمان السعادة ولا يبقى الانسان بعده رهن الشكوك والريب والتردد ،انه عنوان التسليم والإقرار والإعتراف.

الخامس : الآية شهادة ووثيقة سماوية تدل على الإنعتاق من النار بمجرد العزم والنية الصادقة على الإخلاص في سبيل الله .

السادس : الآية دعوة للجهاد والتضحية في سبيل الله وهي اعم من الشهادة لأن الجهاد من الكليات المشككة وقد ينطبق على بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما فيه تضحية واحتمال للتعرض للأذى والبلاء.

السابع : في الآية إكرام وتشريف للشهداء ، وإخبار عن عدم خسارتهم.

الثامن : الآية رد على أهل النفاق والحسد الذين يحاولون إظهار

---

(١) سورة النساء ١١٤.

(٢) سورة الممتحنة ١.

الشماتة بالمسلمين او بالمسلم الذي يتعرض للقتل او الأذى في سبيل الله تعالى.

التاسع : الآية تطبيق وامتثال عملي ومصداق للإستجابة لقوله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1] .

العاشر : ورد في النصوص ان البركة في الشراء، فكيف اذا كان الشراء لافضل واحسن الممكنات وهي النفس الإنسانية بأغلى ثمن عرفته الموجودات ،صهيب فقال ربح البيع .

الحادي عشر : الآية حث وترغيب ودعوة للفداء والإنقطاع الى الله تعالى أي من وجوه الشراء الإخلاص في العبادة ونبذ الرياء.

الثاني عشر : تنقل الآية المسلم الى عالم الآخرة وان كان منشغلاً في الدنيا.

الثالث عشر : ورد في الخبر ان خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق.

والشر في الأسواق بسبب وسوسة البيع والشراء العرضية، ولكن الشراء في هذه الآية حرب على الشيطان ودحر وطرد له من ابواب القلب.

بحث بلاغي

قسم الوقف الى وقف اضطراري واختياري، والإضطراري ما يكون عند انقطاع النفس، ولا يخضع لقاعدة معينة من حيث تعلقه بموضوع احتياجه في المعنى لما بعده.

وحكي عن حمزة انه وقف على ﴿مَرْضَاةِ﴾ أي على المضاف دون المضاف اليه.

---

(1) سورة البقرة ١٩٥.

تفسير قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

الأول : الآية قاعدة كلية في المعرفة الإلهية وسنن العبادة.

الثاني : جاءت الآية لبيان الفارق العظيم بين القليل الذي يعطيه المسلم في سبيل الله وبين عظيم العوض الذي يحصل عليه.

الثالث : تمنع الآية من الغرور والزهو وتجعل المسلم يسخر نفسه في التذلل لله تعالى.

الرابع : في الآية دلالة على ان العوض يأتي بفضل ورأفة الله تعالى وليس عن استحقاق.

الخامس : من رأفة تعالى ان المسلم ينوي الشهادة طاعة وشوقاً للقائه تعالى فينال العوض ويحصل على رضاه تعالى وعلى بغيته مع بقاء نفسه، وفي المرسل قال: (روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى، وفي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ان الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة)[1].

السادس : لو إشترى المسلمون جميعاً أنفسهم إبتغاء مرضاة الله وطلباً للشهادة فان رأفته سبحانه في ابقاء الإسلام ودوام الفرائض تتجلى بالتخفيف عن المسلمين ونجاتهم من القتل والكيد والإفتتان فيحفظ الله المسلمين مع نيلهم مراتب الشهادة وثوابها وان ظلوا احياء في الدنيا، كما أن أعداء الإسلام يصابون حينئذ بالفزع والخوف وبدل ان يواصلوا التعدي على المسلمين وأحكام الإسلام فانهم سيتراجعون وينحسر أثرهم.

السابع : من رأفة تعالى ان شراء النفس في مرضاة الله كفارة للذنوب والخطايا.

الثامن : لفظ العباد أعم من المسلمين، او العباد المنشغلين بالعبادة

---

(1) الوسائل الباب ٥ من ابواب مقدمات العبادات.

والدعاء فهو يشمل الناس جميعاً، وتدل عليه شواهد قرآنية عديدة، قال تعالى ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[1] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[2].

وقد يأتي لفظ ﴿عِبَادٌ﴾ وصفاً خاصاً للمؤمنين بلحاظ القرائن اللفظية او الحالية كقوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[3] وقوله ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾[4].

وجاءت الآية مطلقة شاملة للناس جميعاً كفضل ورحمة من الله تعالى وقانون يشمل مواضيع الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية، فالآية باب للتوبة والمغفرة وحث على انتهاج مسالك الهداية، وفيها حصانة من الشيطان وتحريضاً على التغلب عليه كما ورد حكاية عنه في التنزيل ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾[5].

والله هو الرحيم بالخلائق يعطي إبتداءً ومن غير إستحقاق، وألطافه على العباد متصلة ومتكررة، والرأفة أرق من الرحمة، وبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل رأفة هي رحمة.

وقد ورد ذكر (الرؤوف) صفة لله تعالى إحدى عشرة مرة في القرآن

---

(١) سورة يس ٣٠.

(٢) سورة الاعراف ١٩٤.

(٣) سورة الفرقان ٦٣.

(٤) سورة الصافات ١٥٩ – ١٦٠.

(٥) سورة النساء ١١٨.

تتجلى فيها مضامين الرحمة والعفو.

وخاتمة الآية الكريمة أعم من موضوع الآية، فهي لا تنحصر بالمؤمنين خاصة او بالمسلمين دون غيرهم، ومن الرأفة أنك ترى العاصي يبادر الى التوبة، والكافر يهتدي إلى الإسلام، والذي يؤذي المؤمنين يكف عن ايذائهم سواء تم ذلك بسبب او بغير سبب، فمن رأفته تعالى انه واهب الحياة والقادر على سلب النعم، والإماتة، ولكنه سبحانه يتفضل بالشراء والإكرام وجزيل الثواب على الإخلاص في طاعته واعلان الإستعداد للشهادة في سبيله.

ومن رأفة الله ايضاً ان نية الشراء والعزم على الشهادة لم تتم في الأصل الا بفضل منه تعالى وفي الحديث: (ان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الله) ومن فضله تعالى ان الشهداء احياء عنده ويرزقون رزقاً كريماً ، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [1].

(١) سورة آل عمران ١٦٩

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ **الآية ٢٠٨**

القراءة

قرأ ابن كثير ونافع والكسائي السَلَم بفتح السين، وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بن عياش (السلم) بكسر السين، وأختلف فيه لغة على قولين:

الأول : إنهما لغتان في معنى واحد.

الثاني : التباين في المعنى، فالمراد من السلم-بكسر السين- هو الإسلام، أما بالفتح فهو حال السلم وضده الحرب، قال تعالى﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾(١).

والمختار عدم التعارض بين القولين أعلاه ،وهو من مصاديق تعدد المعنى للفظ القرآني المتحد .

الإعراب واللغة

يا أيها: يا: أداة نداء، أي: منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، (ها): حرف تنبيه لا محل له.

الذين آمنوا: الذين: بدل من أيّ في محل نصب، آمنوا: فعل ماض، الواو: فاعل.

ادخلوا في السلم: ادخلوا: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة.

الواو: فاعل.

---

(١)سورة الأنفال ٦١.

في السلم: جار ومجرور متعلق بـ(ادخلوا).

كافة: حال من الواو في ادخلوا، او من (السلم) خصوصاً وان خطاب (يا أيها الذين آمنوا) يفيد العموم.

ولا تتبعوا الشيطان : ولا: الواو عاطفة، لا: ناهية، أي : لفظ يدخل على الفعل لإفادة المنع من ذات الفعل، وتجزمه أي تجعله ساكناً في حركته أو محذوف النون.

أما(لا) النافية، وتسمى لا: الجحد والإنكار فتدخل على الأفعال ولا تغير حركة إعرابها، وتدخل على الأسماء فتبقيها مرفوعة.

وجاءت كل من(لا) الناهية و(لا) النافية في قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[1].

فلا في قوله تعالى(لا تتخذوا) ناهية، حذفت معها النون من(تتخذون) لأنه من الأفعال الخمسة، ولا في(لا يألونكم) نافية.

تتبعوا: فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فاعل.

إنه: إن: حرف مشبه بالفعل، والضمير في محل نصب اسمها، عدو: خبر إن مرفوع بالضمة، مبين: صفة عدو.

والسلم: بفتح السين وكسرها: الإسلام

قال امرئ القيس بن عابس:

فلست مبدلا بالله رباً   ولا مستبدلا بالسلم دينا[2].

ويقال: أسلم أي دخل في الإسلام مستسلماً ممتثلاً.

والسلم: الأمن والصلح والوئام ونبذ الحرب والقتال.

---

(١)سورة آل عمران ١١٨.

(٢)تاج العروس١/٧٥٧.

وكافة: الجماعة ويراد منها الكل والإحاطة سواء لعموم المسلمين او لجميع شعائر الإسلام واحكامه من غير تفريط ببعضها.

والخطوات جمع خطوة، بالضم وهي ما بين القدمين اثناء المشي، وخطوات الشيطان: طرقه وافعاله القبيحة وشروره وأثاره ومآثمه.

ويقال: بان الشيء وأبنته: ظهر وانفتح، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الا ان التبيين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا[1].

في سياق الآيات

بعد الآيات التي جاءت بذم وفضح المنافق ومجيء آية واحدة في مدح المؤمنين الذين نذروا انفسهم للجهاد في سبيل الله تعالى، جاءت هذه الآية وكأنها تخفيف ورحمة لما فيها من عموم الدعوة والتيسير ولمنع التشديد على النفس ووفق عمومات قاعدة نفي الحرج ولبيان تعدد وجوه الطاعة والعبادة.

ومجيء هذه الآية بعد مدح الذين يبذلون أنفسهم في سبيل الله حث ودعوة للإرتقاء الى مراتب الكمالات الإنسانية ولأن التقيد بأحكام الإسلام واجتناب الشيطان ونبذه وطرد وسوسته سبيل الى العز والنصر وحفظ الأنفس وقلة الخسائر، وتحصيل المزيد من الثواب بأداء الفرائض.

الأول: صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾[2]، وفيها مسائل:

---

(١)لسان العرب ٦٢/١٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٠٧.

الأولى : تحتمل الصلة والترغيب بين الدخول في السلم وبين شراء النفس في مرضاة الله وجوهاً:

الأول : الدخول في السلم مقدم زماناً على شراء النفس طلباً لمرضاة الله عز وجل .

الثاني : التساوي الزماني بين دخول المؤمن في السلم وبين شرائه نفسه في مرضاة الله.

الثالث : تقدم زمان بذل النفس في مرضاة الله، خاصة وأن آية شراء النفس جاءت متقدمة في نظم القرآن.

الرابع : ليس من قانون ثابت في المقام فقد يتقدم زمان الدخول في السلم وقد يتقدم زمان بذل النفس في سبيل الله بحسب الحال والشأن والوقائع وقاعدة تقديم الأهم على المهم.

الخامس : قد يحصل أحدهما بأن يدخل الإنسان الإسلام ويخرج للجهاد ويبذل نفسه في مرضاة الله، قال سبحانه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[1].

والصحيح هو الأول، ويكون الثاني والرابع في طوله، وكذا الخامس مع أنه فرد قليل.

الثانية : جاءت آية السياق بصيغة الجملة الشرطية، أما آية البحث فجاءت بلغة الإنشاء، وتضمنت أمراً ونهياً، وفيه آية من البيان والوضوح ومناسبة للتفقه في الدين، ومعرفة أحكام الشريعة.

---

(١) سورة الأنعام ٨٢ .

الثالثة : لأن بذل النفس في سبيل الله مرتبة متقدمة من التقوى واليقين وسخاء ينفرد به أولياء الله جاءت آية السياق بلفظ (ومن الناس) وكأن فيه تخييراً مقروناً بالترغيب، أما الدخول في السلم فهو وظيفة المسلمين مجتمعين ومتفرقين.

وجاءت الآية بصيغة العموم التقريري والنداء الذي يتضمن المدح والثناء على المسلمين ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ترى لماذا لم تبدأ آية السياق بذات النداء وتكون (يا أيها الذين آمنوا من الناس من يشري نفسه..) الجواب من وجوه:

الأول : آية السياق دعوة للناس جميعاً للتضحية في سبيل الله، وذات التضحية توبة وتدارك.

الثاني : من مصاديق خاتمة آية السياق ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فتح باب التضحية في سبيل الله لهم جميعاً.

الثالث : إبتداء آية السياق بصيغة التبعيض (ومن الناس) من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، بأن يقرب الله عز وجل الناس لعبادته، ويجعل طائفة وجماعات منهم يفنون أنفسهم في مرضاة الله حباً وشوقاً للقائه.

الرابع : بعث رسالة سماوية إلى المسلمين بأنه قد يدخل الإسلام من يبذل نفسه في سبيل الله، أي في لغة التنكير والتبعيض بقوله تعالى

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ حث للمسلمين لدعوة الناس إلى الإسلام، وعدم اليأس والقنوط منهم.

لقد أراد الله عز وجل للناس الموعظة والعبرة بتضحية بعضهم في سبيل الله ودفاعاً عن بيضة الإسلام، وهذه التضحية شاهد على تصديقهم بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن من عند الله عز وجل.

الخامس : كأن آية السياق تقول (يا أيها الناس منكم من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله) ليكون بين لغة الخطاب في آية السياق والبحث عموم وخصوص مطلق، وإن كان يشترط بالذي يشري نفسه في سبيل الله ، وعلو راية الإسلام وقصد القربة.

الرابعة : أختتمت آية السياق بلفظ ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ وفيه بلحاظ آية البحث وجوه:

الأول : إخبار القرآن عن وجود أمة مؤمنة، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [1].

الثاني : البشارة ببقاء الإيمان في الأرض إلى يوم القيامة بلحاظ كبرى كلية وهي تجدد خطاب (يا أيها الذين آمنوا) كل آن ويوم وإلى يوم ينفخ في الصور، فلابد من متلق لهذا النداء وعلى نحو التعدد والكثرة بدليل مجئ الخطاب بصيغة الجمع.

---

(1) سورة الأنبياء ١٠٧.

الثالث : توجه الأمر للمسلمين بما فيه نفعهم في النشأتين، وهو من مصاديق قوله تعالى﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1].

الرابع : رأفة الله عز وجل بالمسلمين بلغة العموم في دخولهم في السلم بقوله تعالى﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ وفيه نبذ للفرقة، ودعوة للوحدة بين المسلمين بقيدين:

الأول : الإيمان.

الثاني : الصدق والتمام في الدخول في السلم.

الخامس : تعاون المسلمين فيما بينهم في الدخول في السلم.

السادس : تقريب الناس لمنازل الإيمان والهداية بدخول المسلمين جميعاً في السلم وفيه عون وترغيب للناس في دخول الإسلام، ونبذ النفاق فلا غرابة أن تأتي آية البحث متعقبة لثلاث آيات تتعلق بالنفاق.

السابع : من رأفة الله عز وجل بالناس في المقام نهي المسلمين عن إتباع الهوى، وفعل المنافي لأحكام الشريعة.

الثامن : من رأفة الله بالعباد الحرب على الشيطان وقهره من قبل فريق منهم وهم المؤمنون، وهو من مصاديق قوله تعالى﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

التاسع : بيان عداوة الشيطان للمسلمين والناس جميعاً، وقد يقال أن الشيطان عدو للمسلمين لإختيارهم الهدى والإيمان أما أعداء

---

(1) سورة المائدة ٢.

(2) سورة آل عمران ١١٠.

المسلمين فانهم أعوان وجنود للشيطان والأصل إنحصار عداوته بخصومه وليس جنوده، ولكن عداوة الشيطان أمر مختلف فهو عدو للناس جميعاً ومنهم جنوده وأعوانه لذا جاء القرآن بما يدفع الجهالة والغرر ويمنع من الغفلة في المقام بالبيان الصريح بعموم عداوة إبليس للناس جميعاً، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾(١)، وأيهما أشد عداوة إبليس للمسلمين أم عداوته للكافرين، الجواب هو الثاني من وجوه:

الأول : يقود الشيطان أتباعه من الكفار إلى النار.

الثاني : عداوة الشيطان للكفار متصلة ومتجددة وفي كل يوم يزلهم ويستهويهم بما فيه الضلالة والزيادة في الكفر.

الثالث : من عداوة الشيطان للكفار جعلهم يحاربون المسلمين فيتصدى لهم الذين يشرون أنفسهم ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ فتكون الخسارة في الدنيا والآخرة عاقبة الكفار، قال تعالى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾(٢).

الرابع : عداوة الشيطان للمسلمين فيها أجر وثواب لهم، وعداوة الشيطان للكفار فيها إثم إضافي عليهم.

(١) سورة البقرة ١٦٨.
(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

الخامس : أخبر الشيطان عن عجزه عن فتنة المؤمنين كما ورد في التنزيل ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾[١]، بينما تراه يغوي الكفار، ويستدرجهم في سبل الضلالة ، وهل يمكن التفصيل والقول بأن عداوة الشيطان للمؤمنين في كيفيتها أشد، ولكنها في الأثر تكون للكافرين أشد وأكثر ضرراً الجواب نعم .

الخامسة : من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله في مأمن من عداوة الشيطان، وهذا الأمن إنتزاعي بالبذل والعطاء في سبيل الله، وفيه أجر إضافي.

السادسة : لما كان الشيطان عدواً للمسلمين والمسلمات فهل أعوانه وجنوده من الإنس أعداء للمسلمين، وهل عداوتهم مبينة وشديدة، الجواب نعم، ليكون من مصاديق رأفة الله بالعباد في المقام إستعداد المسلمين للتضحية في سبيل الله، وفيه وجوه:

الأول : إستعداد المسلمين للفداء ، وبذل النفس طاعة وقربة إلى الله عز وجل برزخ دون طغيان الكفر.

الثاني : إنه مانع من شيوع مفاهيم الضلالة.

الثالث : كف الكفار أيديهم عن المسلمين.

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ...﴾[٢]، وفيها مسائل :

---

(١) سورة ص٨٢-٨٣.

(٢) سورة البقرة ٢٠٥.

الأولى : يخص موضوع آية السياق المنافق وصفاً وذماً ووعيداً وحجة عليه ، أما آية البحث فهي نداء وخطاب جلي للمسلمين والمسلمات.

الثانية : النسبة بين المسلمين والمنافقين من حيث العدد كثرة وقلة هي التباين، فعدد المسلمين في إزدياد مطرد، وعدد المنافقين في تناقص متصل، وتلك آية من مصاديق قوله تعالى في الآية السابقة﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

ومن أسرار مجئ الآيات الثلاثة السابقة[1]، بخصوص المنافق الإجهاز على النفاق وتنزيه النفوس منه.

الثالثة : من مصاديق الجمع بين الآيتين هو (يا أيها الذين آمنوا ومن الناس إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) وفيه وجوه :

الأول : الثناء على المسلمين لتقيدهم بسنن التقوى.

الثاني : ثبات المسلمين في مقامات الإيمان، وإصلاحهم للإحتجاج.

الثالث : منع دبيب القنوط إلى نفوس المسلمين بسبب قبح رد المنافق على الدعوة إلى تقوى الله مع أنها خير محض، وأمر نافع له في الدنيا والآخرة.

الرابع : مناجاة المسلمين، وتعاونهم في تلقي الأمر والدعوة بتقوى الله بالرضا والإنصياع، والإظهار العملي للتقوى على اللسان والجوارح.

فمن فضل الله على الإنسان أن يقال له اتق الله، أما المسلم فيشكر الله ويشكر الذي يقول له اتق الله، ويتدارك الخطأ إن وجد عنده، وأما

---

[1] سورة البقرة الآيات ٢٠٤/٢٠٥/٢٠٦.

الكافر فلا يصدر منه إلا الصدود والإقامة على الإثم والباطل لتقوم عليه الحجة ويستحق العقاب لذا أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

الرابعة : لا يضر المنافق بإصراره على الباطل إلا نفسه، فيدل قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على حقيقة وهي وجود أمة مؤمنة بلغت مراتب التقوى وإستحقت الثناء بالخطاب ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾.

ومن خصائص النداء الإلهي للمسلمين بصبغة الإيمان أنه حرب على النفاق وإزاحة لدرنه من النفوس، إذ تشتاق النفس الإنسانية إلى الفوز بالثناء من عند الله في الكتاب الخالد إلى يوم القيامة، فتتغير الكتب غير السماوية ويطرأ عليها التحريف وتعزف عنها الناس، وتميل إلى غيرها بحسب الزمان والمكان والحال وتبدل الموضوع والحكم، أما القرآن فان منزلته وعظيم شأنه في النفوس باق وهو من أسباب تعاهد المسلمين له رسماً ولفظاً وتفسيراً، ومصاديق سلامته من التحريف والتبديل والتغيير

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : جاءت آية السياق في ذم وبيان قبح فعل المنافق بما يبعث الأسى والإستغراب في النفس لأنه يدعّي الإسلام ظاهراً، ويقف في

---

(1) سورة البقرة ٢٠٦.

(2) سورة البقرة ٢٠٥.

صفوف المصلين ويحج بيت الله الحرام ولكنه حالما يتولى يفسد في الأرض ويتلف أموال الناس التي تكون مع الولاية عليها كالأمانة الشرعية، قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[1]، فتجلت مصاديق الظلم والجهل في ولاية المنافق وكيف أنه يشيع الفساد، ويحاول هدم الدين وبعث الشك واليأس في قلوب الناس، فجاءت آية البحث لأمر المسلمين بما فيه التدارك وإصلاح الأمور، ودفع المفسدة التي يسببها المنافق، بل بمنعها لأن دخولهم جميعاً في السلم برزخ دون بلوغ المنافق مراتب الولاية.

الثانية : لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إختبار وإبتلاء، وتفضل الله عز وجل وخفف عن المسلمين في موارد الإبتلاء بأن هداهم إلى سبيل الفلاح وهو الدخول في السلم على نحو العموم المجموعي ليكونوا يداً واحدة في مواجهة سنن النفاق التي تذكرها آية السياق.

الثالثة : يمكن تسمية القرآن كتاب (الحجة والبرهان) فكل آية منه حجة على الكافرين والمنافقين، وبرهان على سلامة إختيار المسلمين وتصديقهم بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهل يدخل المنافقون في النداء الذي أفتتحت به آية البحث(ياأيها الذين آمنوا) الجواب نعم، وتلك آية في علوم القرآن وأهليته للبقاء غضاً طرياً، والمراد من الذين آمنوا هم كل من آمن ظاهراً بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونطق بالشهادتين.

---

(١) سورة الأحزاب ٧٢.

والمنافق منهم ولكنه يحرم نفسه من نعمة العمل بمضامين الآية ، لتكون إمتحاناً له ، قال تعالى ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١).

بالأضافة إلى توجه الخطاب التكليفي للمنافق بعرض واحد مع المؤمن رجاء توبته وإتخاذ الفرائض وسيلة للتنزه من النفاق والرياء ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢).

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾ (٣)، وفيها مسائل:

الأولى : جاءت آية البحث بصيغة النداء والأمر والنهي، أما آية السياق فوردت بصيغة الجملة الخبرية.

الثانية : يتعلق موضوع آية البحث بالمسلمين والمسلمات وتنظيم حياتهم وإصلاح أمورهم ومنع دبيب الفرقة بينهم بينما جاءت آية السياق في ذم وإنذار الذي كفروا.

الثالثة : يتصف المسلمون بالإستجابة للأمر الإلهي حال وروده في القرآن وليس من فترة بين الأمر والإستجابة وهو من مصاديق نيلهم مرتبة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٤)، بينما يتوجه الأمر والنهي إلى الكفار فيعرضون عنها ويعزفون عن الفرائض فيأتيهم الوعيد في آية السياق.

---

(١) سورة القيامة ١٤.

(٢) سورة البقرة ١٨٣.

(٣) سورة البقرة ٢١٠ .

(٤) سورة آل عمران ١١٠.

الرابعة : بيان فضل الله على المسلمين في نهيهم عن إتباع خطوات الشيطان ، فالكفار الذين إتبعوا خطواته يأتيهم العذاب دفعة واحدة.

الخامسة : إبتدأت آية البحث بالثناء على المسلمين﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وجاءت آية السياق لتبين وظيفة عقائدية عامة للمسلمين من وجوه:

الأول : تلاوة آية السياق وما فيها من التخويف والوعيد، وكأن المسلمين يقومون بانذار الكافرين، وهو من مصاديق خروجهم للناس في قوله تعالى﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

الثاني : دخول المسلمين في السلم كافة باعث للخوف والفزع في قلوب الكافرين، ليكون من الآيات أن المسلمين ينذرون الكفار من منازل العزة والقوة والمنعة وهو من مصاديق قوله تعالى﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

الثالث : نهي المسلمين عن إتباع خطوات الشيطان حجة على الكفار في لزوم الإقتداء بالمسلمين في نهجهم الإيماني.

السادسة : إختص الأمر والنهي في آية البحث بالمسلمين والمسلمات، وفيه بلحاظ شمول الكافرين أمور:

الأول : جاء ذكر الذي آمنوا من باب المثال الأمثل.

الثاني : الكفار مشمولون بذات الأمر والنهي الواردين في آية البحث بالتبعية.

---

(1) سورة آل عمران ١١٠.

(2) سورة المنافقون٨.

الثالث : الأصل هو دخول الناس في الإسلام وفي السلم معاً، ولكن الذين إختاروا الكفر حجبوا عن أنفسهم هذه النعمة ونفعها وثوابها في النشأتين، والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار.

الرابع : يخرج الكفار بالتخصص من الأمر والنهي الواردين في آية البحث خصوصاً وأنها تتضمن النص والتعيين في جهة الخطاب، بالإضافة إلى أن الخطاب فيها للتشريف والإكرام، والكفار لا يستحقونه.

والمختار هو الثاني[1] ، لإتمام الحجة على الكفار وترغيبهم بالإسلام الذي فيه أمن لهم من الوعيد الوارد في آية السياق.

السابعة : لما تضمنت آية البحث النهي عن إتباع خطوات الشيطان، ذكرت آية السياق سوء عاقبة الذين إتبعوا خطوات الشيطان وأضرار هذا الإتباع.

ليفيد الجمع بين الآيتين دعوة المسلمين لشكر الله عز وجل على نعمة الإيمان والإقتتال للأوامر والنواهي الإلهية.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : يا أيها الذين آمنوا زين للذين كفروا الحياة الدنيا.

الثاني : الذين كفروا يسخرون من الذين آمنوا.

الثالث : يا أيها الذين آمنوا للذين أتقوا فوق الذين كفروا.

---

(1) وسيأتي مزيد بيان في الجزء الحادي عشر بعد المائتين .

(2) سورة البقرة ٢١٢.

الرابع : يا أيها الذي آمنوا الله يرزق من يشاء بغير حساب وأخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمة فقال يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟ فقالت: لا والله. فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجع إليها فقالت له: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء قد خبأته لك فقال: هلمي يا بنية بالجفنة. فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله. فحمدت الله تعالى وقدمته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآه حمد الله وقال: من أين لك هذا يا بنية؟ قالت: يا أبت {هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب} فحمد الله ثم قال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً فَسُئِلَتْ عنه{قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب})[1].

الخامس : يا أيها الذي آمنوا ادخلوا في السلم كافة زين للذين كفروا الحياة الدنيا.

السادس : لا تتبعوا خطوات الشيطان زين الذين كفروا الحياة الدنيا.

السابع : ادخلوا في السلم كافة والله يرزق من يشاء بغير حساب.

الثامن : لا تتبعوا خطوات الشيطان والله يرزق من يشاء بغير حساب.

---

(١) الدر المنثور ٢/٣١٥.

الثانية : يفيد الجمع بين الآيتين الفوقية بيان التباين بين الناس في باب الهداية وضدها، والصلاح والفساد، ولا تنحصر منافع الجمع بينهما بهذا البيان ومنها:

الأول : تفقه المسلمين في الدين، ومعرفتهم لأحوال الناس ودينهم.

الثاني : إنشغال الكفار بالحياة الدنيا بينما يجتهد المسلمون في بناء صرح الإيمان وتعاهده.

الثالث : دعوة الناس إلى عدم التعلق بالدنيا والإنقطاع إلى زينتها.

الرابع : تذكير الناس بيوم القيامة، وبيان مراتب الناس فيها، وفوز المؤمنين بالمرتبة السامية في جميع مواطن يوم القيامة.

الخامس : يؤدي إتباع خطوات الشيطان إلى حب الدنيا وزينتها.

الثالثة : دعوة المسلمين إلى الصبر وتلقي أذى الكفار بكظم الغيظ قال تعالى في الثناء على المؤمنين ونيلهم اللبث الدائم في الجنة﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ﴾[1]، فيسخر الكفار من المسلمين لإيمانهم وحسن سمتهم وإخلاصهم العبادة لله عز وجل، وفي التنزيل﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[2].

الرابعة : ذكرت آية السياق سخرية الذين كفروا من المسلمين، وهذه السخرية بلحاظ آية البحث على وجوه:

الأول : إختيار المسلمين الإيمان، ومبادرتهم للنطق بالشهادتين والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : إنفراد المسلمين بالإكرام من عند الله بالخطاب بصيغة الإيمان.

---

(1) سورة آل عمران ١٣٤.

(2) سورة هود٣٨.

الثالث : دخول المسلمين جميعاً في طاعة الله وأدائهم الفرائض بكفية واحدة كما في قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: صلوا كما رأيتموني أصلي[١].

وكذا في الحج: خذوا عني مناسككم[٢].

وحينما نزلت آية نسخ القبلة وتوجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون إلى البيت الحرام قبلة لهم سخرت بعض الطوائف كما ورد في التنزيل﴿مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا..﴾[٣].

الرابع : تنزه المسلمين عن إتباع خطوات الشيطان، ويظن الكافر أن الدنيا دار لهو ولعب وتنعم بمباهجها، فتكون عصمة المسلمين من إتباع خطوات الشيطان حجة على الذين كفروا .

الخامس : تلقي الكفار قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسخرية والإستخفاف.

الخامسة : ذكرت كل من آية البحث والسياق﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مع التباين في الذكر، فجاءت آية البحث بالثناء عليهم، وبعثهم لإتيان الشواهد العبادية التي تدل على بلوغهم مرتبة التقوى، وتعاهدهم لمرتبة﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٤]، وعلى نحو يومي متجدد وإلى يوم القيامة، وجاءت آية السياق ببيان الأذى الذي يأتيهم من الكفار بسبب إتباعهم للحق ونداء السماء.

---

(١) مفايتح الغيب ١/١٧٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢/٣٥٣.

(٣) سورة البقرة ١٤٢.

(٤) سورة آل عمران ١١٠.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما أوذي نبي مثل ما أوذيت[١].

السادسة : تبين آية السياق إشراقة من صيغ الإحتجاج من عند الله، وحينما أنكرت الملائكة جعل خليفة في الأرض كما ورد في التنزيل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٢]، إحتج الله عز وجل على الملائكة بما جعلها تلوذ بالإستغفار، قال تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

وجاءت آية السياق باحتجاج على الذين كفروا بعالم الجزاء يوم القيامة بالمائز الذي يتجلى فيه فوز المؤمنين بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٤].

ومن الإعجاز في المقام أن قوله تعالى أعلاه جاء على نحو الجملة الخبرية التي تفيد التصديق والقطع، وفيه مواساة للمسلمين في موضوع سخرية الكفار منهم ، وتقديره أن المسلمين في رحمة الله ومواساته لهم ومناجاتهم لله عز وجل لا يلتفتون لسخرية الكفار.

السابعة : أخبرت آية السياق عن سخرية الكفار بالمسلمين، وتضمنت آية البحث أمر المسلمين بدخولهم جميعاً في السلم ليكون من منافع هذا الدخول الأمن والسلامة من إستهزاء الكفار، وفيه نكتة وهي جعل الكفار يدركون ضلالتهم في إختيارهم الكفر وقبح فعلهم بالإستهزاء والسخرية

(١) مفاتيح الغيب ٤٥٤/٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٢١٢.

من المسلمين، وهل من دور بين إستهزاء الكفار بالمسلمين لدخولهم في السلم وبين دفع دخول المسلمين السلم سخرية الكفار وآثارها، الجواب لا.

الثامنة : أختتمت آية السياق بقوله تعالى﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفيه بلحاظ آية البحث وجوه:

الأول : خطاب المسلمين بصيغة الإيمان، والشهادة لهم بالتقوى.

الثاني : إختصاص المسلمين بالخطاب والنداء السماوي الذي هو مصداق لقوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الثالث : دعوة المسلمين للوحدة والإتحاد في مرضاة الله بدخولهم في السلم ليكون هذا الدخول باباً للرزق الكريم في النشأتين.

الرابع : ذكرت آية السياق إستهزاء الكفار بالمسلمين ، وأختتمت برزق الله بغير حساب من يشاء، ومن رزقه تعالى للمسلمين الوقاية من سخرية الكفار، ولأن الآية وصفت الرزق بانه بغير حساب فيكون منه سلامة المسلمين من كيد ومكر الكفار، وهل يشمل الأمن والنجاة من حربهم على الإسلام.

الجواب نعم، وقد زحفت قريش وغطفان بخيلائها وخيلها وعدتها على المسلمين في المدينة المنورة وهم قلة ولا زال الإسلام في سنيه الأولى ليكون من رزق الله بغير حساب للمسلمين في المقام أمور:

---

(1) سورة الذاريات ٥٦.

الأول : نزول الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، قال تعالى بخصوص يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ...﴾(١).

الثاني : قتل كبار قريش ورؤساء الكفر وأسر سبعين من المشركين.

الثالث : وقوع عدة ورواحل الكفار غنيمة بايدي المسلمين.

الرابع : تأديب المنافقين ومنعهم من إظهار الكفر الذي يضمرون على السنتهم وجوارحهم.

الخامس : فضح الذين يستهزءون بالمسلمين، وجعلهم ينشغلون بأنفسهم.

السادس : الثواب العظيم للمسلمين وهو من مصاديق قوله تعالى في آية السياق ذاتها ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

التاسعة : من مصاديق رزق المسلمين بغير حساب ذات خاتمة آية السياق بأن جعلهم الله يتلون الآية بكرة وعشياً ويجتهدون في بلوغ مرتبة الذين تقع عليهم المشيئة الإلهية بالرزق بغير حساب.

الشعبة الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ.....﴾(٢)، وفيها مسائل:

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : يا أيها الذين آمنوا إن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات.

---

(١) سورة الأنفال ٩.

(٢)سورة البقرة ٢٠٩.

الثاني : يا أيها الذين آمنوا إعلموا إن الله عزيز حكيم.

الثالث : ادخلوا في السلم كافة فإن زللتم من بعد......

الرابع : ادخلوا في السلم كافة فأعلموا إن الله عزيز حكيم.

الخامس : فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات لا تتبعوا خطوات الشيطان.

السادس : يا أيها الذين آمنوا إن الشيطان لكم عدو مبين.

السابع : لا تتبعوا خطوات الشيطان فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات، بلحاظ أن النسبة بين إتباع خطوات الشيطان والزلل هي العموم والخصوص المطلق فالزلل أدنى وأقل مرتبة في الإثم والخطيئة .

الثانية : آية السياق معطوفة على آية البحث من وجوه:

الأول : لغة الخطاب وتوجهها للمسلمين.

الثاني : تغشي صيغة النداء لكل من الآيتين.

الثالث : إتحاد جهة النداء وإرادة عموم المسلمين والمسلمات في أجيالهم المتعاقبة.

الرابع : الثناء على المسلمين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾[1].

الثالثة : كل من الآيتين رحمة بالمسلمين، وهداية لهم وإرتقاء في سلم المعرفة.

الرابعة : البشارة والأمل والمندوحة للمسلمين بأن زللهم لا يخرجهم من صبغة الإيمان، لأن تقدير الجمع بين الآيتين هو: يا أيها الذين آمنوا إن زللتم....) فالخطأ والزلل لا يخرج المسلم عن مقامات الإيمان مما يدل على

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

توالي نعم الله عليه ونزول رحمته ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (١).

وهل ينقص درجتهم وتفضيلهم ، الجواب لا، لأن الزلل عرض طارئ يتدارك بالتوبة ولا يخرج المسلمين عن منازل التقوى، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢).

الخامسة : من إعجاز نظم الآيات أن آية البحث برزخ دون الزلل الذي تذكره آية السياق، من وجوه:

الأول : خطاب التشريف والإكرام ونعت المسلمين من بين أهل الأرض بالإيمان وهو دعوة المسلمين للتقيد بأحكام الشريعة .

الثاني : دخول المسلمين في السلم، ويكون البرزخ من جهات:

الأولى : دخول المسلم في السلم والأمن وإنخراطه في الجماعة واقية له من الزلل.

الثانية : ينتفع من دخول المسلم في السلم أخوه وإبنه وجاره.

الثالثة : دخول المسلم في السلم قوة ومنعة للمسلمين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٣).

الثالث : طاعة المسلم في عدم إتباع خطوات الشيطان واقية وحرز وأمن في النشأتين .

---

(١)سورة ابراهيم ٣٤.

(٢)سورة الحجرات ١٣.

(٣)سورة آل عمران ١٠٣.

السادسة : لما وصفت آية البحث المسلمين بأنهم الذين آمنوا وصدقوا بنبوة محمد أخبرت آية السياق بأن البينات جاءت للمسلمين وتحتمل البينات في المقام وجوهاً:

الأول : مجيء البينات للمسلمين قبل أن يدخلوا الإسلام، إذ كانت علة لإسلامهم.

الثاني : إقتران مجيء البينات والآيات الباهرات للمسلمين بدخولهم الإسلام.

الثالث : تأخر مجيء البينات للمسلمين زماناً على دخولهم الإسلام.

ولا تعارض بين هذه الوجوه، وكلها من مصاديق الآية، فالبينات متصلة ومتجددة وسابقة لدخول المسلمين الإسلام ومتأخرة عليه، قال تعالى ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾(١).

السابعة : بلوغ المسلمين مرتبة الإيمان واقية من الزلل، أو قل من كثرته وتعدد مواضيعه، لذا جاءت آية السياق بصيغة الجملة الشرطية(فإن زللتم).

الثامنة : دخول المسلمين جميعاً في السلم واقية لهم من الزلل، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

التاسعة : مجيء البينات للمسلمين، وجريان المعجزات على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم برزخ دون إتباع الهوى، وغلبة النفس الشهوية، قال تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(١).

---

(١)سورة آل عمران ١٨٤.

(٢) سورة الحجرات ١٠.

العاشرة : ما دام المسلمون منزهين عن إتباع الشيطان وإغوائه فأنهم يتجنبون الزلل والخطأ، وإن وقع بعضهم فيه تدارك وإستغفر وأصلح حاله، قال تعالى ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٢].

الحادية عشرة : تحتمل النسبة بين إتباع خطوات الشيطان والزلل وجوهاً:

الأول : التساوي وأن الزلل المقصود هو إتباع خطوات الشيطان والتحذير منه.

الثاني : إتباع خطوات الشيطان أعم من الزلل والخطأ.

الثالث : الزلل أعم وأكبر من إتباع خطوات الشيطان لأنه خطأ ظاهر.

الرابع : بين الزلل وإتباع خطوات الشيطان عموم وخصوص من وجه.

الخامس : التباين بين الأمرين، فليس من صلة بين الزلل وإتباع خطوات الشيطان.

السادس : عدم وجود قاعدة كلية في الصلة بينهما، فمرة يكون الزلل من إتباع خطوات الشيطان، وتارة ليس من إتباعها.

والصحيح هو الأخير بالنسبة للمؤمنين لعصمتهم من إغواء الشيطان، ومن إتباع خطواته.

الثانية عشرة : بعد أن جاءت البينات والبراهين الساطعة للمسلمين والمسلمات أمرهم الله عز وجل بالتنزه عن إتباع الشيطان، وتلك آية في

---

(١)سورة يوسف ٥٣.

(٢)سورة الأعراف ٢٠١.

رحمة الله وهو من مصاديق قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١)، بتقريب أن الله عز وجل أصلح المسلمين للوقاية من الوسوسة والشك، ويكون من وجوه خروجهم للناس في المقام أمور:

الأول : تأكيد قانون وهو قدرة الإنسان على العصمة من إتباع الشيطان بدليل تنزه المسلمين عن إتباعه.

الثاني : بيان المسلمين العملي للناس بأن الشيطان عدو مبين لهم.

الثالث : تعليم المسلمين الناس كيفية التدارك عند الزلل.

الرابع : ترغيب الناس بالإسلام للحسن الذاتي والعرضي للتنزه عن إتباع خطوات الشيطان.

الثالثة عشرة : من البينات التي ذكرتها آية البحث أمور:

الأول : وصف المسلمين بأنهم الذين آمنوا، ومنه الإيمان بوجوب عدم إتباع خطوات الشيطان .

الثاني : الشهادة من الله للمسلمين بأنهم المؤمنون، فحينما ذكر قبل أربع آيات إفتراء المنافق على الله بالشهادة على ما في قلبه وإدعاء أنه الإيمان، وكذبته ذات الآية ونعتته بأنه﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(٢)، إبتدأت آية البحث بالشهادة للمسلمين بالإيمان والتقوى وفيه دلالة على شهادة الله على صدق إيمانهم، وسلامة قلوبهم من الكفر والنفاق.

الرابعة عشرة : يدل الجمع بين الآيتين على تعدد الأوامر والتكاليف الإلهية المتوجهة من الله للمسلمين والمسلمات ، وفيه شاهد على أهليتهم

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

(٢)سورة البقرة ٢٠٤.

للقيام بالوظائف العبادية، وتضمنت آية السياق الأمر بتقوى الله، ومن مصاديقها بلحاظ آية البحث وجوه:

الأول : إتصاف المسلمين بسنخية الإيمان ، وبين الإسلام والإيمان عموم وخصوص مطلق ، فكل مؤمن هو مسلم وليس العكس ، قال تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١).

الثاني : تعاهد المسلمين للإتحاد بينهم في مرضاة الله والتي تتجلى بأداء الفرائض والعبادات، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢).

الثالث : تنزه المسلمين عن إتباع الشيطان.

الرابع : علم المسلمين بعداوة الشيطان لهم وللناس جميعاً، قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٣).

الخامسة عشرة : ذكرت آية السياق مجيء البينات للمسلمين، ومنها بلحاظ آية البحث أمور:

الأول : توجه النداء من عند الله للمسلمين والمسلمات جميعاً بصفة الإيمان.

الثاني : تعاهد المسلمين لذكر الله وحال الطمأنينة التي تترشح عنه.

الثالث : تنزه المسلمين عن الشقاق والفرق والمذاهب المتخاصمة لأن آية البحث أكدت وجوب دخولهم كافة في السلم ، ولما أحتج الملائكة

---

(١)سورة الحجرات ١٤.

(٢)سورة الحجرات ١٠.

(٣)سورة يوسف ٥.

على جعل خليفة في الأرض ، إحتج الله عز وجل بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) ومن علمه سبحانه دخول المسلمين في السلم وسعيهم في إشاعة وتثبيت الأمن في الأرض بالعمل بأحكام التنزيل .

الرابع : حال اليقظة التي يتصف بها المسلمون وأخذهم الحائطة من إغواء الشيطان.

الخامس : شهادة المسلمين بأن عداوة الشيطان للناس ظاهرة وجلية.

السادس : فضل الله عز وجل على المسلمين بدفع إتباع الشيطان عنهم .

السابع : عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حين ولادته من إغواء وفتنة الشيطان (من سمع عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، يقول : حدثت عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ، أنها قالت : قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر ألتمس بها الرضعاء ، وفي سنة شهباء ، فقدمت على أتان لي قمراء كانت أذمت بالركب ، ومعي صبي لنا ، وشارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما يجد في ثديي ما يغنيه ، ولا في شارفنا ما يغذيه ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتأباه ، إذا قيل : إنه يتيم تركناه ، قلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الوليد ، وأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعا ، غيري . فلما لم أجد رضيعا غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى : والله إني لأكره أن أرجع من بين

(١)سورة القرة ٣٠.

صواحبي ليس معي رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه . فقال : لا عليك . فذهبت فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته فجئت به إلى رحلي ، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب أخوه حتى روي ، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب ، وشربت حتى روينا . فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبي : يا حليمة ، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيرا حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى إن صواحباتي يقلن : ويلك يا ابنة أبي ذؤيب ، أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها لهي . فيقلن : والله إن لها لشأنا . حتى قدمنا أرض بني سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله تعالى أجدب منها ، فإن كانت غنمي لتسرح ، ثم تروح شباعا لبنا ، فنحلب ما شئنا ، وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعا ، حتى إنهم ليقولون لرعيانهم : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم ابنة أبي ذؤيب ، فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيث تسرح ، فيريحون أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن ، وتروح غنمي شباعا لبنا نحلب ما شئنا . فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه ، فكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان ، فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاما جفرا ، فقدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة . فلما رأته أمه ، قلنا لها : يا ظئر ، دعينا نرجع ببنينا هذه السنة الأخرى ، فإنا نخشى عليه وباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم ، فسرحته معنا ، فأقمنا به شهرين أو ثلاثة ، فبينا هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا ، جاءنا أخوه ذلك

يشتد ، فقال : ذاك أخي القرشي ، قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه ، فشقا بطنه . فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه ، فنجده قائما منتقعا لونه ، فاعتنقه أبوه ، فقال : أي بني ما شأنك ؟ فقال : جاءني رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاني ، فشقا بطني ، ثم استخرجا منه شيئا ، فطرحاه ، ثم رداه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب ، فانطلقي بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر فيه ما نتخوف . قالت حليمة : فاحتملناه ، فلم ترع أمه إلا به قد قدمنا به عليها ، فقالت : ما ردكما به ؟ فقد كنتما عليه حريصين ، فقلنا لها : لا والله يا ظئر ، إلا أن الله تعالى قد أدى عنا ، وقضينا الذي علينا ، فقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نرده على أهله ، قالت : ما ذاك بكما ، فاصدقاني شأنكما ، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره . قالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله ، ما للشيطان عليه سبيل ، وإنه لكائن لابني هذا شأن ، ألا أخبركما خبره ؟ قلنا : بلى ، قالت : حملت به ، فما حملت حملا قط أخف منه ، فأريت في المنام حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود ، معتمدا على يديه ، رافعا رأسه إلى السماء ؛ فدعاه عنكما)(١).

السادسة عشرة : إمتناع المسلمين عن الفرقة وأسباب الضعف والتفكك على نحو القطع والدوام وأخبرت آية السياق عن حصول الزلل عندهم ولكن على نحو الإحتمال ، ليكون هذا الإخبار واقية متجددة .

السابعة عشرة : لما أخبرت هذه الآية عن عداوة الشيطان للناس أختتمت آية السياق بوجوب تسليم المسلمين بأن الله عز وجل هو القوي الحكيم، وهو الذي يعفو عن الزلل والهنات.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٥٧/١.

الثامنة عشرة : الزلل الذي تذكره آية السياق من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متعددة قوة وضعفاً، وكثرة وقلة ، وجاءت آية السياق لجعله قليلاً وفرداً نادراً ويسهل تداركه من جهات:

الأولى : نزول النداء من السماء للمسلمين بصفة الإيمان بعث للعز في نفوسهم، ودعوته لهم لتعاهد سنن الإيمان والصلاح.

الثانية : توجه الخطاب للمسلمين على نحو العموم الإستغراقي باعث لبقائهم أمة واحدة.

الثالثة : مجئ البينات للمسلمين وكل بينة واقية وحاجب دون الزلل .

الربعة : عطف إحكام الزلل ﴿فَإِن زَلَلْتُمْ﴾ على نداء الإيمان لبيان أن الزلل من مواقع الإيمان ، وأنه لا يصل إلى حد فعل الكبائر ومن خصائص نداء الإيمان في الآية السلم لإجتناب الزلل والتدارك بالإستغفار عند وقوع الزلل ، وقد تقدم قبل آيات قوله تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

التاسعة عشرة : أختتمت آية البحث بالإخبار عن شدة عداوة الشيطان للمسلمين ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢)، وأختتمت آية السياق بالثناء على الله عز وجل ومدحه وبيان عظيم سلطانه وقدرته وبديع حكمته ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

وفي الجمع بين الخاتمتين وجوه:

---

(١) سورة البقرة ١٩٩.

(٢)سورة البقرة ١٦٨.

(٣)سورة البقرة ٢٠٩.

الأول : من حكمة الله وعظيم قدرته تحذير وإنذار المسلمين من إتباع خطوات الشيطان.

الثاني : دعوة الناس للإقتداء بالمسلمين في التنزه عن إستحواذ الهوى على نفوسهم وأفعالهم.

الثالث : الذي يتبع خطوات الشيطان لا يضر إلا نفسه، قال تعالى﴿اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾.

الرابع : عداوة الشيطان للمسلمين وإن كانت شديدة إلا أن الله عز وجل يدفع سرورها لأنه سبحانه(العزيز الحكيم).

الخامس : مثلما يجب أن يعلم المسلمون بأن الله عز وجل هو العزيز الحكيم وله ملك السموات والأرض وما بينهما فيجب أن يعلموا بأن الشيطان عدو مبين لهم.

السادس : من حكمة الله عز وجل وإحاطته علماً بالأمور إخباره المسلمين بأن الشيطان عدو لهم، وأن عداوته شديدة يحاول أن يزلهم وأن يغريهم بالدنيا وزينتها.

العشرون : العزة من واقية للمسلمين الله عز وجل من عداوة الشيطان وبقاء كيده ضعيفاً واهياً، ومن مصاديق قوله تعالى﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، سلامتهم من مكر وإغراء الشيطان.

الحادية والعشرون : من لطف الله وبديع صنعه وحكمته أن جعل بين أهل الأرض أمة مؤمنة تجاهد في إجتناب إغواء ووسوسة الشيطان،

---

(١)سورة المنافقون ٨.

وتكون حجة على الناس في لزوم الصبر عن الشهوات ، والصبر في أداء العبادات.

الصلة بين خاتمتي الآيتين

وفيها وجوه:

الأول : أختتمت آية السياق بالإخبار عن بغض الله عز وجل للفساد، وإتباع خطوات الشيطان من مصاديق الفساد ليفيد النهي عنه في خاتمة آية البحث زجراً ومنعاً عن الفساد.

الثاني : إخبار آية البحث عن فساد المنافق في الأرض مقدمة للنهي عنه في آية البحث.

الثالث : يفسد المنافق في الأرض وغالباً ما يظن أنه يعمل صالحاً وفي التنزيل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1]، فجاءت آية البحث لتدعوه إلى الدخول في السلم.

ومن منافع هذا الدخول كشف غطاء الرياء عنه وجعله يعرف حقيقة الفساد، والتمييز بين الصالح والطالح من الأعمال، ويعلم أن النفاق من إتباع خطوات الشيطان لما فيه من الصدود عن الإيمان.

الرابع : ورد النهي عن إتباع خطوات الشيطان على نحو الكنية والمجاز، والمراد بلحاظ آية السياق أمور:

(١) سورة البقرة ١١.

الأول : النهي عن النفاق ، وقد ورد الوعيد للمنافقين بسوء العاقبة يوم القيامة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ﴾[1].

الثاني : إمتناع المنافق ذاته عن التولي والسعي للأمرة لتخلفه عن القيام بوظائفها.

الثالث : إفساد المنافق في الأرض خطوات الشيطان ومن إتباعها ، فجاءت الآية للنهي عنه.

الرابع : يفرح الشيطان باختيار الإنسان النفاق وإخفاء الكفر، ويشتد فرحه عند بروز النفاق والكفر في عالم الفعل بالفساد في الأرض.

الخامس : إتلاف الزراعات وقتل المواشي من أظهر مصاديق إتباع الشيطان، ليفيد الجمع بين الآيتين النهي عنه.

السادس : وصفت آية البحث الشيطان بأنه﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ للمسلمين ومن عداوته إغرائه المنافق للفساد في الأرض وهو يعلم أن الله عز وجل لا يحب الفساد والمفسدين.

السابع : من شدة عداوة الشيطان عدم إكتفاء الشيطان من المنافق باخفاء الكفر في نفسه، فيغريه ويستهويه بالفساد في الأرض والسعي بما فيه الأذى والخسارة للمسلمين وغيرهم.

الثامن : هلاك الزرع.

---

(1) سورة النساء ١٤٥.

إعجاز الآية

دعوة المؤمنين للتوحيد والإيمان بالرسالة وإجتناب إتباع الشيطان من أهم القواعد التشريعية، وهي سبيل نجاة ووسيلة اجتياز لابتلاءات الدنيا بتوفيق ونجاح، لذا جاءت بها هذه الآية الكريمة وتبين الآية البيان العملي للإيمان وظهوره على الجوارح.

بعد ثلاث آيات تتعلق بالمنافق وذمه من جهات:

الأولى : ما يخفيه المنافق في نفسه من الكفر.

الثانية : إفتراء المنافق على الله في موضوع يتعلق بسريرته وإدعائه الإيمان كذباً وزوراً، وفي التنزيل ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1]، ولم يرد لفظ(نشهد) إلا في هذه الآية لبيان لزوم التثبيت في الشهادة وإجتناب شهادة الزور، وللإخبار بأن الله عز وجل يعلم بالشهادة ويجازي عليها، ويفضح الشهادة واليمين الغموس.

الثالثة : بيان القرآن لقانون دائم لا يقبل النسخ أو التبديل وهو أن المنافق ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[2].

الرابعة : إتخاذ المنافق التولي للإفساد في الأرض وكذا عندما ينهزم ويفر فانه لا يهرب بنفسه وينشغل بذنبه بل يحمل أوزاراً إضافية ويضر المسلمين والناس.

الخامسة : بيان قانون كلي وهو أن النفاق آفة إنسانية تضر الزراعات والنفوس والدواب، فكما تأتي آفة من السماء كالصاعقة أو من الأرض

---

(١) سورة المنافقون ١.

(٢) سورة البقرة ٢٠٤ .

كالزلزلة فأنها قد تأتي من الإنسان آفة وهي النفاق فتتلف الحرث والنسل لولا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول هذه الآيات بفضح المنافق وتحذير المسلمين منه، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

فان قلت إن النفاق ولد ونشأ حربا على رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولولاها لم يكن هناك نفاق.

والجواب كان المنافقون كفاراً يظهرون ويبطنون الكفر، فجاءت معجزات محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاظهروا الإسلام ولكن بواطن نفوسهم لم تتنزه من الكفر والضلالة والشح، فجاءت هذه الآيات لفضحهم، ومن مفاهيم هذا الفضح إصلاحهم وجذبهم لمنازل التوبة.

السادسة : إخبار هذه الآيات عن إصرار المنافق على الكفر، وتجرأه باظهاره على جوارحه، وإعلانه رضاه به، ويأتي هذا الإعلان بتحقق أمرين:

الأول : تولى المنافق.

الثاني : تمادي المنافق في الضرر، وإدراك الناس للزوم كفه عن الأذى والإضرار بالناس بواسطة صيغ الإرهاب ومنها التفجيرات العشوائية في المساجد ، ودور العبادة والأسواق والمطاعم وغيرها ، فهذه التفجيرات حرام ومنافية لقوله تعالى ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[2].

ومن إعجاز الآية مفهوم الموجبة الكلية بعدم تخلف أو خروج بعض المسلمين عن النهج الإيماني العام وهل السلم كيان قائم بذاته أم أنه فرع

(1) سورة الأنبياء ١٠٧.

(2) سورة البقرة ٢٠٨.

الكتاب والسنة، الجواب هو الثاني، وتدل عليه بداية الآية بالخطاب بصفة الإيمان وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾(١).

وجاءت الآيات المجاورة بالحث على أداء مناسك الحج والتحذير من النفاق وأهله ليواظب المسلمون على الفرائض وتكون وسيلة لإتحادهم وأخوتهم، وهم في حيطة وحذر من المنافقين .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في خطبة الوداع (لا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف)(٢).

ويمكن تسمية هذه الآية آية (ادخلوا في السلم) ولم يرد لفظ (في السلم) في القرآن إلا في هذه الآية الكريمة.

وكأنه دلالة على إنفراد المسلمين بالوحدة والإتحاد في السلم والوفاق فيما بينهم ، وإستدامة التآخي بينهم .

الآية سلاح

تيسر الآية للمسلمين إختيار مناهج الصلاح وإتباع احكام الإيمان وتحثهم على الإحتراز من الشيطان واغوائه وتنهاهم عن أهل الضلالة والكفر.

وإبتدأت الآية بصيغة الثناء والمدح للمسلمين والمسلمات بقوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا) وفيه بيان لقانون وهو أن الدخول في السلم فرع الإيمان.

ولما إجتاز المسلمون مرحلة الإختيار والإختبار وإنتقلوا إلى منازل الهدى وسبل الرشاد بالنطق بالشهادتين وأداء الفرائض جاءت هذه

---

(١)سورة الفرقان ٧٧.

(٢)الدر المنثور ٧٥/٤.

الآية من أجل تثبيت أقدامهم في مقامات الإيمان، وإصلاحهم لبناء صرح الإسلام، وتبين الآية بالدلالة الإلتزامية أن المسلمين في حال خطر بسبب تهديد ووعيد الكفار وزحفهم المتكرر على ثغر الإسلام الوحيد وهو المدينة المنورة، وهو من مصاديق قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأحسن المسلمون التمسك بالكتاب والسنة وأظهروا طاعة الله ورسوله، وعجز الشيطان عن إغراء عدوهم به مع تلبس هذا العدو بالكفر والضلالة.

وبخصوص معركة بدر والإستعداد لها وفي قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾(١)، ورد عن ابن عباس قال: أقبلت عير أهل مكة تريد الشام، فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريدون العير.

فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا العير.

وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين يريد القوم وعير أبي سفيان، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم، فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمون ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا فأمطر الله عليهم مطرا شديدا، فشرب المسلمون وتطهروا، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان، فصار الرمل لبدا ومشى الناس عليه والدواب.

---

(١)سورة الأنفال ٦.

فساروا إلى القوم وأيد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه ذريته وهم في صورة رجال من بنى مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وقال الشيطان للمشركين ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾[1]، فلما اصطف الناس قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره.

ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه فقال: "يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا" فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين.

وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه، وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع إبليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: إنى أرى ما لا ترون، إني أخاف الله والله شديد العقاب، وذلك حين رأى الملائكة)[2].

والمختار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من المدينة بقصد الإستيلاء على قافلة أبي سفيان ، أو أن هذا القصد هو سبب معركة بدر ، إنما كان يخرج على نحو دوري في كتائب حول المدينة لغرض الإستطلاع وتأمين أطراف المدينة وهي ثغر الإسلام ، وبيان سنخية الإسلام ، وسيأتي مزيد كلام في الأجزاء اللاحقة منها الجزء الثامن والعشرون بعد المائتين.

لقد كان المسلمون مهاجرين وأنصاراً أخوة متحابين في الله، عجز

(١) سورة الأنفال ٤٨.

(٢)ابن كثير/ السيرة النبوية ٢/ ٤٣٣.

الشيطان عن الوسوسة إليهم، لقد إنهزم الشيطان يوم بدر لتكون هزيمته إيذانا بوقوع كفار قريش بين قتيل وأسير.

وجاءت آية البحث لترغيب المسلمين بالبقاء على الإيمان أيام حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد إنتقاله إلى الرفيق الأعلى، قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

لتفيد آية البحث أن دخول المسلمين في السلم والوئام وثباتهم في مراتب الإيمان برزخ دون الإنقلاب على الأعقاب ومانع من الإرتداد، ليكون من إعجاز نظم القرآن والصلة بين آياته أن تأتي آية بنهي وزجر، وتأتي آية أخرى مدداً للمسلمين للتقيد بمضامين هذا النهي.

قاعدة كلامية

يمكن ان نؤسس قاعدة قرآنية وكلامية وهي ان نرى ما يشمل الآية القرآنية من الأسماء الحسنى، وقد يتعلق مضمون الآية بأكثر من اسم من الأسماء الحسنى لتكون كل آية مدرسة كلامية في تأكيد وجوب عبادة الله عز وجل وعظيم قدرته وتعاهده للخلائق واتصال نعمه.

ويصبح التفسير ذا معان أعم وأوسع فالأمر بدخول السلام من عمومات رحمته تعالى وبما ان الإسلام رحمة للناس جميعاً فهو من صفة (الرحمن) وينتفع منها الناس جميعاً، ويختص المؤمن برشحات وافاضات صفة الرحيم، كما من اسمائه تعالى (السلام) فهو الذي يأمر بالسلام ، قال تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ

(١)سورة آل عمران ١٤٤.

الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[1].

مفهوم الآية

تظهر الآية العناية الإلهية بالمسلمين بهدايتهم الى سبيل الرشاد، وتلاحظ في الخطاب صيغة الجمع وارادة العموم في ابتغاء الأمن والصلاح والوئام والتخلي عن النزعات العصبية القبلية ومنع الفرقة والتشتت بتعدد الولاء والإنتماء ، لذا ترى لفظ (كافة) وكأنه توكيد للدخول الجمعي في الصلح والصلاح والإبتعاد عن الأحقاد والنعرات والثأر، وهذا من إعجاز القرآن ومدرسته في تعبئة الجهود والطاقات لخدمة الإسلام فالوحدة من أوثق أسباب النصر، والفرقة والخلاف من مقدمات الهزيمة والخسران فمن اجل الفتح والنصر والغلبة على الأعداء لابد من الإلتقاء والإجتماع على الإسلام وجعله الفيصل والجامع المشترك والهوية والعنوان لكل مسلم .

وفي هذه الآية ووفق هذا المفهوم تتجلى لك مدرسة الإسلام العقائدية فالجماعات والدول والتنظيمات السياسية تحاول الإلتقاء على حد أدنى والمشتركات في العقائد والغايات، والوسطية في الأمور الخلافية وان الإتحاد والإلتقاء لا يلغي الحقوق الخاصة للأفراد والجماعات او مصادرة ولاءها، اما القرآن فجاء وقبل ألف واربعمائة سنة بقوانين عقائدية فريدة لا تنحصر بصهر وفناء الإنتماءات القبلية والبلدية في الإسلام بل بمحوها وعدم اعتبارها وانتفاء موضوعها بكلمتين من

(١) سورة الحشر ٢٣.

جوامع الكلم وتلك حالة فريدة في التأريخ والملل ، وليكون المسلم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (١).

فبنوا إسرائيل مثلاً انقسموا إلى إثني عشر سبطاً وقبيلة وحصلت خلافات بينهم وأزال الإسلام العصبية وقيم الجاهلية، ومنع من ولادة اسباب الفرقة وتعدد المذاهب والكيانات والولاءات، ولم ينحصر موضوع هذه الآية لم ينحصر بالقضاء على الولاءات القبيلية ايام النزول وفيما بعد بل أنها واقية وحرز من عودتها الى السطح مرة أخرى او ظهور ولاءات جديدة أو سيادة انظمة الإنتماءات عند غير العرب ممن يدخل الإسلام وهم أكثر من العرب أنفسهم وكل له نظام وهيئات يرجع اليها في حفظ الذات والولاء ويأوي اليها في حالات الخلاف والصراع.

فجاءت هذه الآية لتلقيها كلها وتدعو الى ولاء واحد يجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ويجعل العزة والفخر بالإنتماء للإسلام لذا ترى شعوباً وجماعات عربية كثيرة في هذا الزمان لا تعرف اصولها العربية او انها تحاول ربط تأريخها ببعض القبائل للعلم الإجمالي بانتمائهم للعرب، كل هذا بسبب الإستغناء بالنسبة الى الإسلام عن النسب والتفاخر بالأجداد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٢).

ان الإنتماء الى الإسلام هوية ونسباً وسبباً مقوم للحياة الإجتماعية وترسيخ للكيانات السياسية وطرد للأخلاق الذميمة من التفاخر بالآباء او التعريض بالآخرين بسب دناءة نسبهم.

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢)سورة آل عمران ١١٠.

ثم جاء التحذير من اتباع الغواية ويتجلى هذا التحذير بقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1] ومنها التفاخر بالآباء وطلب المناصب والزعامة بسبب النسب والإنشغال بالتغني بالأمجاد واظهار البطولات الشخصية والقبلية وما فيها من بث روح التشتت وشعور الآخرين بالغبن او الحيف وفيها منع من الغرور والجحود والفرقة فالآية عز للمسلمين وتبعث على الثقة بالنفس والإفتخار والإعتزاز بالإسلام وهي ترغيب للمستضعفين والناس جميعاً بدخول الإسلام والآية حرب على التمايز بين المسلمين ودعوة للعدل والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات لذا ترى أحكام القصاص والقضاء واحدة بالنسبة لجميع المسلمين ولا تمييز فيها بين الغني والفقير، والسيد والعبد، والعربي والمولى ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

وفي الآية ذم للعصبية واعتبارها من خطوات الشيطان وكذا الفرقة ومن مفاهيم الآية ان عدم الدخول في السلم والوئام والصلح بين المسلمين قد يكون باباً للتقصير في العبادات والفرائض فجاء التحذير منه في الآية الكريمة.

إبتدات آية البحث بحرف العطف الفاء بقوله تعالى ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ لتأكيد تعلق وإتصال موضوعها بالآية السابقة ، ويحتمل الزلل في المقام وجوهاً :

---

(١)سورة الأنعام ١٤٢.

(٢) سورة آل عمران ١١٠.

الأول : هل يصح تقدير الآية : فان زللتم عن الإيمان ، الجواب لا ، إذ أن نداء الإيمان في الآية السابقة ينفيه لمجيئه بصيغة الماضي وإطلالة ذات النداء على المسلمين والمسلمات في كل يوم .

الثاني : تقدير الجمع بين أول الآية السابقة وآخر هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا إن الله عزيز حكيم يقيكم أكثر مواطن الزلل ، لبيان قانون وهو إفادة الشرطية في الآية قلة الزلل ، وإحتمال حدوثها أو عدمه.

الثالث : إن زللتم فاعلموا أن الله عزيز حكيم يتفضل على المسلمين ويقيل عثراتهم .

الرابع : إن زلّ أحدهم فان الله عزيز حكيم تفضل وأمر المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيدفعون أخاهم عن الزلل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1] ومن الآيات أن الصبر الصبر واقية من الزلل .

الخامس : بيان الآية السابقة ، ومجيؤها بالنهي عن إتباع خطوات الشيطان حرز من الزلل ، وتقدير الجمع بين الآيتين على جهات :

الأولى : ولا تتبعوا خطوات الشيطان فانه يزلكم .

الثانية : من عداوة الشيطان الظاهرة لكم أنه يزلكم .

الثالثة : لقد بيّن لكم الله عز وجل عداوة الشيطان لكم كيلا تزلوا وتخطأوا .

ومن وجوه تقدير آية البحث : إن أزلكم الشيطان) فالأصل في خلق الإنسان هو الفطرة والتي تتقوم بعبادة الله والصلاح ، ولكن الشيطان

---

(١) سورة العصر ٣.

يغوي الإنسان وتميل نفسه الشهوية إلى إرتكاب المعصية فجاءت آية البحث لمنع دبيب اليأس والقنوط إلى نفوس المسلمين .

ومن مفاهيم عطف هذه الآية على آية النهي عن إتباع خطوات الشيطان أن أسباب الزلل لا تكون من ذات المسلمين وقد يقال أن إتباع بعض المسلمين خطوات الشيطان غواية لغيرهم الذي قد يحاكي الجواب حتى على فرض هذا المعنى فانه من خطوات الشيطان وعداوته للإنسان عامة وللمسلمين على نحو الخصوص .

الآية لطف

إبتدأت الآية بخطاب الإكرام الموجه للمسلمين والمسلمات ليكون عوناً لهم للتقيد بمضامين الآية والعمل بما فيها من الأمر من الوحدة والوفاق بين المسلمين وإجتناب ما نهت عنه من إتباع إغواء الشيطان وأسباب الضلالة ، ولأن كل مسلم ومسلمة يحتاجان ما في الآية من الأمر والنهي وكل فرد منهما نعمة عليهم جميعاً مجتمعين ومتفرقين ، إبتدأت الآية بالخطاب التشريفي العام ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والشهادة لهم بالتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتكون هذه الآية حرباً على النفاق وزاجراً منه .

ويمكن تأسيس قانون وهو كل آية من القرآن دعوة سماوية للمنافقين للتوبة والإنابة في منطوقها ومفهومها ، وهو من إعجاز القرآن وتضمنه لأسباب جلب المصلحة ودفع المفسدة الخاصة والعامة ، قال تعالى ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [1] وفي الآية أعلاه ورد عن عروة (أن رجلاً من الأنصار

(١) سورة التوبة ٧٤.

يقال له الجلاس بن سويد قال ليلة في كتيبة تبوك : والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير .

فسمعه غلام يقال له عمير بن سعد وكان ربيبه فقال له : أي عم ، تب إلى الله . وجاء الغلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه فجعل يحلف ويقول : والله ما قلت يا رسول الله . فقال الغلام : بلى ، والله لقد قلته فتب إلى الله ، ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته ، فجاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكتوا فلا يتحركون إذا نزل الوحي ، فرفع عن النبي فقال { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر } إلى قوله { فإن يتوبوا يك خيراً لهم } فقال : قد قلته وقد عرض الله عليّ التوبة فأنا أتوب ، فقبل ذلك منه ، وقتل له قتيل في الإسلام فوداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاه ديته فاستغنى بذلك وكان همّ أن يلحق بالمشركين ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للغلام : وعت أذنك)[1].

وتبين الآية فضل الله على المسلمين ، بتقريبهم لمراتب العز والرفعة والجاه بالإتحاد وهو سبحانه غير محتاج للناس والخلائق جميعاً ، قال تعالى ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[2].

ولما بينت الآية السابقة تضحية المجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، المدافعين عن حدود الله بقوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾[3].

---

(١) الدر المنثور ١١٦/٥.

(٢)سورة يونس ٦٨.

(٣)سورة البقرة ٢٠٧.

وجاءت هذه الآية بالخطاب الشامل للمسلمين والمسلمات بأن يتحدوا في مرضاة الله ، وبالتقيد بقواعد الإسلام وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١).

إفاضات الآية

يبعث خطاب التشريف في أول الآية المسلمين على تلقي مضامين الآية بالطاعة والإمتثال الحسن وتبين الآية أنه بعد الإيمان تأتي التكاليف التي لا تنحصر بالفرائض العبادية ، بل لابد من إجتماع المسلمين على السلم والوفاق والتراحم فيما بينهم ، قال تعالى في الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢).

ومن فيوضات آية البحث لغة العموم الاستغراقي فيها بعدم خروج أحد منهم عن حال السلم وتنهى عن الشقاق ذي صبغة الفسوق والضلالة .

ويتجلى هذا التقيد بلحاظ أول الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مما يعني تقّوم السلم بالإيمان وفيه ثناء إضافي على المسلمين بأنهم لا يجتمعون على الباطل ، ولا يهادنون أهل الكفر .

ومن إعجاز الآية أنها جاءت بصيغة الأمر العام ﴿ادْخُلُوا﴾ لبيان أن السلم مناسبة للجدال بالبرهان والبيان والدليل وأن في القرآن حجة دامغة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢)سورة الفتح ٢٩.

(٣)سورة الزمر ٣٦.

تبين الآية قانوناً وهو سعة رحمة الله بالمسلمين ، وأنه سبحانه هداهم للإيمان وفعل الصالحات وحذرهم من فعل المعاصي ، ومع التحذير الوارد في الآية السابقة فقد تزل قدم أحدهم ، فلا ينتقم الله عز وجل لأنه أقام الحجة على المسلمين بالنبوة والكتاب ، وقال تعالى ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[١] إنما تفضل الله عز وجل بما يبعث السكينة في نفوس المسلمين بأنه حتى مع الزلل فان الله عز وجل يرحمهم ويبعدهم عن المعصية وهو من معاني لفظ (الزلل) في الآية إذ يدل بالدلالة التضمنية على عدم إستدامة أو صيرورته نهجاً وفعلاً متكرراً ، لبيان أن الإيمان بالله ورسوله واقية من الزلل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢] وأختتمت الآية بتأكيد وهن وضعف الشيطان وفضح خطواته وبيان قبحها إذ أكدت الآية بأن الله عز وجل هو العزيز الذي لا يقهر.

من غايات الآية

في الآية مسائل:

الأولى : إكرام المسلمين بخطاب الثناء والمدح والشهادة لهم بالإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وثيقة سماوية تبعث على الصلاح والتقيد بسنن التقوى ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٣].

---

(١)سورة النساء ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران ١٣٢.

(٣) سورة الأنفال ٢.

الثانية : دلالة الآية بالدلالة التضمنية على إستجابة المسلمين لأمر الله بالدخول في السلم ونبذ الفرقة والخلاف، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١).

الثالثة : إرادة أجيال المسلمين المتعاقبة في لغة الخطاب في الآية، وهو من أسرار وجوب تلاوة القرآن على المسلمين والمسلمات وجوباً عينياً كل يوم عدة مرات، فلا يعلم المنافع العظيمة لتلاوة كل جيل وجماعة من المسلمين كل آية من القرآن إلا الله عز وجل، فكيف وهم يتلون عدة مرات في اليوم سورة الفاتحة وهي من سبع آيات ، وسورة وآيات من سور أخرى.

الرابعة : دعوة المسلمين للتآزر والتعاضد في فعل الخيرات، وعمل الصالحات.

الخامسة : إرادة مسارعة المسلمين في الخيرات، وهو المستقرأ من قوله تعالى ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ لما يفيده ظاهر الامر من الفورية في هذا الدخول، وتغشي الأمر جميع المسلمين والمسلمات لسور الموجبة الكلية الوارد في الآية (كافة).

السادسة : نهي المسلمين عن فعل الفواحش، وإرادة تنزههم عن إرتكاب الآثام، ووقايتهم من إتباع الشيطان في وسوسته.

السابعة : الجمع في الآية بين الأمر بالصلاح والنهي عن الفساد، وفيه دعوة للمسلمين للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثامنة : تنمية ملكة حب الإسلام في نفوس المسلمين، وجعلهم يسعون إلى السلم ونشر الأمن في ربوع البلاد الإسلامية، وعموم الأرض، قال تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١).

---

(١)سورة آل عمران ١٠٣.

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بالخطاب التشريفي للمسلمين والنداء الكريم الذي يبعث على الإستجابة والإمتثال لمضامين الآية الكريمة ، إذ قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وإرادة المسلمين والمسلمات منه ، ثم تعقبه الأمر ﴿ادْخُلُوا﴾ لإرادة الإستعارة في الإقبال النفسي والعملي وبالقلوب والجوارح في السلم والطاعة وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢).

ومن إعجاز الآية أنها ذكرت الدخول في موضوع (السلم) وهو نعمة عظيمة من جهات :

الأولى : ذات السلم نعمة سواء كان بمعنى الإسلام أو الطاعة أو السلام والصلح وإجتناب الفرقة والإقتتال .

الثانية : شمول المسلمين جميعاً بالنداء ولزوم التقيد بأمر السلم ، وفيه عز لهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ﴾ (٣).

الثالثة : الآية حرب على النفاق ، ودعوة للمنافقين للتنزه عنه في السر والعلانية ، فصحيح أن المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر إلا أن الكفر يظهر على لسانه ليس من باب فلتات اللسان بل يبتليه الله عز وجل فيكشف ما في سريرته لوقاية المسلمين من أذاه .

---

(١)سورة الحجرات ٧.

(٢) سور آل عمران ١٣٢.

(٣) سور آل عمران ١٣٩.

الرابعة : دخول المسلمين في السلم كافة تأهيل لهم لإمامة الناس في سبل الصلاح.

وتبعث الآية المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتدعو المسلمين للمناجاة بينهم للتعاون والتآزر والدخول في السلم ، وعن النعمان بن بشير (قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

مثل المؤمنين في تراحمهم و توادهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر) (١).

وبعد أن جاء الأمر بالدخول في السلم تعقبه النهي عن إتباع خطوات الشيطان وإغوائه لإستدامة الصلاح عند المسلمين .

ومن إعجاز الآية أنها بدأت بالأمر بالدخول بالسلم ، ومجئ هذا الأمر للمسلمين والمسلمات بعرض واحد ، ثم جاء النهي عن الفعل القبيح بعده ، ليكون الأمر بالدخول في السلم سلاحاً وحرزاً من المنكر وولوج أبوابه .

وأختتمت الآية بيان قانون كلي وهو أن الشيطان عدو مبين للمسلمين من جهات :

الأولى : عداوة الشيطان للمسلم والمسلمة على نحو الإستقلال .

الثانية : عداوة الشيطان للمسلمين مجتمعين .

الثالثة : من عداوة الشيطان للمسلمين محاولة منعهم من الدخول في السلم كافة ، ، فلذا جاء الأمر أولاً قبل النهي عن إتباع خطوات الشيطان ، ليكون المسلمون في عصمة من حيل ومكر الشيطان ، قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٢).

---

(١) سور شعب الإيمان ١٠٢/٦.

(٢) سور فاطر ٦.

التفسير

تفسير قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وفيه وجوه :

الأول : خطاب ورد في القرآن تسعاً وثمانين مرة وهو نداء ودعوة عامة تشمل المؤمنين والمسلمين كافة ومن آمن بالرسالة الإسلامية إيماناً ظاهراً.

الثاني : ينحل الخطاب بعدد المسلمين وينبسط على كل أجيالهم المتعاقبة، ويشمل ايضاً المنافقين والضلال كما ورد في الخبر وهو لطف ورحمة وحجة.

الثالث : أصل كلمة السلم الإنقياد، وهو ظاهر عرفاً في طاعة الله وفي الصلح لما في الصلح من معاني الإنقياد للشروط والوفاق والإبتعاد عن المنازعة ، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (١).

الرابع : مع إطلاق الآية فان فيها تشريفاً للمسلمين والذين نطقوا بالشهادتين وحكم عليهم بالإسلام وحقنت دماؤهم وحلت مناكحتهم.

الخامس : جاءت هذه الآية لتنقل المسلمين الى مراتب أعلى في مسالك الهداية وتخلصهم من الكدورات الظلمانية.

السادس : في الآية أمر للإلتقاء عند الحد الأدنى من الإيمان وهو الإشتراك والإلتقاء في طاعة الله تعالى والإستسلام لأمره.

---

(١) سور الأنفال ٦١.

تفسير قوله تعالى ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ وفيه وجوه :

الأول :الآية دعوة للمسلمين بالتخلي عما يتعارض مع أحكام الإسلام من عادات الجاهلية ليكون عنواناً للوحدة وشعاراً عاماً للإسلام يكفي في درء اخطار الأعداء ومنع الخصومة والشقاق بين المسلمين.

الثاني : الإلتقاء عند حد وعناوين جامعة وقواعد كلية يؤمن بها جميع المسلمين سبب لزيادة الهدى ، ونيل مراتب أعلى في سلم الإيمان.

الثالث : ورد عن ابن عباس وجماعة ان قوله تعالى ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ﴾ أي: الإسلام، وعن الربيع: في الطاعة، وهما من مصاديق الآية أي ان الآية أعم منهما.

الرابع : ذكر ان هذه الآية نزلت في طائفة من مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبي عليه السلام اقاموا بعده على تعظيم شعائر موسى، فعظموا السبت وكرهوا لحوم الإبل والبانها، وبعد اسلامهم قاموا بتركها، جمعاً بين جواز تركها في احكام الإسلام ووجوب تركها في التوراة، فجاءت الآية لتأمرهم بالإلتزام بأحكام وشرائع الإسلام.

الخامس : يحمل السلم على معناه الظاهري المتعارف لحجية ظواهر الألفاظ ولأن الأدلة تحمل على المتعارف فتكون الآية حثاً على السلم ونبذاً للخصومة والشقاق ومنعاً من الإفتتان بين المسلمين.

السادس : وردت نصوص كثيرة عن أئمة اهل البيت تحمل السلم على الإعتصام بحبل الله والمعرفة بالولاية.

دعوة إضافية موجهة للمنافقين بلزوم نبذ الفساد، وتقدير الجمع بين الآيتين في المقام بخصوص خطاب المنافق على وجوه :

الأول : أدخل في السلم إذا توليت.

الثاني : إذا توليت في الأرض فادخل في السلم.

الثالث : أدخل في السلم ولا تفسد في الأرض.

الرابع : إذا توليت فادخل في السلم ولا تهلك الحرث والنسل.

الخامس : أدخل في السلم والله لا يحب الفساد.

السادس : إذا توليت فلا تتبع خطوات الشيطان.

السابع : الشيطان لك عدو مبين.

الثامن : يريد الشيطان تسعى في الأرض لتفسد فيها.

التاسع : يريد الشيطان تهلك الحرث والنسل.

العاشر : من عداوة الشيطان لك الحيلولة دون دخولك في السلم.

الحادي عشر : من شدة عداوة الشيطان لك مخالفتك للمسلمين في دخولهم جميعاً في السلم.

يفيد الجمع بين الآيتين أن المنافق إذا تولى قد يدخل في السلم ولا يفسد في الأرض، لأثر آية البحث في جذبه إلى منازل التوبة، فان قلت هذا خلاف منطوق آية السياق الجواب لا، فمن المقاصد السامية لآية البحث إدخال المنافق في حدائق التوبة البهيجة وإذا تغير الموضوع وحسن إسلام المرء تبدل الحكم، وهل من منزلة برزخ بين حال النفاق وبين دخول السلم كمن لو كان مؤمناً ولكنه لم يدخل في السلم خصوصاً وأن آية البحث تأمر المسلمين بالدخول في السلم وكأنهم أو شطر منهم لازالوا في الطريق إليه، الجواب ليس من برزخ في المقام إذ

تبين آية البحث خصلة من خصال المسلمين وهي دخولهم جميعاً في السلم، وهو من خصائص ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

يترشح عن دخول المسلمين في السلم بلحاظ آية السياق أمور:

الأول : منع المنافق من بلوغ مرتبة الحكم والولاية.

الثاني : فزع وخوف المنافق من المسلمين لأنهم أمة متحدة .

الثالث : عجز المنافق عن إظهار نفاقه لوحدة المسلمين في مرضاة الله سبحانه.

الرابع : دخول المسلمين في السلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ﴾[2].

الخامس : بيان حقيقة وهي تنزه المسلمين عن الذي يسعى في الأرض فساداً ويتلف أموال الناس ظلماً وحسداً وعدواناً فهم داخلون في السلم، مجتمعون على طاعة الله، فقد يفسد المنافق في الأرض مع إدعائه الإسلام وإظهاره الشهادتين وهو أمر يسئ إلى الإسلام والمسلمين في واقعهم وتأريخهم، في يومهم وغدهم، فجاءت آية البحث للبراءة من المنافق بذاته وفعله وإفساده، وينقضي فساد المنافق، وتنطوي أيامه، ولكن آية البحث باقية تنبض بالحياة إلى يوم القيامة، وتشهد كل يوم على سلامة الإسلام من دنس النفاق، وبراءة المسلمين من فساد المنافق.

---

(1) سورة آل عمران ١١٠.

(2) سورة آل عمران ١٠٤.

السادس : يفيد تحذير المسلمين من إتباع خطوات الشيطان وزجرهم، ورجاء عصمتهم من الإنتقال إلى حال إتباع إغواء الشيطان ويشمل هذا التحذير المنافقين من جهات:

الأولى : دعوة المنافق للتوبة والإنابة.

الثانية : موضوعية آية البحث في إصلاح فعل المنافق وجعله يبغض الفساد ويسعى لإجتنابه لإمتناع إجتماع الضدين، فمن يبادر إلى الدخول في السلم مع أفراد(خير أمة) لا يعمل في ذات الوقت نقيض هذا الدخول.

الثالثة : المنافقون جزء من المسلمين وينطقون بالشهادتين، ويتوجه لهم النداء في كل يوم بلزوم الدخول في السلم.

وآية البحث إنحلالية إذ يتلو أو يسمع المنافق الأمر بدخول السلم فيكتسب منها ولو على نحو الموجبة الجزئية، والخاطرة السريعة التي تتصف بخصوصية قرآنية وهي عدم مغادرتها القلب، فيبقى أمر الآية بدخول السلم في الوجود الذهني عند المسلم مطلقاً وعند المنافق لتقربه إلى منازل التوبة والإنابة وتزجره عن الفساد والإضرار بالناس.

والسلم والسلام والأمن أمور محبوبة بذاتها، فأراد الله عز وجل للمسلمين الأجر والثواب بما هو محبوب وحسن موضوعاً وحكماً وكما تكون للسلم منافع وآثار عظيمة فأنه يترشح عن أمور منها:

الأول : التآزر والتعاون طاعة الله قال تعالى﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1].

الثاني : تعاهد المسلمين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١)سورة المائدة ٢.

الثالث : أداء الصلاة في أوقاتها فأنها سلم وسكينة، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١).

الرابع : إجتناب الخصومة والمنازعات، قال تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(٢).

الخامس : ترك الأخلاق المذمومة كالغيبة والنميمة.

السادس : الحسن الذاتي لتمسك المسلمين بالقرآن والسنة، وتجلي هذا التمسك يتعاهدهما بالعمل بمضامينها، وتلاوة القرآن وحفظه رسماً وآيات، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٣).

ترى لماذا إبتدأت الآية بالخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الجواب فيه وجوه:

الأول : بيان اللطف الإلهي بالمسلمين بالإبتداء بإكرامهم قبل توجيه الأمر لهم.

الثاني : التحدي والبرهان بأهلية المسلمين للإمتثال للأمر الإلهي الوارد في الآية الكريمة.

الثالث : إشعار المسلمين بأنهم جميعاً مأمورون بالدخول في السلم وحال الأمن.

الرابع : البرهان على أهلية المسلمين للعمل بالأمر الإلهي الوارد في الآية، وهو من مصاديق الثناء عليهم في قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

---

(١)سورة الرعد ٢٨.

(٢)سورة الأنفال ٤٦.

(٣)سورة آل عمران ١٠٢.

لِلنَّاسِ﴾[١].

الخامس : بيان التباين والتضاد بين الإيمان وإتباع خطوات الشيطان.

السادس : علم الله عز وجل بأن المسلمين يدخلون في السلم كافة ويتنزهون عن إتباع خطوات الشيطان، وهم يعلمون بشدة عداوة الشيطان لهم.

فإن قلت وردت آيات تخبر عن حصول الفرقة والإقتتال بين المسلمين كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٢].

والجواب جاءت الآية أعلاه بصيغة الجملة الشرطية ولا تعني وقوع القتال كما تقول (إن جاء زيد فأكرمه) بالإضافة إلى مضامين الآية بلزوم الإصلاح بين المؤمنين وأنهم بمنزلة الأخوة للمسلمين وبعرض واحد من غير تباين في حال الصلح لأن المدار في المقام وفق إصلاح ذات البين ومنع إراقة دماء المسلمين.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزغ في يده ، فيقع في حفرة من نار[٣].

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢)سورة الحجرات ٩.

(٣) الدر المنثور ٢٨٧/٦.

تفسير قوله تعالى ﴿كَافَّةً﴾

وفي الآية وجوه :

الأول : أي جميعاً وهي من أدوات العموم، جاءت على نحو الموجبة الكلية، وتفيد العموم الإستغراقي، فالدخول في الإسلام والعمل بأحكامه يشمل كل مسلم ومسلمة.

الثاني : قيل ان (كافة) وصف للسلم، أي اعملوا بجميع احكام الإسلام وشعائره باعتبار انه شريعة متكاملة وناسخة للشرائع المتقدمة.

ولا مانع من هذا القول خصوصاً وان الاسلام عقيدة وشريعة متكاملة الا انه لا يصلح ان يكون بديلاً عن المعنى الظاهري لها وافادتها توجه الخطاب لجميع المسلمين.

الثالث : تنهى الآية وتحذر من الفرقة والشقاق وقد وردت كافة في القرآن خمس مرات تحمل معنى الكل والجميع بالنسبة للعقلاء مثل قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[1] ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾[2] لذا فان الظاهر هو تعلق ﴿كَافَّةً﴾ بالذين آمنوا ودخولهم في السلم، ثم ان وصف السلم على الإطلاق لا يحتاج الى لفظ ﴿كَافَّةً﴾ لظهور الإطلاق بالألف واللام.

الرابع : لأن الإسلام شريعة متكاملة جاءت الأوامر الإلهية بالعمل بأحكامها على نحو العموم المجموعي من غير تفريط ببعض منها.

الخامس : يمكن ان يحمل الدخول في السلم على نحو الإطلاق بالإضافة الى الظاهر، أي يكون المراد منه التوقف عن اسباب الحروب والدخول في المعارك مع غير المسلمين، والحث على التوجه الى الصلح،

---

(١) سورة التوبة ٣٦.

(٢) سورة التوبة ١٢٢.

لما فيه من فرصة للبناء العقائدي وترسيخ الأحكام واستقرار الإيمان في النفوس والمجتمعات، وهو حجة في سعي المسلمين للسلام ونبذ الحروب والقتال، ودليل على بلوغ الإسلام مراتب القوة والمنعة.

وقد لا يتناسب ظاهر لفظ كافة دائماً مع إشتقاقه لغة لأنه مأخوذ مما يكف الشيء في آخره، ويحتمل لفظ كافة وجوهاً:

الأول : إرادة المسلمين والمسلمات جميعاً.

الثاني : كافة الإنسان ذاته بجوارحه وأركانه وقلبه.

الثالث : إرادة العموم البدلي، وقصد المسلمين على نحو الأفراد أما المقصود من الخطاب فيتجلى بقوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا) والذي يشمل المسلمين والمسلمات على نحو العموم الإستغراقي.

والصحيح هو الأول، ويكون الثاني في طوله، أما المسلم فهو اسم جنس شامل لكل أفراده، وتقدير الآية: يا أيها الذين آمنوا كافة ادخلوا في السلم).

لذا ورد(عن ابن عباس قال: السلم الطاعة، وكافة يقول: جميعاً)[1]، جميعاً)[1]، وتأخر لفظ كافة للتأكيد، وجعله مستقلاً بذاته فيكون أكثر بياناً ودلالة، وللإرتقاء بالأمة في ميادين الفقاهة وسبل الصلاح.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن ابن عباس في قوله{ادخلوا في السلم} قال: يعني أهل الكتاب)[2].

ولكن الآية جاءت خطاباً للمسلمين بلفظ الإيمان ومنه التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعم في الآية دعوة للذين دخلوا في الإسلام بالعمل بمضامين الشريعة كلها أسوة بالمؤمنين جميعاً وعدم التفريط أو الترك لبعضها، ويدل عليه قوله تعالى﴿وَارْكَعُوا مَعَ

(١)الدر المنثور ٤٨٢/١.

(٢)الدر المنثور ٤٨٣/١.

الرَّاكِعِينَ﴾[١].

وورد عن ابن عباس حديث آخر(أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } كذا قرأها بالنصب يعني مؤمني أهل الكتاب ، فإنهم كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمر التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم يقول : ادخلوا في شرائع دين محمد ولا تدعوا منها شيئاً ، وحسبكم بالإيمان بالتوراة وما فيها)[٢].

وآية البحث دعوة للمسلمين لتعاهد مفاهيم الأخوة الإيمانية بينهم، وإجتناب أسباب الفرقة والشقاق، قال تعالى﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٣].

ومن معاني(كافة) في الآية دخول المسلمين السلم بإيمانهم وبما هم مسلمون وبنزع رداء البغضاء والكدورات الظلمانية.

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾

وفيه وجوه :

الأول : تحذير وتنبيه المسلمين من الميل عن جادة الصواب ، ومن الفرقة والشقاق.

الثاني :يسوق اتباع الشيطان الى النار، ويجعل الضلالة تتغشى النفوس وتصبح النفس الشهوانية والغضبية هي التي تتحكم بانماط السلوك الشخصية فتدب في المجتمع الفتن والمشاكل.

الثالث : يحول إتباع الشيطان وظهور خصال الشر دون أداء بعض

---

(١)سورة البقرة ٤٣.

(٢)الدر المنثور ٤٨٣/١.

(٣)سورة آل عمران ١٠٣.

الافراد للفرائض والمناسك.

الرابع : قد ورد نعت الشيطان بانه عدو مبين ست مرات في القرآن، وتكراره يدل على شدة عداوته ولزوم الحذر والحيطة منها، ومن الإعجاز في النهي القرآني أنه تأديب وإصلاح ودعوة للتفقه في الدين، والثبات في مقامات الإيمان، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

الخامس : من فلسفة العداوة بين الشيطان وبين الإنسان تمحيص الإنسان للإبتلاء واختياره طرق الهداية عن ايمان ورشاد واختيار.

السادس : الآية في مفهومها دعوة الى التقيد بأحكام الشريعة ومدح للمؤمنين الذين يعرضون عن اغواء الشيطان وينبذون الفرقة والعصبية القبلية ، قال تعالى ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

السابع : الخطاب في القرآن تشريفي، والأمر والتحذير فيه يفيد الرضا من الله تعالى على اعمال المسلمين أوان التنزيل لأن النهي جاء متعلقاً بمستقبل الأيام وليس لوماً بصيغة الماضي، وبما ان الآية القرآنية لا ينحصر موضوعها بزمان النزول بل ان الخطاب فيها انحلالي فهي مدح وثناء للمؤمنين في كل زمان، ولذا ترى الآية جاءت بصفة الإيمان وليس الإسلام لأن الإيمان أخص.

الثامن : الآية باب للثواب، فأنها تعني ان عدم اتباع الشيطان أمر وجودي وليس عدمياً، أي بالإرادة والعزيمة يمتنع المكلف عن اتباع الشيطان.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٥.

(٢) سورة الزخرف ٦٢.

وفي حـديث لأبـي ذر قلـت يـا رسـول الله: زدنـي. قـال: "عليـك بالصـمت إلا مـن خير، فإنـه مَطْـرَدَةٌ للشـيطان، وعـون لـك علـى أمـر دينك"[(١)].

ويدخل في طرد الشيطان إتباع خطواته من باب الأولوية القطعية أي إذا كان الشيطان مطروداً فمن باب الأولوية عدم إتباع خطواته، ويحتمل الضمير في (فانه مطردة) وجوهاً:

الأول : إرادة الصمت.

الثاني : إنحصار الكلام في الخير.

الثالث : المعنى الأعم الشامل للصمت الحافظ والكلام في الخير والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يتعارض الصمت الحافظ والأمر بالمعروف الذي يجلب الضرر، فيقدم الأول إلا مع الدليل على الثاني ، كما لو كان الضرر غير معتد به، وأن ثواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيراً .

والصحيح هو الثالث ولا يضر التعدد في المعنى والمقصود لوحدة الموضوع في تنقيح المناط قول الخير على طرد الشيطان، ومنعه من الوسوسة والتأثير، وعن الإمام علي عليه السلام في الثناء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كلامه بيان وصمته لسان)[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٢ .

(٢) بحار الأنوار ٣٨٠/١٦.

قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

في الآية وجوه :

الأول : الشيطان اسم يراد منه ابليس لأنه شطن وطرد عن رحمة الله، وقد يراد منه المعنى الجامع لكل شقي متمرد خارج عن طاعة الله قال تعالى ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1].

والظاهر أن المراد هو المعنى الثاني لحمل اللفظ على اطلاقه، فكل من أقام على المعصية يحارب اهل الإيمان ولو على نحو سلبي بان تكون سيرته وافعاله وسيئاته سبباً ومؤثراً في أعمال الغير وشيوع الفاحشة، لذا جاء وصف (مبين) ليحمل معنى الإبانة والقطع والبيان ومعنى الظاهر البين والمشاهدة ورؤية عداوته ممكنة بالأفعال والظواهر والقرائن الحسية والعقلية.

الثاني : قد يقال ان الدخول وعلى نحو العموم الإستغراقي في الإسلام والعمل باحكامه يكون في مفهومه اعراضاً واجتناباً لفعل الشيطان فلماذا جاء الأمر صريحاً بعدم اتباع خطوات في نفس الآية، الجواب ان الأمر بعدم اتباع الشيطان لا يعني الإنطباق التام بينه وبين الدخول في الإسلام والالتزام التام باحكامه، فليست النسبة بينهما التساوي بل هي عموم وخصوص من وجه اذ يلتقيان في أمور ويفترقان في أمور اخرى.

الثالث : تمنع الآية من خلط العمل الصالح بآخر سيء ومذموم.

---

(١) سورة الانعام ١١٢.

الرابع : تدعو الآية لإستحضار التقوى في الفعل ابتداء واستدامة لتكون ملكة وسجية نفسية ثابتة.

الخامس : ان التفاخر بالآباء والتحزب على أساس الولاء القبلي او البلدي ونحوه إضعاف للإسلام وإنشغال عن وظائف الجهاد وأداء الفرائض.

السادس : تخبر الآية عن استمرار عداوة الشيطان وان عداوته متصلة والآيات الأخرى تبين قصة اغوائه لآدم عليه السلام.

السابع : في الآية فضل الهي بتحذير المسلمين من أعدائهم قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾[1].

الثامن : قد يكون اتباع الشيطان برزخاً دون إتيان الفرائض والإمتثال الأتم لأحكام الشريعة، فاصبح عدم اتباعه مقدمة للعبادات والدخول الأمثل في الإسلام وقد ثبت في علم الأصول ان مقدمة الواجب واجب.

التاسع : من بيان عداوة الشيطان انها ظاهرة للعيان ومن الأمور الحسية التي يدركها الناس جميعاً وان تباينت مداركهم العقلية وأفهامهم.

العاشر : يوسوس الشيطان يوسوس للإنسان ليوقعه في المعصية فهو لا يكتفي بخلط الإنسان للعمل الصالح بالسيء بل يقوم بالتغليب التدريجي او الدفعي لجانب المعاصي وتزيين الباطل.

---

(١) سورة المائدة ٩٢.

الحادي عشر : من عـداوة الشـيطان ارادته حرمـان الإنسـان مـن الثواب فعـدم اتباعـه يعـني في مفهومـه السـعي في منـازل التقـوى وفعـل الخيرات واقتناء الحسنات.

الثاني عشر : يعتبر الشيطان أشـد وأخطـر أعـداء الإنسـان لـذا جـاء وصفه بانه عدو مبين، وعداوته للمسلم اكثـر مـن عداوتـه لغـير المسـلم، وعداوته للمؤمن اكثر من عداوته للمسـلم، فهـو يجتهـد في اضـلال كـل انسان بما يناسب حاله.

الثالث عشر : لأن عداوة الشيطان فيما يتعلق بالآخرة وتعيين المقـام فيها جاء نعته في الآية بانه ﴿ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾.

الرابع عشر : يزيد هذا الوصف للشيطان من حذر المسلم واحترازه وتوقيه.

الخامس عشر : الإلتزام التام باحكام الإسلام والـدخول العـام فيـه يقلل من اثر الشيطان وضرره ، فمـن خصـائص التقـوى أنهـا حـرز مـن الشيطان، وسلامة من شرور عداوته.

السادس عشر : التقيـد بالأحكـام الشـرعية علـى قسـمين شخصـي ونوعي، والأخير هو الأفضل والأحسن والأكثر منعة من اغواء الشيطان لذا جاء الأمر الإلهي في الآية الكريمة بالدخول في السـلم كافة أي جميعاً من غير اسـتثناء ليكون المسلمون كالبنيان المرصوص لا يستطيع الشيطان ان يخترقه ويبث سمومه بينهم.

السابع عشر : تحذر الآية المسلم من الإنفراد في الرأي والإبتعاد عن الجماعة الذي قد يكـون طريقـاً ومناسـبة لوسوسـة ابلـيس وتـأثيره علـى

الشخص المنفرد والمبتعد عن الجماعة وعن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من ثلاثة في قرية ولا بد ولا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية[1].

الثامن عشر : تبين الآية الوظائف النوعية العامة لكل مسلم، فتكون وظائفه على قسمين:

الأول: شخصي يتعلق بالتكاليف العينية من الصلاة والصوم والزكاة ونحوها من العبادات أو من المستحبات، لذا فمن عداوة المسلم للشيطان التقيد بالعبادات والمبادرة إلى فعل الصالحات قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[2].

الثاني: نوعي وهو الذي يكون فعله جزء من التوجه العام للمسلمين او ما يؤثر بأفعال وسيرة المسلمين ومجتمعهم وواقعهم، ويدخل شطر من الواجبات الكفائية فيه، وتقيد المسلم بأحكام الإسلام وعدم اتباعه لخطوات الشيطان.

التاسع عشر : على المعنى الذي ذهبنا اليه في مفهوم السلم وحمله على الإطلاق والظاهر كما تقدم في صدر الآية فان النهي عن اتباع خطوات الشيطان مركب من عدم الإنسياق في التهاون والركون للظالمين اذ ان الصلح غير الإلتقاء والتقارب الفكري المنهي عنه مع الكفار مطلقاً الا بما فيه مصلحة الإسلام، ومن عدم التعدي على أحكام الصلح كلاً او بعضاً لأن الإسلام ينبذ الخيانة ويحث على التقيد بالشروط، قال

(١) الدر المنثور ٤٤٣/٩.

(٢) سورة فاطر ٦.

تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[١]، وجاءت الآية مطلقة التقيد التقيد بالعهد والشرط للمسلم وغير المسلم (وعن كثير بن عبد الله ان رسول الله عليه وآله وسلم [٢].
الا ان يخل الطرف الآخر بالعهود والمواثيق.

قوله تعالى ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية ٢٠٩

الإعراب واللغة

فان زللتم: الفاء: استئنافية، ان: حرف شرط جازم تدخل على الفعلين المضارعين فتجزمهما لفظاً، وتدخل على الماضيين فتجزمهما محلاً، زللتم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط مع فاعله.
والتاء في زللتم: فاعل، من بعد: جار ومجرور متعلق بـ(زللتم) ما جاءتكم: ما حرف مصدري، جاء: فعل ماض، التاء: تاء التأنيث، والضير :كم في محل نصب مفعول به.
البينات: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة لأنه جمع مؤنث سالم.
فاعلموا: الفاء: رابطة لجواب الشرط، اعلموا: فعل امر مبني على حذف النون، الواو: فاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط.
أن الله: أن : حرف مشبه بالفعل ويفيد التوكيد، واسم الجلالة منصوب لإنه اسم إن، عزيز: خبر مرفوع، حكيم: خبر ثان مرفوع.

---
(١) سورة الأسراء ٣٤.
(٢) سورة .

وزلت قدمه في الطين: اذا زلـق، واستعملت في الخطأ والانحراف فاذا اخطأ الإنسان في فعاله يقال زلّ زلة، وكذا إذا ارتكب خطيئة وذنباً، وتنحى عن جادة الحق ومنطق الحكمة والعقل.

والزلل مصدر زلّ يزلّ زللاً، والمزلة موضع الزلل، (وعن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أزلت إليه نعمت فليشكرها) (١)، أي من جاءته.

ومن معاني الحديث النعمة التي تأتي من غير أسباب جلية وسعي وفعل بل هي من فضل الله.

ليكون إبتداء النعمة من عند الله نعمة أخرى، وهو من مصاديق قوله تعال ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ (٢)،

في سياق الآيات

بعد الدعوة الى الإلتزام النوعي بأحكام الإسلام والتحذير والتنبيه من الشيطان ووساوسه واغوائه، جاءت هذه الآية لبيان الحكم الإلهي في مسألة متفرعة عنها وهي حصول الزلل والخطأ والذنب، ومضمون هذه الآية مدح المسلمين والثناء عليهم باختيار بعضهم شراء نفسه والسخاء بها طلباً لمرضاة الله تعالى وتعظيماً لشعائره وفيه اشارة كريمة الى التخفيف عن صاحب الزلل بالذي يضحي بنفسه او ان التضحية بالنفس والشهادة في سبيل الله تكون درساً وعبرة لصاحب الذنب، وظاهر الآية يفيد ان الزلل من نتائج اتباع خطوات الشيطان واضراره قال تعالى﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(٣).

---

(١)القضاعي/ مسند الشهاب ١٢١/٢ ورواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلاً٥١٦/٦.

(٢) سورة ابراهيم ٣٤.

(٣) سورة النور ٢١.

وصلة هذه الآية بالآيات المجاورة السابقة على وجوه:

الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً..﴾(١)، وفيها مسائل:

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : يا أيها الذين آمنوا إن زللتم من بعد ما جاءتكم الآيات فاعلموا ان الله عزيز حكيم.

الثاني : يا ايها الذين آمنوا اعلموا أن الله عزيز حكيم.

الثالث : لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴿إِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، لإرادة النهي عن محاكاة الشيطان إبتداءً وإستدامة لبعث السكينة في نفوس المسلمين، والإخبار بأن الله عز وجي يجعلهم في مأمن من عداوة الشيطان قال تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢)، لبيان قانون مستديم في الحياة الدنيا، وهو أن الإستعاذة واقية من سوسة الشيطان، وسبيل للمغفر والمغفرة .

الرابع : إن الشيطان لكم عدو مبين فاعلموا أن الله عزيز حكيم.

الثانية : إبتدأت آية السياق بخطاب الثناء والمدح ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وجاءت آية البحث معطوفة عليها بقوله تعالى ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ..﴾ لبيان وحدة موضوع الآيتين والتداخل فيه .

الثالثة : تضمنت آية السياق أمراً ونهياً، وجاءت آية البحث للتدارك عند الخطأ والزلل مع إقامة الحجة على المسلمين بأن الله عز وجل بيّن

(١)سورة البقرة ٢٠٨.

(٢) سورة الأعراف ٢٠٠.

لهم الدلالات الواضحات والبراهين الساطعة.

الرابعة : لقد كان سبب خروج آدم وحواء من الجنة وهبوطهما إلى الأرض زلة باغواء من إبليس قال تعالى﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[1]، فأكدت آية السياق أن الشيطان عدو للمسلمين، ولا يريد إلا الإيقاع بهم، وصدهم عن سبل الخير والفلاح، وأخبرت هذه الآية بامكان تدارك الزلل المترشح عن إغراء وسوسة إبليس وعلة هذا التدارك رحمة الله وأنه سبحانه﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الخامسة : جاء الأمر في آية البحث للمسلمين كافة بالدخول في السلم، وهل يحدث الزلل في قوله تعالى﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ منهم جميعاً مرة واحدة، الجواب لا، لأن المسلمين أمة لا تجتمع على خطأ، وتقدير آية البحث(فان زلّ بعضكم) وهذا التبعيض من معاني خاتمة الآية﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

الثاني : صلة هذه الآية مع قوله تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ. . .﴾[3]، وفيه مسائل:

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة الله فان زللتم من بعد...)الآية.

الثاني : فان زللتم والله رؤوف بالعباد.

الثالث : فاعلموا أن الله عزيز حكيم والله رؤوف بالعباد.

---

(١)سورة البقرة٣٥-٣٦.

(٢)سورة البقرة ٢٠٩.

(٣)سورة البقرة ٢٠٧.

الثانية : تجلي التخفيف عن المسلمين بما يفيده الجمع بين الآيتين بأن المسلم غير معصوم من الزلل، فان أخطأ فان الله غفور رحيم.

الثالثة : بيان رحمة الله عز وجل بالمسلمين في بعثهم على الجهاد والدفاع عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل مع الوعد الكريم باقالة عثراتهم، والعفو عن زلاتهم.

الرابعة : بيان صحة قيام المسلمين بالعزم على التضحية بالنفس لأن الله عز وجل عزيز حكيم.

الخامسة : مع قلة كلمات كل من الآيتين، فقد أختتمت آية السياق باسمين من أسماء الله(والله رؤوف) وأختتمت آية البحث بثلاثة أسماء من الأسماء الحسنى وكل اسم له دلالات عظيمة في نصرة المسلمين، وفوزهم بالعفو والمغفرة.

السادسة : جاءت آية البحث بالخطاب للمسلمين على نحو العموم الإستغراقي(فان زللتم) وهو يتجدد في كل زمان ليشمل المسلمين والمسلمات باجيالهم المتعاقبة بينما جاءت آية السياق بلغة التبعيض من عموم الناس بقوله تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ لإرادة شطر من المسلمين وبينهما عموم وخصوص مطلق، فالخطاب في آية البحث أعم.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ...﴾[1]، وفيها مسائل:

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا فان زللتم من بعد..).

الثاني : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا فاعلموا أن الله

---
(١)سورة البقرة ٢٠٤.

عزيز حكيم.

الثالث : ومن الناس من يشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام فاعلموا أن الله عزيز حكيم.

الثانية : بيان التباين بين المؤمنين والمنافقين، وفيه تحذير للناس من النفاق، ودعوة لهم للإسلام.

الثالثة : الترغيب بالإسلام ، وبيان حسن سمت المسلمين كما في آية البحث، وقبح فعل المنافقين كما في آية السياق.

الرابعة : إبتدأت آية السياق بلفظ(ومن الناس) وكذا الآية التي بعدها بثلاث آيات مع التباين في سنخية هذا التبعيض، لبيان أمور:

الأول : لزوم تعاهد المسلمين لسنن الإيمان.

الثاني : أخذ الحيطة من المنافقين الذين يظهرون الإيمان بلغة حلوة وكلمات تستهوي النفس بينما يخفون الكفر والجحود.

الثالث : طرد اليأس والقنوط من نفوس المسلمين ،قال تعالى ﴿لَا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

الرابع : دعوة المسلمين للكفار والمنافقين للتوبة والإنابة، قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(٢)، وفي ألد الخصام) وجوه:

الأول : شديد الخصومة، عن الإمام الباقر عليه السلام وابن عباس .

الثاني : أي ذو جدال، إذا كلمك وراجعك) عن ابن عباس(٣).

الثالث : شديد العداوة والجدال للمسلمين) (١).

---

(١)سورة يوسف ٨٧.

(٢)سورة طه ٨٢.

(٣)تفسير الطبري٤/٢٣٦.

الرابع : شديد القسوة في معصية الله جدل بالباطل، عن قتادة.

الخامس : ظالم لا يستقيم، عن مجاهد[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[٣].

إعجاز الآية

تبين الآية سعة رحمته تعالى وصيغ التخفيف الإلهي ومعالجة حالات الخطأ والخلل والخروج عن الإستقامة، وتؤكد عدم غلق الباب امام الذي يرتكب المعصية وينحرف عن جادة الصواب ولعل اجماع المفسرين على تفسيرها بالوعيد، ولكنها تدل على الرحمة والسعة ودوام فتح ابواب المغفرة والعفو الإلهي.

ولما إحتج الملائكة على جعل آدم خليفة في الأرض لأن بعضاً من ذريته يفسدون في الأرض جاء الرج والإحتجاج من الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، لبيان أنه سبحانه فتح باب التوبة للمسلمين والمسلمات عند الزلل والخطأ، وهو من مصاديق رحمة الله بأهل الأرض وعمومات قوله تعالى﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٥].

وقد يقول قائل : زللت بسبب عدم قيام البرهان على قبح المعصية وحرمة إرتكابها ، فجاء قوله تعالى﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾[٦]،

(١)تفسير الإمام العسكري١١٩/٩.

(٢)الدر المنثور ٤١٧/١.

(٣)صحيح ابن حبان٤١٩/٢٣ .

(٤)سورة البقرة ٣٠.

(٥)سورة الأنبياء ٢٣.

(٦)سورة البقرة ٢٠٩.

لإقامة الحجة على المسلمين بأن الزلل والخطأ لم يكن إلا بعد مجئ الآيات التي تتجلى من وجوه:

الأول : بيان وجوب العبادات، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(1).

الثاني : تأكيد الحسن الذاتي للفرائض والعبادات.

الثالث : مجئ القرآن والسنة بالأوامر والنواهي، وبيان المحرمات مثل السرقة والظلم والزنا وشرب الخمر وأكل الربا والسحت مطلقاً وغيره من القبائح، قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾(2) (3).

الرابع : تضمن القرآن لعلوم الغيب.

الخامس : الوعد والوعيد بيوم القيامة ببشارة المؤمنين الذينن يعملون الصالحات بالخلود بالنعيم وإنذار الكفار بالعذاب في النار.

ويمكن تسمية هذه الآية الكريمة آية (**فان زللتم**) ولم يرد لفظ(زللتم) في القرآن إلا في هذه الآية الكريمة.

الآية سلاح

بالنظر للآية وفق المعاني الإيجابية وبلحاظ مفهومها ودلالتها التضمنية فأنها رحمة مزجاة قد ينفرد بها المسلمون من بين المليين والناس جميعاً.

هذه الآية حرز للمسلم وهي واقية من القنوط واليأس، وغلبة المرة والندامة على النفس، إذ تجعل المسلم يعلم أن الله عز وجل يعفو عنه عند الزلل، ويغفر ذنوبه عند إرتكاب المعصية، نعم هذه المغفرة مقيدة

---

(1)سورة الذاريات ٥٦.

(2)سورة آل عمران ١٣٠.

(3)أنظر الأجزاء ٨٩ ،٩٠ ،٩١، ٩٢.

بالإيمان والإستغفار أما الإيمان فتدل عليه آية البحث ذاتها، لأنها تخاطب المسلمين كأمة مؤمنة، وأما الإستغفار فلآيات كثيرة قال تعالى﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وآية البحث حرز من وجوه:

الأول : قبل الزلل وفعل المعصية.

الثاني : الآية سبب لإجتناب المعصية لأنها تدل بالدلالة التضمنية على قبح المعصية كونها زلل وميل عن جادة الصواب.

الثالث : الآية باعث على الأمن بعد المعصية، لأنها نوع وعد كريم من عند الله، وقد أثنى سبحانه على المتقين .

وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استغفروا " ، قال: فاستغفرنا، قال: " أكملوا سبعين مرة " ، قال: فأكملنا، قال: " إنه من استغفر سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب وخسر من عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب(٢).

الرابع : آية البحث باب للرزق الكريم عند التدارك بالإستغفار والتوبة النصوح، قال سبحانه﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(٣).

وتدعو الآية المسلمين للتفقه في الدين، ومعرفة البينات التي تفضل الله عز وجل بها على المسلمين والحجج الباهرات التي تجلت بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾

---

(١)سورة المزمل ٢٠.

(٢)حلية الأولياء ٤٣٩/١ .

(٣)سورة نوح١٠-١٢ .

،والآية سلاح لمنع الإختلاف والشقاق بين المسلمين ، وهذا الشقاق من الزلل ويتضمن موضوع الآية الإحتجاج على الذين كفروا ، قال تعالى ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[1] .

اسباب النزول

ورد عن ابن عباس ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ في تحريم السبت ولحم الإبل ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشرائعه ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ بالنعمة ﴿حَكِيمٌ﴾ في كل افعاله، فعند هذا قالوا لئن شئت يا رسول الله لنتركن كل كتاب غير كتابك، فانزل الله تعالى "يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله" والآية اعم موضوعاً وحكماً ودلالة والأمر صغروي إذ أن المدار على عموم المعنى وليس سبب النزول .

مفهوم الآية

في الآية توكيد على أخذ الحيطة والحذر من نزع الشيطان واتباع النفس الشهوية والغضبية واخبار عن اقامة الحجة على الناس بالآيات الباهرات سواء التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العقلية او الحسية او الآيات الكونية او الآيات في النفوس والأبدان والمجتمعات لقوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [2]، كما انها تمنع من اليأس والقنوط عند ارتكاب الخطأ وحدوث الزلل، وتدعو الى اللجوء إلى الله تعالى والإنابة، وفيها

(١)سورة آل عمران ١٨٤.

(٢) سورة فصلت ٥٣.

بيان لعظيم لطفه تعالى بتقريب الناس لعبادته بصيغ الإمهال والهداية الى سبل الرشاد.

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بالعطف والعطف في أكثر آيات القرآن المعطوفة على التي قبلها بالواو، ولكن العطف في هذه الآية جاء بالفاء(فان زللتم) لبيان التداخل وعدم وجود فاصلة موضوعية من جهة الوقائع والأحداث بين هذه الآية والآية السابقة ويدل على أمور:

الأول : وجوب الدخول في السلم والأمن والتقيد بأحكام الإسلام لقوله تعالى في الآية السابقة﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ فان حصل زلل وتخلف المسلم عن الدخول في السلم فعليه أن يبادر إلى التوبة.

الثاني : يتلقى العبد الأمر بعدم إتباع خطوات الشيطان ولكنه قد يرتكب المعصية ويغويه الشيطان.

ومن خصائص الفاء في آية البحث عدم وجود فترة بين تلقي الأمر بالدخول في السلم والنهي عن الإنقياد ولإغواء الشيطان وإرتكاب المعصية، فلا ينفذ إغواء الشيطان له ولا تأخذه الحسرة والندامة بقول الآن جائني النهي.

فمن فضل الله عز وجل سماع المسلم آيات القرآن التي تحذر عن المعصية، ويسمع الأذان ويؤدي فريضة الصلاة خمس مرات في اليوم وكل واحدة منها حرز وواقية من إغواء الشيطان فأخبرت الآية عن حلم الله عز وجل ورأفته بالمسلمين.

الثالث : في الآية حجة على الذين يرتكبون الذنوب في حال إجتماع أمرين:

الأول : النهي عن إتباع خطوات الشيطان والخطوات جمع خطوة وهي حركة القدم في المشي ، ومقدار المسافة بين القدمين في المشي ، لتحذر الآية من طرق المعصية ومسالك الرذيلة (عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ فيقول : الله . فيقول : من خلق الأرض ؟ فيقول : الله . فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم ، فليقل : آمنت بالله ورسوله) [1].

الثاني : مجئ البينات والبراهين على وقبح المعصية ولزوم الوقاية من الشيطان.

ومن الإعجاز في آية البحث إخبارها عن تقدم مجئ البينات قبل الزلل، وتلك آية في الإرادة التكوينية بسبق الموانع التي تحول دون فعل المعصية، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [2].

وهل قامت الحجة على قابيل بن آدم قبل أن يقتل أخيه والأمم السابقة أم أن مجئ البينات خاص بالمسلمين ، الجواب هو الأول.

فلما جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إمتحان وإختبار تفضل الله ورزق الإنسان العقل وهو ذاته بينة، وتوالى بعث الأنبياء ونزول الكتب السماوية وكل فرد منها بينّة وحجة.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٤/٤٢٧.

(٢)سورة الأنعام ١٣٩.

وورد ذكر(البينات) في آية البحث بصيغة الفاعل والجمع، فذات البينات جاءت وبصيغة الفاعل مع نسبة لمجئ لها مما يدل على أنها أمر وجودي لها شأن وسلطان وأثر وهو من فضل الله عز وجل على المسلمين ليتفتوا لهذه النعمة ووردت الآية بصيغة الخطاب لجميع المسلمين والمسلمات(من بعد ماجاءتكم البينات) والآية إنحلالية، وتقديرها في مخاطبة كل مسلم ومسلمة، من ما جاءتك البينات، وفيه دعوة للناس لدخول الإسلام للإتعاظ من البينات، وتكون البينات على وجوه:

الأول : البينات العامة التي تأتي للناس جميعاً، قال تعالى﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1].

الثاني : تفضل الله ورزق الإنسان العقل وهو ذاته بينة ويتلقى البينات بالتدبر في مضامينها ودلالاتها ، قال تعالى ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[2] أي لصاحب عقل ولب ، فمن أسماء القص الحجر لأنه يحجر ويمنع صاحبه من فعل القبائح.

الثالث : البينات التي جاءت للمسلمين كأمة، وهو من مصاديق قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]، ويحتمل القرآن بلحاظ آية البحث وجوهاً:

الأول : كل آية قرآنية بينة.

الثاني : القرآن ذاته بينة واحدة.

---

(١)سورة فصلت ٥٣.

(٢)سورة الفجر ٥.

(٣)سورة ال عمران ١١٠.

الثالث : كل آية قرآنية بينة متعددة من وجوه.

والصحيح هو الثالث، وهو من إعجاز القرآن وكون بيناته من اللامتناهي، بالإضافة إلى حضورها في كل واقعة وحادثة تقع للمسلم وفي أمور الدين والدنيا.

وأختتمت الآية بالثناء على الله عز وجل وأنه العزيز الحكيم الغالب الذي لا تستعصي عليه مسألة، وكل إذن ومشيئة وإرادة منه تعالى تكون بالحكمة البالغة التي تعجز الخلائق عن إدراك كنهها وأسرارها وغاياتها.

من غايات الآية

في الآية بيان فضل الله عز وجل على المسلمين والمسلمات باقامة عثرة المسلم ، ترى لماذا تسمى عثرة الجواب لإقامة الحجة عليه من عند الله التي وردت في آية البحث من وجوه:

الأول : نعت الذنب والمعصية بالزلل للوقاية والتحذير من فعله على نحو المرة أو التكرار.

الثاني : الإخبار عن حدوث الذنب على نحو عرضي وليس دائماً، لدلالة قوله تعالى﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ على أن الأصل في منهاج وعمل المسلمين والمسلمات هو الإستقامة ومن القواعد الفقهية قاعدة(أصالة الصحة في عمل المسلم) وهل في قول﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ ثناء على المسلمين الجواب نعم، من جهات :

الأولى : بصيغة الشرط.

الثانية : بيان حسن سمت المسلمين بدفعهم للزلل.

الثالثة : إفادة الزلل التزلزل وعد الثبات وأن الأصل في سيرة وعمل المسلمين هو الإستقامة وعدم الزلل ، بلحاظ أن الزلل والخطأ أمر عرضي زائل .

الثالث : رحمة الله بالمسلمين ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما فيها من البينات والدلالات على لزوم إقتران العمل الصالح بالإيمان.

الرابع : من حكمة الله عز وجل هداية المسلمين إلى سواء السبيل.

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوة المسلمين مجتمعين ومتفرقين لقوله تعالى﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، بلحاظ آية البحث على وجوه :

الأول : المناجاة بين المسلمين لإجتناب الزلل والسيئات.

الثاني : المبادرة إلى الإستغفار والإنابة.

الثالث : إستدامة الصلاح والتنزه عن الإنقلاب ومفاهيم الضلالة.

الرابع : السعي لبلوغ مقامات النعيم في جنات الخلد.

الخامس : لقد تضمنت آية البحث التحذير من الزلل في الدنيا ليكون الإضرار منه بلغة للعبور على الصراط المستقيم في الآخرة، وأثنى الله على (الربيين) وهم أصحاب الأنبياء الذين قاتلوا معهم من غير أن يصيبهم وهن أو ضعف وإنقطعوا إلى الدعاء والذكر مع الثبات على الإيمان وسؤال النصر من عند الله، وجاءت البشارة لهم[2]، بقوله تعالى﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

---

(١)سورة الفاتحة ٦.

(٢)انظر الجزء الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر بعد المائة التي جاءت في

وتدل خاتمة الآية أعلاه على الإطلاق في الثواب بلحاظ الإحسان للذات والغير ومن حرص المسلمين على التوقي عن المعاصي، ومبادرتهم إلى الإستغفار والتوبة مطلقاً في حال إرتكاب الذنب أو عدمه لأن الإستغفار محبوب بذاته ومستحب نفسي ويكون واجباً غيرياً بلحاظ موضوعه .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أداء الحقوق، وحفظ الأمانات ديني ودين الأنبياء من قبلي، وقد أعطيتم ما لم يعط أحد من الأمم أن يجعل الله عز وجل قربانكم الاستغفار، وصلاتكم الخمس بالأذان، والإقامة لم تصلها أمة قبلكم وأي عبد صلى الفريضة، ثم استغفر الله عز وجل عشر مرات لم يقم من مقامه حتى يغفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل رمل عالج، وجبال تهامة يغفر الله عز وجل) [٢].

وتتضمن خاتمة الآية الإنذار من الزلل والإقامة عليه لأنها إخبار عن عظيم سلطان الله وقوة بطشه ولزوم شكر العباد له بالتقوى والصلاح.

التفسير

تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ ﴾ **وفيه مسائل :**

الأولى : الآية الكريمة من (آيات التدارك) التي تتضمن تهيئة الأسباب والفرص لتدارك المسلم لافعاله ورجوعه عن ذنوبه.

الثانية : باستثناء الوحي والتحديث فان علوم الإنسان كسبية وقد يكون الإيمان مستودعاً عند احدهم، ويستطيع الشيطان ان ينفذ اليه

تفسير هذه الآيات الثلاثة.

(١)سورة آل عمران ١٤٨.

(٢) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٣٠٣/٢.

ويضره، فجاءت هذه الآية لتكون صاحباً للمسلم يقيه شر الشيطان .

الثالثة : (ان) اداة شرط وهي لا تفيد حتمية حصول الزلل بل انه معلق وقد يحصل او لا يحصل.

الرابعة : للزلل مراتب متفاوتة وجاءت الآية على نحو الإطلاق لعدم ظهور ما يدل على التقييد والإطلاق، وهو هنا يشمل الصغائر والكبائر من الذنوب وفيه رحمة وتخفيف ودلالة على عظيم فضله تعالى وحلمه وامهاله ، عن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا فقر أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة كالتفكر)[1].

الخامسة :صيغة الجمع في ﴿ زَلَلْتُمْ ﴾ لا تنحصر بالأخطاء والذنوب الشخصية بل تشمل النوعية العامة والأحكام والقوانين الوضعية المخالفة لأحكام الشريعة.

بحث بلاغي

من وجوه البلاغة في القرآن التعريض وهو قسم من اقسام الكناية خلاف ظهور الكلام وفحواه ومعناه، يقال هذه المسألة عروض هذه أي نظيرها.

وفي الإصطلاح اطلاق الكلام او الإشارة الى معنى آخر وسمي تعريضاً لأن المقصود يفهم من عرض الكلام وجانبه، كما يسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده.

ويعرف المراد بحسب السياق أي ان المعنى الحقيقي مقصود فيه ايضاً كذكرك لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "صوموا

(١) مسند الشهاب القضاعي ٣/ ٢٨٦ .

تصحوا"[1]، تعريضاً بمن يشكو من الألم بسبب الصيام او المرض وهو لا يصوم الفريضة، وهو من فنون البلاغة ووسيلة لبلوغ مقاصد بعيدة بالفاظ وضعت لمعان واضحة.

والخطاب في هذه الآية للمسلمين الذين آمنوا بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتبعوا احكام الشريعة ولكنها تتضمن التعريض بالكافرين الذين جحدوا بعد رؤيتهم الآيات التي جاء بها الأنبياء، ويكون الخطاب بالأصل عاماً موجهاً لكل المكلفين ولا يمنع توجهه في الآية السابقة الى الذين آمنوا خصوصاً وان ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عنوان جامع يشمل المؤمنين والمنافقين والضلال وكل من آمن بالإسلام ظاهراً ونطق بالشهادتين ، لبعث المنافقين على التوبة والإقتداء بالمؤمنين، قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

والآية حجة وانذار وتنبيه ودعوة لجعل الإيمان مستديماً مستقراً فبعد رؤية البينات وادراك الحق، يجب ان لا يتزلزل الإيمان أوتحصل استجابة للشيطان واعوانه من اهل التشكيك والعناد.

تفسير قوله تعالى ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾وفيه مسائل :

الأول : الآية حجة مركبة على العباد، لأن الزلل يحصل بعد البينات، ولتفضله تعالى بالآيات والبينات.

الثاني : البينات عنوان جامع يشمل معجزة القرآن العقلية الآيات النقلية والعقلية ومسائل الحلال والحرام ، والأوامر والنواهي .

الثالث : تبين الآية رأفة الله تعالى بتفضله بالبينات والآيات، فالآية

(١) الدر المنثور ٣٦٥/١.

(٢) سورة البقرة ٢.

ساكتة عن الزلل والخطأ والمعصية قبل التبيان وحصول العلم ، ويمكن تأسيس قانون وهو الملازمة بين النبوة والبينات فما من نبي إلا وجاء بالبينات وتقام الحجة على الذين كفروا يوم القيامة كما ورد في التنزيل ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[1].

الرابع : الآية حث على الإلتزام بأحكام الشريعة والإلتفات الى الآيات التي جاء بها الإسلام.

الخامس : في الآية تشريف وتعظيم للنبوة والقرآن وبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فيها من الآيات البينات والدلالات الواضحات.

السادس : تدل الآية بالدلالة التضمنية على لزوم اجتناب المعصية والذنب لأن الزلل عنوان الخطأ والتعدي لذا يسمى الذنب زلة.

السابع : اختيار لفظ الزلل اعجاز قرآني، لما فيه من امكان التدارك والتصحيح.

الثامن : بالبعثة النبوية الشريفة ونزول القرآن يتحقق التبليغ ووصول البينات الى المسلمين الذين نطقوا بالشهادتين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[2].

التاسع : على القاعدة الفلسفية ان اثبات شيء لشيء لا يعني نفيه عن غيره، فان الآية لا تنفي مجيء البينات لغير المسلمين لعالمية رسالته صلى الله عليه وآله وسلم واطلاقات الخطاب القرآني.

العاشر : ذكر مجيء البينات توكيد إحسان ورأفة الله تعالى في إعانة

---

(١) سورة غافر ٥٠.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

المسلمين على الإحتراز من الشيطان وعدم الإنقياد لإغرائه والإصغاء لوساوسه.

الحادي عشر : جاءت ﴿ الْبَيِّنَاتُ ﴾ بصيغة الجمع لبيان فضله تعالى واعانة المسلمين على الثبات في منازل الإيمان والتقيد بأحكام الشريعة.

الثاني عشر : الظاهر ان الآية لا تحصر صدق اسم الذنب والزلل على المعصية والفاحشة بمجيء البينات، ولكنها تبين حالة وهي حصوله من مجيء البينات ، وقد جعل الله عز وجل العقل شرعاً داخلياً.

الثالثة عشر :هل هذه الآية من البينات التي اشارت اليها الجواب نعم، والزلل المذكور فيها لاحق لنزولها.

تفسير قوله تعالى ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وفيه مسائل :

الأولى : الأمر بالعلم والمعرفة لا ينحصر بالذين زلوا او اخطأوا بل يشمل المسلمين جميعاً لصيغة الخطاب ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

الثانية : تجعل الآية المدار على مجيء البينات وحصول التبليغ، وليس على حدوث الإيمان والتسليم عند العبد.

الثالثة : في الآية تحذير وتخويف بذكر الأسماء الحسنى التي فيها تمام القدرة ونفاذ الحكم والجزاء ، وفي التنزيل ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [1].

الرابعة : في الآية زجر عن الزلل والخطأ والذنب وبيانه كعيب وشين وميل عن الإستقامة.

الخامسة : مع امكان تدارك الزلل وسعة رحمة ومغفرة الله تعالى فمن حكمته اكرام الذي يتجنب الزلل والذنب ومواطن الشبهة واسباب الهلكة.

---

(١) سورة البقرة ١٦٥ .

السادسة : يهدي الله تعالى بحكمته المسلمين ويؤدب العاصي والمذنب ويبتليه بما يدفعه الى الصواب والرشاد ولو على نحو اظهار البرهان والتنبيه ، وهو من مصاديق لطف الله بالعباد .

السابعة : اجتماع صفتين من صفات الله عز وجل وهي (العزيز والحكيم) له دلالات تتضمن احسانه تعالى في امهال المسلمين في التدارك والرجوع الى الإستقامة باعانة منه تعالى وهو الذي يفعل ما يريد ولا راد لحكمه وامره.

الثامنة : من عزته وحكمته تعالى انه اراد للمسلمين تعاهد احكام الشرائع في الأرض فلابد انه يساعدهم على الإستقامة والإحتراز من الزلل بسبل الوقاية والصلاح وصيغ التوبة والإنابة ، وهدايتهم إلى التأزر والتعاون بينهم في عمل الصالحات وعن إنس بن مالك قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)[1].

قال الرازي: (ان قارئاً قرأ (غفور رحيم) فسمعه اعرابي فانكره قال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه اغراء عليه)[2].

أي ان الإعرابي سمع من يقرأ غفور رحيم، بدل عزيز حكيم في هذه الآية.

من حكمته تعالى اظهار مغفرته ورحمته في كبائر الذنوب،والزلل من الكليات المشككة وله مراتب متفاوتة منها الأدنى، وذكر المغفرة منه تعالى ليس اغراء بالمعصية بل هو بعث للأمل في نفس المؤمن وعدم القنوط ولكن المدار على التنزيل، وذكر صفة العزيز والحكيم في الآية

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٨/٣٧٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٥/ ٢١١.

يدل بالدلالة التضمنية على ما في الآية من المفاهيم والمعارف الإلهية، وقد أحاط الله عز وجل بالأماكن والأزمان والخلائق ، قال تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [1] ومن معاني إحاطة الله بالأشياء بالأشياء إحاطتها بقدرته ومشيئته ورزقه وعفوه .

وقد ذكر الرازي معنى ثالثاً للحكمة وهو معرفة افضل المعلومات بأفضل العلوم، فالحكيم بمعنى العليم، وقال الغزالي: (وقد دللنا على انه لا يعرف الله الا الله، فيلزم ان يكون الحكيم الحق هو الله، لأنه يعلم أصل الاشياء)[2].

والظاهر ان الحكمة في المقام غير العلم ومعرفة الاشياء والله واسع كريم، فالحكمة تتعلق بخصائص فعله واتقانها لأن العلم بأصل الاشياء لا يغير عنوان العلم.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

(١) سورة الطلاق ١٢

(٢) عن الاسماء الحسنى ٢٨٠ .

قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾ **الآية ٢١٠.**

الإعراب واللغة

هل: حرف استفهام انكاري.

ينظرون : فعل مضارع مرفوع، الواو فاعل.

الا: اداة حصر في الإستثناء المفرغ.

ان يأتيهم: ان: حرف مصدري ونصب، يأتيهم: فعل ومفعول به، اسم الجلالة: فاعل.

في ظلل : جار ومجرور متعلق بـ(يأتي).

من الغمام: جار ومجرور متعلق بمحذوف من نعت لظلل، والملائكة: الواو: حرف عطف.

الملائكة: معطوف على لفظ الجلالة، مرفوع مثله.

وقضي الأمر : قضي : فعل ماض مبني للمجهول، الأمر : نائب فاعل مرفوع، والى الله : الواو : حرف إستئناف ، إلى الله : جار ومجرور متعلق بترجع.

ترجع الأمور: فعل مضارع مبني للمجهول مع نائب فاعل.

والظلل- بضم الظاء - جمع ظلة وهي السحابة وتطلق على كل ما له ظل ومنه ما يستتر به من الحر والبرد كظلة بني ساعدة .

(عن قيس بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : رآني النبي صلى الله

عليه وآله وسلم وأنا قاعد في الشمس فقال : تحول إلى الظل فإنه مبارك)[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : "نسبة الله إلى خلقه أحدا صمداً أزلياً صمدياً لا ظل يمسكه"، أي لا جسم له يمسكه وهو يمسك السماوات والأرض والأشياء جميعاً.

والغمام: جمع غمامة وهي السحابة البيضاء الرفيعة ، وهو عنوان الرحمة.

وتفيد مادة قضى الإتمام وانقطاع الشيء وحتمية حصوله وإحكام العمل وانجازه كما في قول العامل قضيت هذا العمل، وتعني إرادة الأداء كوفاء الدين فيقال قضى الغريم دينه قضاء، وقضى وطره أي أتمه وبلغه.

في سياق الآيات

بعد آيات ذم المنافقين وآيات اكرام المسلمين بالمدح والتنبيه والحذير عن الزلل بصيغ العفو والرحمة جاءت هذه الآية لفضح وتوبيخ المعاندين والكافرين والجاحدين للرسالة مع ظهور الآيات.

الأول : صلة هذه الآية بالآيات السابقة ،وفيه وجوه .

الأول : صلة هذه الآية بقوة تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[٢]، وفيها مسائل .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٧٦/١٨.

(٢)سورة البقرة ٢٠٤.

الأولى : تجلي لغة التبعيض في كل من الآيتين ، أما أية السياق فهي صريحة بالتبعيض لابتدائها بحرف الجر (من)(ومن الناس) وأما أية البحث فلأنها جاءت بعد خطاب للمسلمين وتخص في مضمونها قوماً آخرين .

الثانية : تتضمن كل من الآيتين لغة الذم للذين تخصهم في موضوعها وهم الكفار والمنافقون .

الثالثة : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه :

الأول : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام .

الثاني : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا وقضي الأمر .

الثالث : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا والى الله ترجع الأمور .

الرابع : ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وقضي الأمر والى الله ترجع الأمور.

الرابعة : جاءت أية البحث بصيغة الاستفهام الإنكاري . أما آية السياق فوردت بلغة الخبر وكل منهما تتضمن معنى التحدي والزجر عن الجحود والنفاق .

الخامسة : كل من الآيتين حجة على الكفار ،ووعيد لهم ، وحث للناس للتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه واله سلم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١).

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

السادسة : تتجلي معاني الوعيد في الآيتين للقوم الكافرين وتدعو كل منهما الى التعجيل بالتوبة والإنابة .

السابعة : آية السياق من الأعجاز في آيات القرآن بأنها تظهر خفايا النفوس وتفضح النوايا السيئة ، وتبين التباين والتضاد بين قول المنافق وما يخفيه في قرارة نفسه وآية البحث تزجره عن هذه الأخلاق المذمومة وتخبره والناس جميعا بأخذ الملائكة لهم ونزول العذاب بهم .

(وعن ابن عباس سأل كعباً عن قوله تعالى : { كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين } [1]الآية ، قال : إن المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربه فلا هم يستطيعون أن يؤخروه ساعة ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه ، فدفعوه إلى ملائكة الرحمة ، فأروه ما شاء الله أن يروه من الخير ، ثم عرجوا بروحه إلى السماء فيشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة ، فيضعونه بين أيديهم ، ولا ينتظرون به صلاتكم عليه .

فيقولون : اللهم هذا عبدك فلان قبضنا نفسه ، فيدعون له بما شاء الله أن يدعوا ، فنحن نحب أن يشهدنا اليوم كتابه ، فينثر كتابه من تحت العرش فيثبتون اسمه فيه ، وهم شهوده ، فذلك قوله : { كتاب مرقوم يشهده المقربون }[2] وسأله عن قوله : { إن كتاب الفجار لفي سجين } الآية ، قال : إن العبد الكافر يحضره الموت ويحضره رسل الله ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة العذاب ، فأروه ما شاء

---

(١) سورة المطففين ١٨.

(٢) سورة المطففين ٢٠.

الله أن يروه من الشر ثم هبطوا به إلى الأرض السفلى وهي سجين ، وهي آخر سلطان إبليس ، فأثبتوا كتابه فيها ، وسأله عن { سدرة المنتهى }[١] فقال : هي سدرة نابتة في السماء السابعة ، ثم علت على الخلائق إلى ما دونها و{ عندها جنة المأوى }[٢] قال : جنة الشهداء .)[٣].

الثامنة: يتعلق موضوع آية السياق بالمنافقين الا أنها موعظة وعبرة للمسلمين لذا جاء الخطاب فيها للنبي محمد صلى الله عليه وآله سلم .

وهذا القول موجه ايضاً للمسلمين والمسلمات جميعا بالتبعية .

التاسعة : أختتمت إيه السياق بالقطع بعداوة المنافق وكشفت بغضه للمؤمنين وان اظهر ميله لهم في الدنيا وجاءت خاتمة آية البحث بالوعيد والتخويف له والبشارة للمسلمين والتذكير بيوم القيامة الذي من أسمائه ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[٤] أي تظهر وتنكشف للخلائق فلا يبقى يومئذ سر وعمل مستور خيراً أو شراً .

الثاني : صلة هذه الآية بقولة تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٥]

وفيها مسائل .

---

(١)سورة النجم ١٤.

(٢)سورة النجم ٣.

(٣) الدر المنثور ٢١٩/١٠.

(٤)سورة الطارق ٩.

(٥)سورة البقرة ٢٠٣.

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه :

الأول : واذكروا الله في أيام معدودات هل ينظرون إلا إن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .

الثاني : اذكروا الله في أيام معدودات وقضي الأمر ، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار .

فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ قال: "فيشرئبون ﴿فينظرون﴾ ويقولون: نعم هذا الموت". قال: "فيقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون فينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت" قال: "فيؤمر به فيذبح" .

قال: "ويقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت" قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ }[1] وأشار بيده قال: "أهل الدنيا في غفلة الدنيا".)[2].

الثالث :واذكروا الله في أيام معدودات والى الله ترجع الأمور .

الرابع : هل ينظرون الأ إن يأتيهم الله في ظلل من الغمام واتقوا الله.

الخامس: واتقوا الله وقضي الأمر .

---

(١) سورة مريم ٣٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/٢٣٣.

السادس : واتقوا الله إلى الله ترجع الأمور .

السابع : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [١]

الثامن : وأعلموا أنكم إليه تحشرون وقضي الأمر (وعن أبي ذر أنه تلا هذه الآية { ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً }[٢] فقال : حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم : أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج : فوج طاعمين كاسين راكبين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم) [٣].

التاسع : واعلموا أنكم إليه تحشرون والى الله ترجع الأمور.

الثانية : من مصاديق نيل المسلمين مرتبة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [٤]أن المسلمين آمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه واله سلم . وبادروا إلى أداء الفرائض والمناسك التي جاء بها ، فجاءت أيه السياق بالثناء عليهم فان قلت إن الآية تتضمن الأمر للمسلمين وليس فيه مدح وثناء والجواب من وجوه :

---

(١)سورة البقرة ٢٠٣ .

(٢) سورة الإسراء ٩٧.

(٣) الدر المنثور ٣٢٤/٦.

(٤)سورة ال عمران ١١٠.

الأول : جاء الخطاب للمسلمين بصيغة الإيمان إذ أبتدا الخطاب قبل أكثر من عشرين آية بقوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ وكلها موجهة للمسلمين وفي أمور دينهم وجهادهم في سبيل الله بالنفس والبدن والمال .

الثاني : لابد من أمه تمتثل لأي أمر أو نهي نازل من عند الله ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [1]

الثالث : جاءت هذه الآيات بالخطاب للمسلمين بما هم مؤمنون بالله ورسوله والعمل بالأوامر الإلهية من رشحات الإيمان وفيه دليل على نيلهم المرتبة السامية التي نالها المسلمون بتقيدهم بسنن التقوى وعن قتادة قال (قال موسى : رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة ، الآخرون في الخلق والسابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي : قال : تلك أمة أحمد . قال : رب أني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور والكذاب فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في قلوبهم يقرأونها قال قتادة : وكان من قبلكم إنما يقرأون كتابهم نظراً ، فإذا

---

(١)سورة الذاريات ٥٦.

رفعوها لم يحفظوا منها شيئاً ولم يعوه ، وإن الله اعطاكم ايتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم قبلكم ، فالله خصكم بها وكرامة أكرمكم بها قال : فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها قال قتادة : وكان من قبلكم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها ناراً فأكلتها وإن ردت تركت فأكلتها السباع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم رحمة رحمكم بها وتخفيفاً خفف به عنكم فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب أني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي . قالت تلك أمة أحمد . قال : رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال : رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال قتادة : فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح وقال : اللهم إذاً فاجعلني من أمة أحمد . قال فاعطى اثنتين لم يعطهما { قال : يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي }[1] قال : فرضي نبي الله ،

---

(١)سورة الأعراف ١٤٤.

ثم أعطى الثانية { ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون }[١]قال : فرضي نبي الله موسى كل الرضا)[٢].

الرابع : دلالة الشواهد والوجدان على امتثال المسلمين لما جاء في آية السياق من الأوامر فكما ورد قوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾[٣]

فان المسلمين والمسلمات يفيضون كل سنة وفودا إلى البيت الحرام أي إن الإفاضة من عرفات فرع الإفاضة من الأمصار وقارات العالم إلى البيت الحرام .

الخامس : لقد كتب الله حج البيت الحرام على الناس منذ ايام آدم عليه السلام وهو الذي يستقرأ من قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[٤] ومن مفهوم قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١] لما فيه من الدلالة على وجود تلك القواعد ،بالاضافة الى النصوص الواردة في السنة الشريفة .

---

(١)سورة الأعراف ١٥٩.

(٢) الدر المنثور ٣١٨/٤.

(٣)سورة البقرة ١٩٨.

(٤)سورة آل عمران ٩٦.

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين على أن أداء المسلمين الحج حجة على الناس ودعوة له للإيمان ، ومن الاعجاز في أحكام الشريعة وآيات القرآن ان وجوب الحج يتغشى الناس جميعاً رجالاً ونساء من يكون قادراً على بلوغ البيت الحرام وأداء الحج ، وفي قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (١) قال الصحة في بدنه والقدرة في ماله .

فتكون أيام الحج عرساً عبادياً يجذب أنظار الناس ويحثهم على الإيمان ويجعلهم يتفكرون في فلسفة الحج والحاجة إليه .

الرابعة : لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار البراهين والحجج ،وتتجلى بالآيات الكونية ، وبعث الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالبراهين على وجوب عبادة الله وبيّن منهاج المسلمين في العبادة ، ومنه أداء الحج الذي يتصف بخصوصية السعي وقطع المسافة ،إلى شاخص مبارك للتوحيد وهو من مصاديق آيات الأنفس في قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٢) من وجوه

الأول : الانقطاع إلى الله في موضع ومكان مقدس هو مركز الأرض وعن ابن عباس قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أول بقعة وضعت في الأرض موضع البيت ، ثم مهدت منها الأرض . وإن

---

(١)سورة ال عمران ٩٧ .

(٢)سورة فصلت ٥٣.

أول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس ، ثم مدت منه الجبال)[١].

الثاني : إظهار الحاجة إلى رحمة الله وبذل النفس في سبيله والإقرار بالتوحيد ونبذ الشريك ، يقول وفد الحاج (لبيك اللهم لبيك .لبيك لاشريك لك لبيك).

الثالث : تقوم حياة أهل الأرض بذكر الله في أيام مخصوصة من كل سنة (عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :من أراد أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله) [٢].

الرابع : ذم الكفر وتوبيخ الكفار ، لبيان قانون وهو الملازمة بين التلبس بالكفر وبين الذم للكافر ، قال تعالى ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٣].

الخامس : تأكيد رجوع الأمور إلى الله والقطع بانقضاء الحياة الدنيا ثم وقوف الناس للحساب بين يدي الله وعن ابن عباس قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة ، في ثلاثة أيام ، وصايا كلها فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب ، وكان فيما ناجاه أن قال : يا موسى ، إنه لم يتصنع المتصنعون لي بمثل الزهد في

---

(١) الدر المنثور ٣٨٤/٢.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣١٥/٣.

(٣) سورة البقرة ٢٥٤.

الدنيا ، ولم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ، ولا تعبدني العابدون ، بمثل البكاء من خيفتي ، فقال موسى : يا إله البرية كلها ، ويا مالك يوم الدين ، يا ذا الجلال والإكرام ، فماذا أعددت لهم ؟ وماذا جزيتهم ؟ قال : يا موسى ، أما الزاهدون في الدنيا فإني أبيحهم جنتي ، يتبوءون حيث يشاءون ، وأما الورعة عما حرمت عليهم ، فإنه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب ، وناقشته عما كان في يديه ، إلا ما كان من الورعين ، فإني أستحييهم وأجلهم فأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما البكاؤن من خيفتي فلهم الرفيق الأعلى ، لا يشاركون فيه) [1].

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [2]

وفيها مسائل :

الأولى : جاءت كل من الآيتين بصيغة الجملة الخبرية ،وتتضمن آية السياق الثناء والمدح بلحاظ موضوع التقوى وحسن سمت الذين يسألون الله خير الدنيا والآخرة .

أما آية البحث فإنها تتضمن الذم والتوبيخ لكفار قريش الذين يجحدون بالربوبية ويعرضون عن معجزات النبوة وفي ذم كفار قريش

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ١٣٧/٩.

(٢)سورة البقرة ٢٠١.

ورد قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [١] فار قريش كمالا تجلى في معركة بدر وأحد والخندق .

الثانية : تظهر آية السياق إقرار أهلها باليوم الآخر واستعدادهم له بالدعاء والتضرع ورجاء فضل الله ، أما آية البحث فجاءت بالوعيد للذين ينكرون البعث والنشور .

الثالثة : لقد أدرك الذين آمنوا مما يصيب الذين كفروا من احاطة الملائكة بهم عند الموت وصيرورة قبر احدهم قطعة من النار بدلالة آيات القرآن وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها قوله (القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار) [٢]،ففزعوا الى الله عز وجل .

وسألوه النجاة من شدة وطأة القبر وأهوال يوم القيامة .

الرابعة : تبين آية السياق تفقه المسلمين في الدين وسعيهم للنجاة في الآخرة باتخاذ الدعاء وسيلة وسبيلاً وبلغة للسلامة في النشأتين ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [٣].

الخامسة: من مصاديق دعاء المؤمنين (وفي الآخرة حسنة) سؤال النجاة من إحاطة الملائكة الغلاظ بهم، ولا يأخذهم العذاب عند انقضاء الدنيا ودار العمل بلا حساب ، وبدء عالم الحساب بلا عمل .

---

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٤٣٤/١٨.

(٣) سورة الفرقان ٧٧.

أما الذين كفروا فليس عندهم عمل يشفع لهم يوم القيامة ،ولم يلجأوا إلى الدعاء ، فجاءت كل من آية البحث والسياق لهدايتهم وتوبتهم ، وهي دعوة لهم بالاقتداء بالمسلمين في حسن سمتهم ودعائهم ، وجاءت الآية لدعوة المسلمين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحث الناس وجذبهم إلى سبل الإيمان ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1].

ويحتمل قول الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2] بلحاظ الآية أعلاه وجوهاً :

الأول :الدعاء من مصاديق الحكمة التي يدعون الناس بها إلى الإيمان وسبل التقوى وفي التنزيل ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾[3].

الثاني : انه من الموعظة الحسنة .

الثالث : ليس من مصاديق الآية أعلاه لأنه فعل خاص بالمسلمين .

والصحيح هو الأول والثاني ، فانقطاع المسلمين إلى الله بالدعاء من الحكمة ومن الموعظة الحسنة لتجلي الانقطاع والتسليم لله بالربوبية والإقرار باليوم الآخر في مضامين دعاء المسلمين .

الشعبة الثانية : صلة هذه الآية بالآيات المجاورة التالية ، وفيها وجوه:

---

(1) سورة النحل ١٢٥.

(2)سورة البقرة ٢٠١ .

(3)سورة يوسف ١٠٨.

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1] وفيها مسائل :

الأولى :تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه :-

الأول : زين للذين كفروا الحياة الدنيا هل ينظرون إلا إن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) لبيان البطش العاجل من عند الله للذين يسخرون بالمؤمنين.

الثاني :ويسخرون من الذين آمنوا هل ينظرون إلا إن يأتيهم الله في ظلل من الغمام .

الثالث : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والله يرزق من يشاء بغير حساب .

الرابع : زين للذين كفروا الحياة الدنيا قضي الأمر، وعن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال : تسأل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ثم أتاه من الغد فقال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال : تسأل ربك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، ثم أتاه من الغد فقال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال : تسأل ربك العفو والعافية ، ثم أتاه من اليوم الرابع فقال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال : تسأل ربك

---

(١)سورة البقرة ٢١٢.

العفو والعافية ، في الدنيا والآخرة ، فإنك إذا أعطيتهما في الدنيا ثم أعطيتهما في الآخرة فقد أفلحت[١].

الخامس: زين للذين كفروا الحياة الدنيا والى الله ترجع الأمور .

السادس : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة .

السابع : وقضي الأمر والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة.

الثامن : وقضي الأمر والله يرزق من يشاء بغير حساب .

التاسع : والله يرزق من يشاء والى الله ترجع الأمور .

الثانية : بيان علة الجحود التي تجعل الكفار يجحدون و ينصرفون إلى اللهو واللعب حتى يأتيهم العذاب وهو أن الدنيا كانت غايتهم.

ومن الآيات في بركات ومنافع السنة النبوية الدروس المستقرأة منها بخصوص التحذير من بهجة الدنيا وحلاوة زينتها .

وعن أبي سعيد ألخدري عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الدنيا حُلْوَة خَضِرَة وإن الله مُسْتَخْلِفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء[٢].

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين ان انقطاع أيام الدنيا أمر حتمي فلا بد من زوالها ، وهذا الزوال ليس نهاية مطلقة بل هو بداية لعالم جديد

(١) الدر المنثور ٤٦٦/١.

(٢)تفسير ابن كثير ٣٨٥/٣.

يكون الإنسان مواجهاً للحساب الشديد قائماً بين يدي الله للحساب ليس من مهلة او فرصة للعمل وإلانابة والتوبة .

الرابعة : أخبرت آية السياق عن ميل الكفار الى الدنيا وما فيها من أسباب الغبطة والسعادة ، وجاءت آية البحث للوعيد وجذب أسماعهم الى حقيقة وهي إنقضاء أيامهم في الدنيا ، وإنتقالهم الى عالم الآخرة حيث الخلود الذي يتقوم بالثواب والعقاب ، قال تعالى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [1] .

الخامسة : من وجوه وثمرات الجمع بين الآيتين ترغيب الكفار بالإيمان ودعوتهم للإنتفاع الأمثل من الدنيا فهي مزرعة للآخرة فاختتمت آية السياق بالإطلاق في الرزق بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2]

والذي يفيد أن الدنيا تقبل على المؤمن بزينتها ومباهجها فيشكر الله عز وجل على هذه النعمة العظيمة فياتيه الثواب في الآخرة على الشكر والإستغفار وطاعة الله .

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [3] وفيها مسائل :

---

(١)سورة العنكبوت ٦٤.

(٢)سورة البقرة ٢١٢.

(٣)سورةالبقرة ٢١٣ .

الأولى : إقامة الحجة على الكفار، فالأصل والفطرة عند الناس هو الإيمان فمع أن الناس كانوا في أيام أدم أمة واحدة فان الله تفضل مرة أخرى وبعث النبيين بالوعد والوعيد والبشارة والإنذار لتثبيت ملة وشرائع التوحيد في الأرض ومنع الناس من الغواية والضلالة ، وهو من رشحات قوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الثانية : لما أخبرت آية السياق بمجي الأنبياء من عند الله فان آية البحث من مصاديق البشارة والإنذار اللذين أشارت لهما آية السياق من وجوه :

الأول : إبتداء الآية بصيغة الاستفهام الإنكاري وخصوص إرادة الكفار وبلغة الذم (هل ينظرون....) .

الثاني : الوعيد للكافرين بنزول العذاب بهم بغتة، وأخذ ملائكة العذاب لهم ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ اخْرُجِى رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِى جَاءَتْكُمْ مِنَ الأَرْضِ. فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ فَيَقُولُونَ دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِى غَمِّ الدُّنْيَا فَإِذَا قَالَ أَمَا أَتَاكُمْ قَالُوا ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الأَرْضِ فَيَقُولُونَ مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ)[1].

الثالث : قلة أيام الحياة الدنيا ، وقرب الأجل وعدم دوام بهجة الدنيا، ويدل عليه قوله تعالى (هل ينظرون) الذي يجمع بين الرؤية البصرية وقرب حدوث الفعل وإنكشاف الكافر فليس عنده واق من عمل صالح لانه لم يعمل بالبشارات التي جاء بها الأنبياء ، ولم يجتنب ما أنذروا منه .

الرابع : تجلي الانذار بقوله تعالى (وقضي الأمر) ومن معاني الوعيد فيه وروده بصيغة الفعل الماضي مع أنه إخبار عن أمر في المستقبل .

الخامس : إقامة الحجة على الكفار ببعثة الأنبياء، قال تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2] .

ومن وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء السابقين أن البشارات والإنذارات التي جاء بها من اللامتناهي، وهو من مصاديق قوله تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[3]، بلحاظ تجدد

(١) سنن النسائي ٤٠٥/٦ .
(٢)سورة النساء ١٦٧.
(٣) سورة سبأ ٢٨.

الإنذارات والبشارات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل زمان وتكون حاضرة عند كل جيل وطبقة من الناس وإلى يوم القيامة.

السادس : توجه الوعيد للكفار بخاتمة آية البحث وإخبارها عن صيرورة الناس مجتمعين في الحشر يوم القيامة وحضور الأفعال وحدها في صحائف الناس ، وعن جابر الجعفي عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال (إذا أراد الله قبض روح الكافر قال: ياملك الموت انطلق أنت و أعوانك إلى عدوي، فإني قد ابتليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام فأبى إلا أن يشتمني، وكفر بي وبنعمتي، وشتمني على عرشي فاقبض روحه حتى تكبه في النار، قال: فيجيئه ملك الموت بوجه كريه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، صوته كالرعد القاصف، لونه كقطع الليل المظلم، نفسه كلهب النار رأسه في السماء الدنيا ورجل في المشرق و رجل في المغرب، وقدماه في الهواء معه سفود كثير الشعب، معه خمسمائة ملك معهم سياط من قلب جهنم، تلتهب تلك السياط وهي من لهب جهنم، ومعهم مسح أسود وجمرة من جمر جهنم، ثم يدخل عليه ملك من خزان جهنم يقال له: سحقطائيل فيسقيه شربة من النار، لا يزال منها عطشانا حتى يدخل النار، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصره وطار عقله، قال: ياملك الموت ارجعون، قال: فيقول ملك الموت: " كلا إنها كلمة هو قائلها " قال: فيقول: ياملك الموت فإلى من أدع مالي وأهلي وولدي وعشيرتي وما كنت فيه من الدنيا فيقول: دعهم لغيرك

واخرج إلى النار، وقال: فيضربه بالسفود ضربة فلا يبقى منه شعبة إلا أنشبها في كل عرق ومفصل، ثم يجذبه جذبة فيسل روحه من قدميه بسطا فإذا بلغت الركبتين أمر أعوانه فأكبوا عليه بالسياط ضربا، ثم يرفعه عنه فيذيقه سكراته وغمراته قبل خروجها، كأنما ضرب بألف سيف، فلو كان له قوه الجن والانس لاشتكى كل عرق منه على حياله بمنزلة سفود كثير الشعب القي على صوف مبتل، ثم يطوقه فلم يأت على شئ إلا انتزعه، كذلك خروج نفس الكافر من عرق وعضو ومفصل وشعرة، فإذا بلغت الحلقوم ضربت الملائكة وجهه ودبره وقيل: " أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون " وذلك قوله: " يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا)[1]

الثالثة : تدل آية السياق على مجئ الوعيد في آية البحث بعد قيام الحجة على الناس من وجوه :

الاول :إتحاد افعال الناس في سنن التوحيد ومناهج العبادة وكون الناس أمة واحدة ليس اتفاقاً بل هو بفضل ولطف وعناية من عند الله ،اذ نزل آدم بسنن التوحيد، ولقد صاحبت النبوة وجود الإنسان في الأرض ،فكان آدم رسولاً نبياً .

الثاني : توالي بعث الانبياء بالمعجزة الحسية والعقلية التي هي بذاتها جذبا ودعوة الى طاعة الله

(١) الأختصاص ١٨/٨٩.

الثالث : بشارة الأنبياء بالجنة واللبث الدائم في النعيم لأهل الإيمان، قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]

الرابع : تحذير وإنذار الأنبياء للناس بالعذاب الأليم بسبب الإقامة على الكفر .

الخامس :نزول الكتب السماوية بالبرهان على وجوب عبادة الله .

السادس :إتصاف الكتاب السماوي بأنه نزل بالعدل والصدق .

السابع : تعدد الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء والمراد اسم الجنس بلحاظ صيغة الجمع في الأنبياء .

الثامن: تفضل الله بالحكم بين الناس بالكتاب السماوي قال تعالى في خطاب للنبي محمد صلى الله علية واله وسلم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾[2] .

التاسع : جذب الناس للعمل بالحكم الإلهي رحمة بهم ، ودعوة لهم لتعاهد الإيمان في الأرض والإقرار بالحاجة إليه ، وفي التنزيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[3]

---

(1)سورة ال عمران ١٣٣.

(2)سورة النساء ١٠٥ .

(3)سورة التين ٨ .

وهل الوعيد في آية البحث من حكم الله الجواب نعم .

الرابعة : لما اختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [1] جاءت آية البحث بالهداية الى الصراط بلزوم المبادرة إلى التوبة ودخول الإسلام والنجاة من ضروب الوعيد التي جاءت بها آية البحث .

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [2] .

وفيها مسائل :-

الأولى :جاءت آية السياق بصيغة الخطاب وإرادة المسلمين والثناء عليهم وجاءت آية البحث بصيغة الغائب ولغة الذم والوعيد للكافرين .

الثانية : إنذار الكفار بان يأتيهم عذاب الخزي بالهزيمة أمام جيوش المسلمين، وتحذيرهم من إتباع خطوات الشيطان والإصرار على الكفر، والظلم وإرادة الإجهاز على الإسلام.

عن ابن شهاب وموسى بن عقبة قالا : مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قتل ابن الحضرمي شهرين ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب في عير لقريش من الشام ومعها سبعون راكباً من بطون قريش كلها وفيهم مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، وكانوا تجاراً بالشام

---

(1)سورة البقرة ١٤٣ .

(2)سورة البقرة ٢١٤.

ومعهم خزائن أهل مكة ، ويقال : كانت عيرهم ألف بعير ولم يكن لأحد من قريش أوقية فما فوقها إلا بعث بها مع أبي سفيان إلا حويطب بن عبد العزى ، فلذلك كان تخلف عن بدر فلم يشهده ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وقد كانت الحرب بينهم قبل ذاك ، وقتل ابن الحضرمي وأسر الرجلين عثمان والحكم ، فلما ذكر عير أبي سفيان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدي بن أبي الزغباء الأنصاري من بني غنم وأصله من جهينة وبسبس - يعني ابن عمرو - إلى العير عينا له ، فسارا حتى أتيا حياً من جهينة قريباً من ساحل البحر ، فسألوهم عن العير وعن تجار قريش ، فأخبروهما بخبر القوم ، فرجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه فاستنفر المسلمين للعير وذلك في رمضان .

وقدم أبو سفيان على الجهنيين وهو متخوّف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فقال : أحسوا من محمد فأخبروه خبر الراكبين عدي بن أبي الزغباء وبسبب ، وأشاروا له إلى مناخهما فقال أبو سفيان : خذوا من بعر بعيرهما ففته فوجد فيه النوى ، فقال : هذه علائف أهل يثرب وهذه عيون محمد وأصحابه ، فساروا سراعاً خائفين للطلب ، وبعث أبو سفيان رجلاً من بني غفار يقال له ضمضم بن عمرو إلى قريش أن انفروا فاحموا عيركم من محمد وأصحابه فإنه قد استنفر أصحابه ليعرضوا لنا ، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب ساكنة بمكة وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت مع أخيها

العباس بن عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبل بدر وقبل قدوم ضمضم عليهم ففزعت منها ، فأرسلت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب من ليلتها ، فجاءها العباس فقالت : رأيت الليلة رؤيا قد أشفقت منها وخشيت على قومك منها الهلكة . قال : وماذا رأيت؟ قالت : لن أحدثك حتى تعاهدني أنك لا تذكرها ، فإنهم إن سمعوها آذونا وأسمعونا ما لا نحب ، فلما عاهدها العباس فقالت : رأيت راكباً أقبل من أعلى مكة على راحلته يصيح بأعلى صوته : يا آل غدر اخرجوا في ليلتين أو ثلاث ، فأقبل يصيح حتى دخل المسجد على راحلته ، فصاح ثلاث صيحات ومال عليه الرجال والنساء والصبيان ، وفزع له الناس أشد الفزع قال : ثم أراه مثل على ظهر الكعبة على راحلته ، فصاح ثلاث صيحات فقال : يا آل غدر ويا آل فجر اخرجوا في ليلتين أو ثلاث ، ثم أراه مثل على ظهر أبي قبيس كذلك يقول : يا آل غدر ويا آل فجر حتى أسمع من بين الأخشبين من أهل مكة ، ثم عمد إلى صخرة فنزعها من أصلها ، ثم أرسلها على أهل مكة فأقبلت الصخرة لها حس شديد حتى إذا كانت عند أصل الجبل ارفضت ، فلا أعلم بمكة داراً ولا بيتاً إلا وقد دخلتها فلقة من تلك الصخرة ، فقد خشيت على قومك .

ففزع العباس من رؤياها ، ثم خرج من عندها فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة من آخر تلك الليلة - وكان الوليد خليلاً للعباس - فقص عليه رؤيا عاتكة وأمره أن لا يذكرها لأحد ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، وذكرها عتبة لأخيه شيبة ، فارتفع الحديث حتى بلغ أبا جهل بن هشام

واستفاض في أهل مكة ، فلما أصبحوا غدا العباس يطوف بالبيت ، فوجد في المسجد أبا جهل ، وعتبة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية ، وأبي ابني خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبا البختري ، في نفر من قريش يتحدثون ، فلما نظروا إلى العباس ناداه أبو جهل : يا أبا الفضل إذا قضيت طوافك فهلم إلينا ، فلما قضى طوافه جاء فجلس إليهم فقال له أبو جهل : ما رؤيا رأتها عاتكة؟! فقال : ما رأت من شيء . فقال أبو جهل : أما رضيتم يا بني هاشم كذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ، انا وإياكم كفرسي رهان فاستبقنا المجد منذ حين ، فلما تحاكت الركب قلتم منا نبي فما بقي إلا أن تقولوا منا نبية ، فما أعلم في قريش أهل بيت أكذب امرأة ولا رجل منكم ، وأذاه أشد الأذى وقال أبو جهل : زعمت عاتكة أن الراكب قال : اخرجوا في ليلتين أو ثلاث ، فلو قد مضت هذه الثلاث تبينت قريش كذبكم وكتبت سجلاً إنكم أكذب أهل بيت في العرب رجلاً وامرأة ، أما رضيتم يا بني قصي إن ذهبتم بالحجابة والندوة والسقاية واللواء والوفادة حتى جئتمونا بنبي منكم؟ فقال العباس : هل أنت مُنْتَهٍ فإن الكذب منك ومن أهل بيتك؟ فقال من حضرهما : ما كنت يا أبا الفضل جهولاً خرقاً . ولقي العباس من عاتكة فيما أفشى عليها من رؤياها أذى شديداً .

فلما كان مساء الليلة التي رأت عاتكة فيها الرؤيا ، جاءهم الراكب الذي بعث أبو سفيان ، وهو ضمضم بن عمرو الغفاري فصاح وقال : يا آل غالب بن فهر انفروا فقد خرج محمد وأهل يثرب يعترضون لأبي

سفيان فاحرزوا عيركم ، ففزعت قريش أشد الفزع وأشفقوا من رؤيا عاتكة ، وقال العباس : هذا زعمتم كذا وكذب عاتكة فنفروا على كل صعب وذلول ، وقال أبو جهل : أيظن محمد أن يصيب مثل ما أصاب بنخلة ، سيعلم أنمنع عيرنا أم لا . فخرجوا بخمسين وتسعمائة مقاتل ، وساقوا مائة فرس ، ولم يتركوا كارهاً للخروج يظنون أنه في قهر محمد وأصحابه ، ولا مسلماً يعلمون اسلامه ، ولا أحداً من بني هاشم إلا من لا يتهمون إلا أشخصوه معهم ، فكان ممن أشخصوا العباس بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث ، وطالب بن أبي طالب ، وعقيل بن أبي طالب في آخرين ، فهنالك يقول طالب بن أبي طالب : إما يخرجن طالب بمقنب من هذه المقانب في نفر مقاتل يحارب وليكن المسلوب غير السالب والراجع المغلوب غير الغالب فساروا حتى نزلوا الجحفة نزلوها عشاء يتزودون من الماء ومنهم رجل من بني عبد المطلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت بن مخرمة فوضع حهيم رأسه فأغفى ثم فزع فقال لأصحابه : هل رأيتم الفارس الذي وقف علي آنفا ؟ فقالوا : لا إنك مجنون

فقال : قد وقف علي فارس آنفا ! فقال : قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البختري وأمية بن خلف فعد أشرافا من كفار قريش

فقال له أصحابه : إنما لعب بك الشيطان ورفع حديث جهيم إلى أبي جهل فقال : قد جئتم بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غدا من يقتل

ثم ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عير قريش جاءت من الشام وفيها أبو سفيان بن حري ومخرمة بن نوفل وعمرو بن العاصي وجماعة من قريش فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلك حين خرج إلى بدر على نقب بني دينار ورجع حين رجع من ثنية الوداع فنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نفر ومعه ثلثمائة وسبعة عشر رجلا وفي رواية ابن فليح : ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وأبطأ عنه كثير من أصحابه وتربصوا وكانت أول وقعة أعز الله فيها الإسلام فخرج في رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه المدينة ومعه المسلمون لا يريدون إلا العير فسلك على نقب بني دينار والمسلمون غير معدين من الظهر إنما خرجوا على النواضح يعتقب الرجل منهم على البعير الواحد وكان زميل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة فهم معه ليس معهم إلا بعير واحد فساروا حتى إذا كانوا بعرق الظبية لقيهم راكب من قبل تهامة - والمسلمون يسيرون - فوافقه نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن أبي سفيان ؟ فقال : لا علم لي به

فلما يئسوا من خبره فقالوا له : سلم على النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم فقال : وفيكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا : نعم

قال : أيكم هو ؟ فأشاروا له إليه فقال الأعرابي : أنت رسول الله كما تقول ؟ قال : نعم

قال : إن كنت رسول الله كما تزعم فحدثني بما في بطن ناقتي هذه ؟ فغضب رجل من الأنصارمن بني عبد الأشهل يقال له سلمة بن سلامة بن وقش فقال للأعرابي : وقعت على ناقتك فحملت منك

فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال سلمة حين سمعه أفحش فأعرض عنه ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلقاه خبر ولا يعلم بنفرة قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أشيروا علينا في أمرنا ومسيرنا ؟ فقال أبو بكر : يا رسول اله أنا أعلم الناس بمسافة الأرض أخبرنا عدي بن أبي الزغباء أن العير كانت بوادي كذا وكذا فكانا وإياهم فرسخان إلى بدر

ثم قال : أشيروا علي ؟ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعدد له عدته

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أشيروا علي ؟ فقال المقداد بن عمرو : إنا لا نقول لك كما قال أصحاب موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون المائدة الآية ٢٤ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون

فقال رسول الله : أشيروا علي ؟ فلما رأى سعد بن معاذ كثرة استشارة النبي أصحابه فيشيرون فيرجع إلى المشورة ظن سعد أنه يستنطق الأنصار شفقا أن لا يستحوذوا معه على ما يريد من أمره فقال سعد بن معاذ لعلك يا رسول الله تخشى أن لا تكون الأنصار يريدون مواساتك

ولا يرونها حقا عليهم إلا بأن يروا عدوا في بيوتهم وأولادهم ونسائهم وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم : يا رسول الله فاظعن حيث شئت وخذ من أموالنا ما شئت ثم أعطنا ما شئت وما أخذته منا أحب إلينا مما تركت وما ائتمرت من أمر فأمرنا بأمرك فيه تبع فوالله لو سرت حتى تبلغ البركة من ذي يمن لسرنا معك

فلما قال ذلك سعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيروا على اسم الله فإني قد رأيت مصارع القوم فعمد لبدر

وخفض أبو سفيان فلصق بساحل البحر وكتب إلى قريش حين خالف مسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأى أن قد أحرز ما معه وأمرهم أن يرجعوا فإنما أخرجتم لتحرزوا ركبكم فقد أحرز لكم فلقيهم هذا الخبر بالجحفة

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نقدم بدرا فنقيم فيها ونطعم من حضرنا من العرب فإنه لن يرانا أحد فيقاتلنا

فكره ذلك الأخنس بن شريق فأحب أن يرجعوا وأشار عليهم بالرجعة فأبوا وعصوا وأخذتهم حمية الجاهلية فلما يئس الأخنس من رجوع قريش أكب على بني زهرة فأطاعوه فرجعوا فلم يشهد أحد منهم بدرا واغتبطوا برأي الأخنس وتبركوا به فلم يزل فيهم مطاعا حتى مات وأرادت بنو هاشم الرجوع فيمن رجع فاشتد عليهم أبو جهل وقال : والله لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع

وسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل أدنى شيء من بدر ثم بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وبسبسا الأنصاري في عصابة من أصحابه فقال لهم : اندفعوا إلى هذه الظراب وهي في ناحية بدر فإني أرجو أن تجدوا الخبر عند القليب الذي يعلى الظراب فانطلقوا متوشحي السيوف فوجدوا وارد قريش عند القليب الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا غلامين أحدهما لبني الحجاج بن الأسود والآخر لأبي العاصي يقال له أسلم وأفلت أصحابهما قبل قريش فأقبلوا بهما حتى أتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في معرشة دون الماء فجعلوا يسألون العبدين عن أبي سفيان وأصحابه لا يرون إلا أنهم لهم فطفقا يحدثانهم عن قريش ومن خرج منهم وعن رؤوسهم فيكذبونهما وهم أكره شيء للذي يخبرانه وكانوا يطمعون بأبي سفيان وأصحابه ويكرهون قريشا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما يصلي يسمع ويرى الذي يصنعون بالعبدين فجعل العبدان إذا أذلقوهما بالضرب يقولان نعم هذا أبو سفيان والركب كما قال الله تعالى أسفل منكم قال الله إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا الأنفال الآية٤٢ قال فطفقوا إذا قال العبد إن هذه قريش قد جاءتكم كذبوهما وإذا قالا هذا أبو سفيان تركوهما

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنيعهم بهما سلم من صلاته وقال : ماذا أخبراكم ؟ قالوا : أخبرانا أن قريشا قد جاءت

قال : فإنهما قد صدقا والله إنكم لتضربونهما إذا صدقا وتتركونهما إذا كذبا خرجت قريش لتحرز ركبها وخافوكم عليهم ثم دعا رسول الله العبدين فسألهما ؟ فأخبراه بقريش وقالا : لا علم لنا بأبي سفيان فسألهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كم القوم ؟ قالا : لا ندري والله هم كثير

فزعموا أن رسول الله قال : من أطعمهم أمس ؟ فسميا رجلا من القوم

قال : كم نحر لهم ؟ قالا : عشر جزائر

قال : فمن أطعمهم أول أمس ؟ فسميا رجلا آخر من القوم

قال : كم نحر لهم ؟ قالا : تسعا

فزعموا أن رسول الله قال : القوم ما بين التسعمائة والألف يعتبر ذلك بتسع جزائر ينحرونها يوما وعشر ينحرونها يوما

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أشيروا علي في المسير ؟ فقام الحباب بن المنذر أحد بني سلمة فقال : يا رسول الله أنا عالم بها وبقلبها إن رأيت أن تسير إلى قليب منها قد عرفتها كثيرة الماء عذبة فتنزل إليها ونسبق القوم إليها ونغور ما سواها

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيروا فإن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين أنها لكم فوقع في قلوب ناس كثير الخوف وكان

فيهم من تخاذل من تخويف الشيطان فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون مسابقين إلى الماء وسار المشركون سراعا يريدون الماء فأنزل الله عليهم في تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين بلاء شديدا منعهم أن يسيروا وكان على المسلمين ديمة خفيفة لبد لهم المسير والمنزل وكانت بطحاء فسبق المسلمون إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل فاقتحم القوم في القليب فما حوها حتى كثر ماؤها وصنعوا حوضا عظيما ثم غوروا ما سواه من المياه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هذه مصارعهم إن شاء الله بالغداة

وأنزل الله إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام الأنفال الآية ١١

ثم صف رسول الله على الحياض فلما طلع المشركون قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني - ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممسك بعضد أبي بكر يقول : اللهم إني أسألك ما وعدتني - فقال أبو بكر : أبشر فوالذي نفسي بيده لنيجزن الله لك ما وعدك

فاستنصر المسلمون الله واستعانوه فاستجاب الله لنبيه وللمسلمين وأقبل المشكون ومعهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي يحدثهم أن بني كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وأنه لا غالب لكم اليوم من

الناس وإني جار لكم لما أخبرهم من مسير بني كنانة وأنزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس الأنفال الآية ٤٧ هذه الآية والتي بعدها

وقال رجال من المشركين لما رأوا قلة من مع محمد صلى الله عليه وسلم : غر هؤلاء دينهم

فأنزل الله ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم الطلاق الآية ٣

وأقبل المشركون حتى نزلوا وتعبوا للقتال والشيطان معهم لا يفارقهم فسعى حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة فقال له : هل لك أن تكون سيد قريش ما عشت ؟ قال عتبة فأفعل ماذا ؟ قال : تجير بين الناس وتحمل دم ابن الحضرمي وبما أصاب محمد من تلك العير فإنهم لا يطلبون من محمد غير هذه العير ودم هذا الرجل

قال عتبة : نعم قد فعلت ونعما قلت ونعما دعوت إليه فاسع في عشيرتك فأنا أتحمل بها

فسعى حكيم في أشراف قريش بذلك يدعوهم فيه وركب عتبة جملا له فسار عليه في صفوف المشركين في أصحابه فقال : يا قوم أطيعوني فإنكم لا تطلبون عندهم غير دم ابن الحضرمي وما أصابوا من عيركم تلك وأنا أتحمل بوفاء ذلك ودعوا هذا الرجل فإن كان كاذبا ولي قتله غيركم من العرب فإن فيهم رجالا لكم فيهم قرابة قريبة وإنكم إن تقتلوهم لا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه أو ابن أخيه أو ابن عمه فيورث ذلك فيهم احنا وضغائن وإن كان هذا الرجل ملكا

كنتم في ملك أخيكم وإن كان نبيا لم تقتلون النبي فتيسئوا به ولن تخلصوا إليهم حتى يصيبوا أعدادهم ولا آمن أن يكون لكم الدبرة عليهم فحسده أبو جهل على مقالته وأبى الله إلا أن ينفذ أمره وعمد أبو جهل إلى ابن الحضرمي - وهو أخو المقتول - فقال : هذا عتبة يخذل بين الناس وقد تحمل بدية أخيك يزعم أنك قابلها أفلا تسحيون من ذلك أن تقبلوا الدية ؟ فزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو ينظر إلى عتبة : إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر وإن يطيعوه يرشدوا

فلما حرض أبو جهل قريشا على القتال أمر النساء يعولن عمر

فقمن يصحن : واعمراه واعمراه

! تحريضا على القتال فاجتمعت قريش على القتال فقال عتبة لأبي جهل : سيعلم اليوم أي الأمرين أرشد

وأخذت قريش مصاف هذا القتال وقالوا لعمير بن وهب : اركب فاحذر محمدا وأصحابه

فقعد عمير على فرسه فأطاف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ثم رجع إلى المشركين فقال : حذرتهم بثلثمائة مقاتل زادوا شيئا أو نقصوا شيئا وحذرت سبعين بعيرا ونحو ذلك ولكن أنظروني حتى أنظر هل لهم مدد أو كمين فأطاف حولهم وبعثوا خيلهم معه فأطافوا حولهم ثم رجعوا فقالوا : لا مدد لهم ولا كمين وإنما هم أكلة

جزور وقالوا لعمير حرش بين القوم فحمل عمير على الصف بمائة فارس

واضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لأصحابه : لا تقاتلوا حتى أؤذنكم وغشيه نوم فغلبه فلما نظر بعض القوم إلى بعض جعل أبو بكر يقول : يا رسول الله قد دنا القوم ونالوا منا

! فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا وقلل المسلمين في أعين المشركين حتى طمع بعض القوم في بعض ولو أراه عددا كثيرا لفشلوا وتنازعوا في الأمر كما قال الله وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الناس فوعظهم وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد اليوم

فقام عمير بن الحمام من عجين كان يعجنه لأصحابه حين سمع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إن لي الجنة إن قتلت ؟ قال : نعم

فشد على أعداء الله مكانه فاستشهد وكان أول قتيل قتل ثم أقبل الأسود بن عبد الأسد المخزومي يحلف بآلهته ليشربن من الحوض الذي صنع محمد وليهدمنه فلما دنا من الحوض لقيه حمزة بن عبد المطلب فضرب رجله فقطعها فأقبل يحبو حتى وقع في جوف الحوض وأتبعه حمزة حتى قتله ثم نزل عتبة بن ربيعة عن جمله ونادى : هل من مبارز ولحقه أخوه شيبة والوليد ابنه فناديا يسألان المبارزة فقام إليهم ثلاثة من

الأنصار فاستحيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك فناداهم أن ارجعوا إلى مصافكم وليقم إليهم بنو عمهم

فقام حمزة وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبة وقتل علي الوليد وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي فحمل حتى توفي بالصفراء وعند ذلك نذرت هند بنت عتبة لتأكلن من كبد حمزة إن قدرت عليها فكان قتل هؤلاء النفر قبل إلتقاء الجمعين

وعج المسلمون إلى الله يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نشب ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه إلى الله يسأله ما وعده ويسأله النصر ويقول : اللهم إن ظهر على هذه العصابة ظهر الشرك ولم يقم لك دين وأبو بكر يقول : يا رسول الله والذي نفسي بيده لينصرنك الله وليبيضن وجهك فأنزل الله جندا في أكناف العدو فقال رسول الله : قد أنزل الله نصره : ونزلت الملائكة عليهم السلام أبشر يا أبا بكر فإني قد رأيت جبريل معتجرا يقود فرسا بين السماء والأرض فلما هبط إلى الأرض جلس عليها فتغيب عني ساعة ثم رأيت على شفته غبارا

وقال أبو جهل : اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحديث ونكص الشيطان على عقبيه حين رأى الملائكة عليهم السلام وتبرأ من نصرة أصحابه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه المشركين فجعل الله تلك الحصباء عظيما شأنها لم يترك من المشركين رجلا إلا ملأت عينيه

والملائكة عليهم السلام يقتلونهم ويأسرونهم ويجدون النفر كل رجل منهم مكبا على وجهه لا يدري أن يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه

ورجعت قريش إلى مكة منهزمين مغلوبين وأذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين فلم يبق بالمدينة منافق ولا يهودي إلا وهو خاضع عنقه لوقعة بدر وكان ذلك يوم الفرقان يوم فرق الله بين الشرك والإيمان وقالت اليهود تيقنا : أنه النبي الذي نجد نعته في التوراة والله لا يرفع راية بعد اليوم إلا ظهرت

ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فدخل من ثنية الوداع ونزل القرآن يعرفهم الله نعمته فيما كرهوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون هذه الآية وثلاث آيات معها[1].

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين أن الكفار يضرون انفسهم في تعديهم على المسلمين وأن الأذى الذي ياتي للمسلمين فيه أجر وثواب .

الرابعة : تقوى المسلمين حجة على الكفار فلذا حديث الآية بالوعيد بمعنى ليتعظوا ويعتبروا من طاعة المؤمنين لله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[2].

(١)الدر المنثور ٤١٦/٤.

(٢)سورة آل عمران ١٠٢.

إعجاز الآية

الآية تخويف ووعيد للكافرين وحث لهم على الاكتفاء بالآيات الظاهرة لدلالتها على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسماوية القرآن، وفيها اسقاط لما في ايديهم كما انها انذار محض جاء بلغة المحسوس لتقريبه للمدارك، واقامة للحجة على كل واحد منهم لأن لغة المحسوس مفهومة وبينة ومعروفة عند الجميع.

تتضمن الآية إحتجاجاً بصيغة التوبيخ، وفيه تذكرة وموعظة ونهي عن البقاء على الجحود والعناد والكفر، وهي حرب على المكذبين بآيات الله وإنذار لهم، قال تعالى ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[1].

وتحتمل عائدية واو الجماعة في(هل ينظرون) وجوهاً:

الأول : إرادة الذين آمنوا في الآية قبل السابقة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[2].

الثاني : المقصود طائفة من أهل الكتاب.

الثالث : إرادة الناس جميعاً.

والوجه الأول أعلاه بعيد لأن الآية تتضمن صيغة التخويف والتحذير والإنذار لذا فان الإستفهام في الآية إنكاري فبعد الترغيب للمسلمين بدخول السلم والهداية إلى الرشاد والصلاح بلغة الخطاب، إنتقلت هذه الآية إلى لغة الغائب مما يدل على التباين في جهة الخطاب، لبيان لزوم قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولبعث

---

(١)سورة الواقعة ٩٢-٩٤.

(٢)سورة البقرة ٢٠٨.

السكينة في نفوسهم بالأمن من لغة الإنذار والتوبيخ.

ويمكن تسمية الآية آية (**ظلل من الغمام**) ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا في هذه الآية الكريمة، وهو علامة أمر الله عز وجل ببدأ الحساب للناس، ونشر الصحف وحضور الأعمال، وورد لفظ (هل ينظرون) في القرآن ثمان مرات، ستة منها في أول الآية.

الآية سلاح

في الآية تخفيف عن المسلمين ببيان ظهور الحجج والبراهين لكل الناس ومنع ثبوت اصرار الكافرين على الجحود، وعدم الاندفاع وراء رغباتهم واهوائهم بطلب المزيد من الآيات.

من صيغ الوعد والوعيد في القرآن التذكير بيوم القيامة، وأهواله وعالم الحساب والجزاء وهذا التذكير إخبار صادق عن أمر حتمي الوقوع، فتفضل الله عز وجل وجعله قريباً من حواس البشر، وهو من مصاديق رحمة الله، وقوانين الخلافة في الأرض، فلما إحتج الملائكة على جعل آدم خليفة في الأرض لأن الإنسان ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1]، تفضل الله عز وجل ورد إحتجاجهم بالبرهان التأريخي المتجدد في الدنيا والآخرة، إذ قال سبحانه ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، ومن علم الله وجل مجئ التنزيل بالتخويف والوعيد من يوم القيامة، فيكون باباً للتوبة والإنابة، وسبباً للإصلاح، وتعاهد المسلمين للفرائض والطاعات.

وتدل الآية بالدلالة التضمنية على بعث الناس من قبورهم، والتوجه إلى أرض المحشر، حيث يطول وقوفهم ويملأهم الرعب والخوف

(١)سورة البقرة ٣٠.

(٢)سورة البقرة ٣٠.

إلا﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، ويتنقل الناس في مواطن يوم القيامة ومعها يكون الحساب وتطاير الصحف، وإنكار الأفعال والأقوال، وشهادة الجوارح والحواس على صاحبها ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [2].

مفهوم الآية

يتوجه موضوع السؤال الإستنكاري في الآية الى الجاحدين والكافرين الا أنه في مفهومه موعظة وتذكرة للمسلمين ودعوة لهم للصبر على تجاوزات الكافرين واستمرار عنادهم وعدم إستجابتهم للآيات والبراهين التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما يؤمن الإنسان ، ويرى غيره يصر على الجحود ويقابل الآيات بالإستهزاء فانه يتساءل عن سر هذا العناد ويبحث عن مواطن الخلل والنقص فتأتي هذه الآية متضمنة التحدي والفضح للكافرين وإستنكار إصرارهم على عدم الإيمان فيكون من وظائف الآية بعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين بتحديد جهة وموضوع الخلل وان جحودهم بسبب عدم اهليتهم للقبول وليس لعدم وجود المقتضي، لذا جاءت الآية بصيغة الإنذار والوعيد ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وفيه حث على عدم تفويت فرصة الحياة الدنيا واستثمارها للعمل الصالح، وهذا والتنبيه لم يكن خاصاً بالمسلمين بل موجه للناس جميعاً فالقرآن رحمة لأهل الأرض يدعوهم للإيمان

(١)سورة الشعراء ٨٩.

(٢)سورة يس ٦٥.

بالآيات والتقيد بالأحكام التي جاء بها قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١).

وتدعو خاتمة الآية الى تفويض الأمور اليه سبحانه فبيده مقاليدها، ومن يقابل الآيات بالجحود في الحياة الدنيا فانه سيعترف بها طوعاً او كرهاً في الآخرة ويسلم بنزول القرآن من عنده سبحانه ولكن هذا الإعتراف والتسليم لا ينفعه يومئذ فالمدار على الحياة الدنيا والعمل فيها وهي دار الإمتحان والإبتلاء والإختبار وهذا الإنذار في مفهومه دعوة للمسلمين لإستحضار المعاد والإستعداد له وعدم الإلتفات الى جحود الكافرين، وفيها اخبار لهم بان الندم سيستولي على الكافرين يوم القيامة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (٢).

إفاضات الآية

تبين آية البحث أن الدنيا (دار التدارك) فمن بديع صنع الله عز وجل أن رزقَ الإنسان مرتبة الخلافة في الأرض، ومن خصائصها فتح باب التوبة له ما دام لم يغادرها ونعمة التوبة من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣) فمن علمه تعالى فتح باب التوبة وأول من تاب وقبل الله توبته هو آدم عليه السلام (عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن آدم كان رجلاً طوالاً كأنه نخلة

(١)سورة الأسراء ٩.
(٢)سورة المائدة ١٠٥.
(٣)سورة البقرة ٣٠.

سحوق ستين ذراعاً ، كثير شعر الرأس . فلما ركب الخطيئة بدت له عورته ، وكان لا يراها قبل ذلك ، فانطلق هارباً في الجنة ، فتعلقت به شجرة فأخذت بناصيته فقال لها : ارسليني قالت : لست بمرسلتك ، وناداه ربه : يا آدم أمني تفر؟ قال : يا رب إني استحييتك قال : يا آدم اخرج من جواري فبعزتي لا أساكن من عصاني ، ولو خلقت ملء الأرض مثلك خلقاً ثم عصوني لاسكنتهم دار العاصين . قال : أرأيت إن أنا تبت ورجعت أتتوب عليّ؟ قال : نعم . يا آدم)[1] وهو نعمة عظمى على الناس مجتمعين ومتفرقين، فهي باب للصلاح ومحاربة الفساد، وتتجلى منافعها في الآخرة أكثر منه في الدنيا، مما يجعل الحسرة والندامة تستحوذ على نفوس الكفار الذين يندمون على فواتها.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الناس قيام فاذا ماتوا انتبهوا[2].

ومن معاني قوله تعالى﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي هل ينتظرون، لبيان وجوب إتخاذ الإنسان الحيطة ليوم القيامة، بإخلاص الإيمان وصدق السريرة والتوبة والإنابة.

ومن إعجاز الآية أنه تتضمن في ثنايا الوعيد بعث السكينة في نفوس المسلمين لذا جاء الوعيد بصيغة الغائب، لإستعدادهم ليوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح وإنتفاعهم من خصائص الحياة الدنيا فهي وعاء ومناسبة للتوبة والتدارك وجاءت البشارات بالتوبة وعظيم نفعها في القرآن وعلى لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن جابر بن

---

(١) الدر المنثور ٨٢/١.

(٢)المحرر الوجيز ١٨٥/١.

عبد الله قال (إن آدم لما أهبط إلى الأرض ، هبط بالهند وإن رأسه كان ينال السماء ، وإن الأرض شكت إلى ربها ثقل آدم ، فوضع الجبار تعالى يده على رأسه ، فانحط منه سبعون ذراعاً ، وهبط معه بالعجوة ، والاترنج ، والموز ، فلما أهبط قال : رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ، إن لم تعني عليه لا أقوى عليه ، قال : لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكاً قال : رب زدني قال : أجازي بالسيئة السيئة ، وبالحسنة عشر أمثالها إلى ما أزيد قال : رب زدني قال : باب التوبة له مفتوح ما دام الروح في الجسد قال إبليس : يا رب هذا العبد الذي أكرمته إن لم تعني عليه لا أقوى عليه قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال : يا رب زدني قال : تجري منه مجرى الدم ، وتتخذ في صدورهم بيوتاً قال : رب زدني قال { أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد }[1])[2].

الآية لطف

في الآية لطف من وجوه

الأول : الآية لطف بالمسلمين في مفهومها، إذ تدل على تلقيهم النبوة والتنزيل بالتصديق والقبول، وقيامهم ببذل الوسع في طاعة الله، فمن رحمة الله بالمسلمين أن الله عز وجل لم يخاطبهم (هل تنظرون إلا أن ياتيكم الله)، إذ يلهجوا بذكر الله في الغداة والعشي، وهو من أسرار وجوب الصلاة خمس مرات في اليوم، وتلاوة آيات القرآن فيها ليحسبها الله عز وجل لهم ذكراً ليوم القيامة وإستعداداً له.

(١) سورة الأسراء ٦٤.

(٢)المحرر الوجيز ١/١٨٥.

الثاني : الآية لطف بأهل الكتاب لما فيها من دعوتهم للإيمان والصلاح، وتذكيرهم بوقائع يوم القيامة بذات الصيغة التي وردت في الكتب السماوية السابقة وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

وتبين الآية أن الآخرة عالم الحساب والجزاء وليس فيها تدارك ولا استئناف للحساب لأنه حق وعدل ، قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [2].

الثالث : الآية لطف بالناس جميعاً لما فيها من التذكير بعالم الآخرة وشدة الحساب يوم المحشر، وحضور الأعمال مصاحبة لأهلها لا تنفك عنهم، فصاحب الصالحات يتخذها ظلاً وغماماً، وصاحب السيئات يطردها عنه فلا تغادره ويهرب عنها فتأتيه يظن ساعة أنها غابت عنه، وحالما يلتفت يجدها حاضر عنده فيبتلى بكراهية الإلتفات قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[3].

وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال هم المسلمون[4]، فكل إنسان محتسب بعمله وملازم له ليحاسب عليه لتكون آية البحث تحذيراً من التكذيب بيوم القيامة، وبياناً لقربه، وما هو آت

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الكهف٤٩ .

(٣)سورة المدثر ٣٨-٣٩.

(٤)الدر المنثور ١٣٩/١٠.

قريب، ومن أسرار خلق الإنسان أنه قد يكون بينه وبين يوم القيامة مئات آلاف السنين ولكنه لا يدرك إلا أيام عمره وإذا مات قامت قيامته، إذ يبقى في عالم البرزخ ينتظر الساعة ، وفي التنزيل بخصوص شطر من الناس وبقائهم في القبور، قال تعالى﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾(١).

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بالإستفهام الإنكاري الذي يتضمن في دلالته الزجر عن الشك والريب في النبوة والتنزيل والمعاد للتداخل بينها، ولأن كل فرد منها بنعمة من الله وحجة على الناس في الدنيا والآخرة.

وتنفي الآية وجود مندوحة من الزمن بين حياة الإنسان وبين وقوفه بين يدي الله للحساب.

وجاءت الآية بصيغة الجمع(ينظرون) لبيان إجتماع الكفار على الجحود باليوم الآخر، وفيه حجة عليهم، وهذه الصيغة آية في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن القرآن يخاطب الناس جميعاً، ويدعوهم إلى الهدى، ويذكرهم بالآخرة، ويكون شفيعاً للمؤمنين يوم القيامة .

وعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فقال : إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي(٢).

(١)سورة المؤمنون ١١٢-١١٣.

(٢)الدر المنثور ٥٦/٧ .

وأخرج عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً بالملائكة ، وذلك قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ (١).

لتبين الآية الرهبة والعظمة في يوم القيامة بأن الخلائق تنصاع للقدرة الإلهية ويحس الناس بقرب سلطان الله عز وجل منهم، فاذا كان الإنسان في الدنيا مختاراً يظن أحياناً أنه مستقل بذاته وشأنه فانه يوم القيامة يعلم بأن سلطان القدرة والجبروت يحيط به وفي التنزيل ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(٢)، وإخبار الآية عن مجئ الله وأنه يأتي بيان لإنحصار الملك به سبحانه، والله تعالى منزه عن التشبيه والمجئ والذهاب.

ثم ذكرت الآية (ظلل من الغمام) علامة لأهل المحشر بأن الله عز جل قد أمر ببدأ الحساب ووضع الميزان ، ولم يرد هذا للفظ في القرآن إلا في هذه الآية.

وأخبرت الآية عن حضور الملائكة ، ويحتمل وجوهاً:

الأول : إرادة كبار الملائكة مثل اسرافيل وميكائيل وجبرئيل.

الثاني : حضور الملائكة الذين يتولون حساب الناس على أعمالهم في الدنيا.

الثالث : حضور ملائكة الرحمة والعذاب.

الرابع : حضور ملائكة الجنة والملائكة القائمين على النار.

---

(١)الدر المنثور ١/٤٨٤.

(٢)سورة غافر ١٦.

الخامس : إرادة الملائكة الذين إحتجوا على جعل خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١).

السادس : المقصود عموم الملائكة إلا من خرج بالدليل.

والمختار هو الأخير والوجوه الأخرى في طوله ، إخبار عن شدائد يوم القيامة وحث للناس للتدبر وحسن السمت في الدنيا، ليكون أمناً وسكينة في الآخرة، وقيل هذه الآية من آيات الصفات.

ثم أخبرت عن قضاء وتمام الحساب ،قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾(٢)، لبيان حقيقة ، وهي من وظائف حضور الملائكة يوم القيامة أن فريقا منهم يأخذ المؤمنين بلطف على النجائب إلى الجنة التي تفتح أبوابها حين وصولهم.

ويسوق فريق من الملائكة الذين كفروا بغلظة وعنف إلى النار، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾(٣)، أي سائق يقودها إلى مقر الإقامة بالجنة أو النار، وشاهد يشهد على الإنسان بعمله، فلا يستطيع الإنكار أو التكذيب.

وأختتمت الآية بقانون كلي شامل للحياة الدنيا وعالم البرزخ والآخرة، وللموجود والمعدوم من الأزمنة بأن الأمور كلها بيد الله، وإليه ترجع في الخاتمة.

وفيه ترغيب بلقاء الله عز وجل، وبعث للطمأنينة في النفوس لأنه سبحانه هو الحاكم في الدنيا والآخرة لذا يقرأ المسلمون في الصلاة عدة

---

(١)سورة البقرة ٣٠.

(٢)سورة الزمر ٧١.

(٣)سورة ق ٢١.

مرات باليوم وعلى نحو الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]، ليكون من الحمد لله الشكر له سبحانه على نعمة آية البحث وما فيها من الإنذار، والشكر له على نعمة صيرورة خواتيم الأمور كلها بيده، فلما أخبرت هذه الآية بأن الملائكة يأتون مع الله أي مع قدرة وقوة وأمر الله بالحساب،.

وأختتمت الآية بأن الأمور كلها بيده سبحانه وليس بيد الملائكة أو غيرهم من الخلائق وتترشح الطمأنينة لأن الله عز وجل هو الرؤوف الرحيم ، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده)[٢].

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : لما أختتمت الآية السابقة بذكر ثلاثة إسماء الله أسماء بقوله تعالى ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣] إبتدأت هذه الآية بالإنذار من يوم القيامة وشدائده وما فيه من المحن، ومن فيوضات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنها رحمة بالناس جميعاً، إذ تبعث هذه الآية الناس على العمل والسعي في الصالحات وإستثمار الدنيا كمزرعة للآخرة.

الثانية : دعوة الناس للإنابة والإستغفار وإصلاح الأفعال.

---

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) البحار ٦/٢١٩.

(٣) سورة البقرة ٢٠٩.

الثالثة : لما جاءت الآية قبل السابقة بالتحذير من وسوسة الشيطان، والزجر عن إتباع خطواته لأن فيه الضرر في الدارين، تضمنت آية البحث بيان أهوال يوم القيامة بما تنخلع معها القلوب، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾(١).

الرابعة : الإخبار عن الحتم والقطع عن يوم القيامة وما فيه من الجزاء.

الخامسة : حث المسلمين على الدعاء للنجاة من أهوال يوم القيامة.

السادسة : تلاوة المسلمين لآية البحث تسليم بمضامينها، ومناسبة للأجر والثواب، ورجاء لأن يكونوا من الذين ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

السابعة : الإخبار عن أهوال عظيمة يوم القيامة وهي مجئ وحضور أمر الله بما يخطف الأبصار ، وتدركه الحواس.

الثامنة : بعث اليأس والقنوط في نفوس الناس من الطواغيت والسلاطين، فكل الأمور بيد الله سواء في الدنيا أو الآخرة.

وقيل أن الله عز وجل يأتي للفصل بين الناس، وأن القول بأن المراد إتيان أمره من التعطيل وصرف الكلام عن الظاهر وأنه من تحريف الكلم عن مواضعه، وهذا من القسوة المقرونة بالإرهاب الفكري في ذم الذي يخالفه بالتأويل بكلام قاس وشديد، مع أن إرادة أمر الله تحتمله الآية لأن الله سبحانه حاضر في كل مكان وزمان، لاتخف عليه خافية وليس له

(١)سورة آل عمران ١٠٦ .

(٢)سورة البقرة ٢٦٢.

كيف، ولمجئ القرآن بالبيان، قال تعالى﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال تعالى﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾[2]، وهو الأنسب لما أجمع عليه المسلمون من إنتفاء الظرفية وإحاطة الغمام بالله عز وجل، أما مع إرادة أمر الله فان ظرفية الغمام أمر ممكن.

ثم أن تحريف الكلم لا يكون في التأويل الذي يستند إلى دليل، إنما المراد منه يد التحريف التي مست الكتب السابقة ، ومن خصائص القرآن سلامته من التحريف ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[3].

التفسير

قوله تعالى ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ وفيه مسائل :

الأولى : الآية سؤال استنكاري يتضمن التوبيخ للكفار واهل الجحود.

الثانية : في الآية انذار ووعيد وبعث للخوف في نفوس اهل الضلالة.

الثالثة : الآية دعوة عامة للتدبر والتفكر وتدفع بالإنسان الى الإستحياء من الاقامة على الجحود والاستكبار.

الرابعة : ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى ينتظرون ويتوقعون.

قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾

الأولى : مما أجمع عليه المليون ان الله تعالى منزه عن المجئ و الذهاب

---

(١)سورة النحل ١.

(٢)سورة النحل ٣٣.

(٣)سورة الحجر ٩.

لانهما من صفات الاجسام، والله سبحانه أحاط بكل شيء علماً وهو واجب الوجود ليس بجسم.

الثانية : الحركة والسكون يدلان على الحاجة الى المكان والحيز والله عز وجل غير محتاج.

الثالثة :معنى الآية انهم ينتظرون حلول العذاب، أي بقاء المكذبين بالنبوة مصرين على الكفر والعناد لا يعني انهم بمعزل عن العقاب قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١].

الرابعة : لابد من تأويل الآية وبلحاظ القرائن، ويأتي المجئ مجازياً ولا يعني الذهاب والمجئ بل حلول الآيات.

الخامسة : انذار من مجئ آيات الله والبراهين القطعية الدالة على صدق النبوة على نحو التكرار

السادسة :الآية توبيخ لأولئك الذين يريد كل واحد منهم مجئ الآيات له على نحو الخصوص والبرهان الحسي، والا فان القرآن آية للناس على نحو العموم الاستغراقي، وكذا الآيات العقلية والحسية التي تثبت بالتواتر مما لا يحتمل معه الكذب كما لو نقلها جماعة عن جماعة لا يحتمل تواطؤهم على الكذب

السابعة : مجئ أمر الله عز وجل قد يعني العذاب والبطش والنقمة، وقد يكون الابتلاء من غير أجر، قال تعالى ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾[٢].

الثامنة :المراد مجئ المجاهدين من المسلمين وتحقيق الفتح، ويدل عليه

---

(١) سورة الانعام ٤٧.

(٢) سورة يونس ٢٤.

وفق قاعدة القرآن يفسر بعضه بعضاً قوله تعالى ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾[1]، هذه الآية التي يتعلق موضوعها باجلاء بني النضير لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين.

التاسعة : أمهال الناس ليوم القيامة وهو قريب وحتمي ، قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[2].

العاشرة : قال الرازي: (وكان بعض الاذكياء من اصحابنا يقول: الشمس والقمر لا عيب فيهما يمنع من القول بالهيتهما سوى انهما جسم يجوز عليه الغيبة والحضور، فمن جوز المجئ والذهاب على الله فلم لا يحكم بإلهية الشمس)[3].

وصحيح ان الكلام من الجدل وصرف المجسمة عما يدعون إلا أن الإلوهية لا تنحصر بعدم الجسمية، فالله عز وجل هو الخالق القديم غير المحتاج ، القادر على كل شئ وهو العليم السميع البصير، والاشياء كلها حاضرة عنده، ولو لم تكن مسألة الجسمية دلالة لاثبات الممكن والتفريق بينه وبين واجب الوجود لجعل الله عز وجل اسباباً اخرى ظاهرة تثبت عدم إلوهية الشمس والقمر، بل هو أمر وارد في القرآن وظاهر للعيان والوجدان ومنه ما تراه من النقص والأفول الذين يطرأن على الشمس والقمر كل يوم وعدم اهليتها للتعبير ولبقائها على وظيفة راتبة وحاجتها الى المحل.

الحادي عشرة : يجب ان لا يقف التفسير عند مسألة نفي المجئ الحقيقي ولزوم تأويله بل يجب تدبر المضامين السامية في هذه الآية، ومنها

---

(١) سورة الحشر ٢.

(٢) سورة المعارج ٦ – ٧.

(٣) مفاتيح الغيب ٢١٢/٥.

انها غاية الوعيد وان المكذبين والجاحدين عرضة للانتقام الالهي في أي وقت، ويمكن القول بان في الآية حذفا ومنه بالنسبة للقوم الفاسقين أي (عذاب الله)، والحذف للتخويف وتهويل الامر وبيان ستره، ودعوة لهم للاستدراك والانابة.

الثاني عشرة :ان حال الوعيد لن تستمر بل تنتهي بالعذاب ولا تنفعهم حينئذ الانابة واعلان التوبة

تفسير قوله تعالى ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ وفيه مسائل :

الأولى : جاءت الآية بصيغة الجمع في ظلل ليكون التظليل اعم واكثر وقعا .

الثانية : الظلل نوع انذار آني ومصاحب للعذاب او مقدمة له ينفي المباغتة والمفاجأة.

الثالثة : الغمام مظنة الرحمة فقد يفرح الكافرون والجاحدون به ولا يعلمون ان فيه عذابهم وهلاكهم.

الرابعة : ﴿ ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ كناية واستعارة، والمراد عظيم الآيات والدلالات الباهرات التي تظهر لكل انسان، وعندها يعجل العذاب لمن لا يؤمن ويصر على الضلالة.

الخامسة : ورد لفظ الغمام اربع مرات في القرآن، اثنتين منها تتعلق بالنعم التي انعم الله بها على بني اسرائيل ، قال تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾[1].

والثالثة تتعلق بيوم القيامة ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا

---

(1) سورة البقرة ٥٧.

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾[1]، وبما ان الآية محل البحث جاءت لتوبيخ الكافرين فانها أعم من ان تصرف الى يوم القيامة، وهناك فترة وزمان بين موت موسى وقيام يوم القيامة، وظاهر لفظ الانتظار انه في الحياة الدنيا، والحق انه ليس من فترة وفاصل زماني، فبالموت تقوم قيامة الانسان لأنه ينتقل إلى عالم الحساب بلا عمل.

تفسير قوله تعالى ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ وفيه مسائل :

الأولى : تنزل الملائكة بالرحمة او العذاب او بهما معا، الرحمة للمؤمنين والعذاب للكافرين.

الثانية : ان امر الله عز وجل بمجيء الملائكة، فهم الذين يقومون بالتنفيذ والبطش بالكافرين.

الثالثة : ان تصور مجئ الملائكة في النفس الفرح والخوف ويجعل الانسان يتدبر الامر، فكيف وهي تأتي بالعذاب ولا يستطيع الناس وان اجتمعوا ان يدفعوا عذاب الملائكة.

الرابعة : الوجود الذهني لحال الملائكة ومجيؤهم سبب ودعوة للايمان، وفيه شفاء لصدور المؤمنين ويجعلهم يفرحون بما رزقهم الله من الهداية وهذا الفرح في الدنيا وفي الآخرة وعن محمد بن علي قال (كنا عند علي عليه السلام ، فسأله رجل عن المهدي ، فقال علي عليه السلام : هيهات ، ثم عقد بيده سبعا ، فقال : ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل : الله الله قتل .

فيجمع الله تعالى له قوما قزعا كقزع السحاب ، يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد ، ولا يفرحون بأحد ، يدخل فيهم على

---

[1] سورة الفرقان ٢٥ -٢٦.

عدة أصحاب بدر ، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، قال أبو الطفيل : قال ابن الحنفية : أتريده ؟ قلت : نعم ، قال : إنه يخرج من بين هذين الخشبتين ، قلت : لا جرم والله لا أريهما حتى أموت ، فمات بها يعني مكة حرسها الله) [١].

الخامسة :الآية الكريمة تقرب الى الناس جميعاً مفاهيم سوء عاقبة الكافرين وما يلحقهم من الذل والمهانة وكأنها واقعة.

السادسة : تجعل الآية عذاب يوم القيامة وكأنه واقع، وتحمل الانسان على استحضار هيئة الملائكة وهي تأتي بالعذاب والشدة والبطش للكافرين والجاحدين والمعاندين.

السابعة : الآية إخبار عن حقيقة واقعة أي انها ليست وعيدا محضاً، انما هي بيان لحقيقة اخروية واقعة ويمكن ان نستقرأ قاعدة كلامية من هذه الآية وهي ان كل اخبار في القران له دلالات ومضامين ومقاصد سامية وتتفرع عنه عدة دراسات ويكون موضوعاً للاستنباط والقراءة العقائدية.

الثامنة : ان الملائكة الذين سجدوا لادم مستعدون للمجئ بالعذاب للذين كفروا من ذريته، وكأن الشكر من الناس على سجودهم لآدم هو عبادته تعالى، والإيمان بالرسالات السماوية ومع جحود الانسان فانهم يتولون عذابه وكأنه هو الذي اختار العذاب الأخروي.

التاسعة : قد يكون المراد ايضا نزول الملائكة يوم بدر لنصرة المسلمين ،وفي ليلة معركة بدر (قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بنى سلمة، أنهم ذكروا أن الحباب ابن منذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل،

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٩/٢٠ .

أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة.

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لقد أشرت بالرأى ".

قال الاموى: حدثنا أبى، قال: وزعم الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الاقباص وجبريل عن يمينه إذا أتاه ملك من الملائكة فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

" هو السلام ومنه السلام وإليه السلام " فقال الملك: إن الله يقول لك: إن الامر الذى أمرك به الحباب بن المنذر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبريل هل تعرف هذا ؟ فقال: ما كل أهل السماء أعرف، وإنه لصادق وما هو بشيطان.

فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما اشار به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الملك: يا محمد، ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الرأى ما أشار به الحباب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبريل فقال: ليس كل الملائكة أعرفهم، وإنه ملك

وليس بشيطان.)[١].

تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾وفيه مسائل :

الأولى : وقع العذاب والبطش بالكافرين وإنغلاق ابواب التوبة عليهم

الثانية: تحذر الآية من حلول وقت لا تنفع فيه الندامة.

الثالثة : إلانذار والوعيد ينتهيان بحصول العقاب عند استحقاقه لان الله عز وجل اصدق القائلين وقد أخبر سبحانه عن إستدامة العذاب للكافرين.

الرابعة : الاخبار عن الفراغ من الامر ونزول الملائكة لعذاب الكافرين مدرسة في التخويف والنصيحة والموعظة وقيام الحجة.

الخامسة : تخبر الآية عن قطع مدة الإنذار والوعيد بنزول العذاب، وهي في مفهومها تدل على إستثماره مدة الحياة الدنيا للتوبة والإنابة.

السادسة : الآية مناسبة للدعاء وطلب المؤمنين الرحمة والعفو والنجاة من العذاب.

السابعة :الأمر له معنيان:

الأول: الطلب من العالي الى الداني ويجمع على أوامر.

الثاني: الشأن والواقعة ويأتي الأمر بهذا المعنى في القرآن متعلقاً بحادثة او واقعة معينة او جماعة او أمة مخصوصة ويجمع على أمور وفي سورة يوسف ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[٢] ولكنه جاء هنا يحمل أمر التبليغ والإنذار وأقامة الحجة وإنتهاء الوعيد بالخاتمة الحتمية،

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٤٠٣.

(٢) سورة يوسف ٤١.

والقرآن يفسر بعضه بعضاً، قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾[1] .

وعن الإمام الباقر عليه السلام إن معنى قوله تعالى ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ هو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ وفيه مسائل :

الأولى : تدل الآية على الإطلاق في رجوع الأمور إلى الله تعالى ابتداء وإستدامة وإنتهاء، لأنه تعالى خالق كل شيء ولم يترك مخلوقاته وشأنها، فبيده أمرها وبقاؤها وكيفياتها وما يجري عليها من التغيير والزيادة او النقصان.

الثانية : تبين الآية إستغناء الله سبحانه عن الخلق ، وان الإمهال وبعث الأنبياء وانزال الكتب وتعدد صيغ الوعيد ودعوة الناس لعبادته تعالى ليس عن حاجة منه ، فمن صفاته تعالى الغنى المطلق والمستديم، ولكنها اسباب النزول ورحمة وحكمة الله تعالى بالخلائق ، فقوله تعالى ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ان كل شيء بيده سبحانه وهو ﴿غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾[2].

الثالثة : لو شاء الله تعالى لهدى الناس ولتعقب الوعيد توجه الكافرين الى سبل الهداية وخفف عن المؤمنين.

الرابعة : ان شؤون الدنيا وأحوال الناس فيها من بديع حكمة الله تعالى، وإرادته في الخلق.

---

(1) سورة الانعام ٨.

(2) سورة آل عمران ٩٧.

الخامسة : الملك يوم القيامة يكون جميعه لله تعالى ولا أحد يومئذ يملك شيئاً ، ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَانِ﴾ [1].

السادسة :الآية جزء من الوعيد وهي دعوة للإستعداد الى اليوم الذي ليس فيه مالك الا الله عز وجل وان الموازين عنده على الأعمال ، والموازين بيد الله في الدنيا والآخرة .

وورد (عن النّواس بين سمعان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الميزان بيد الرحمن ، يرفع أقواماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة ، وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن . إذا شاء أقامه ، وإذا شاء أزاغه ، وكان يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) [2].

السابعة : الآية قاعدة كلية وردت في القرآن ست مرات تدل على عظيم ملكه وسلطانه وقدرته تعالى ، وتحث الناس في ساعات الليل والنهار وفي كل يوم على الدخول في الإسلام واتباع احكام القرآن واللجوء إلى الله تعالى ورجاء رحمته ، والسياحة في عالم العبادات للإرتقاء في منازل المعرفة الإلهية، واتخاذه وسيلة للعبور على الصراط ونيل المراتب العالية في منازل الفخر والعز والخلود يوم القيامة ، وهو من مصاديق تلاوة كل مسلم ومسلمة قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [3] عدة مرات في اليوم .

كما تقطع الآية أمل غير المؤمنين، وهي انذار ووعيد وتخويف ، لقد جعل الله عز وجل مضمون هذه الآية ظاهراً للعقول يدركها كل من تأمل وأبصر خصوصاً وأن الشواهد والآيات ظاهرة للعيان.

---

(1) سورة الفرقان ٢٦.

(2) الدر المنثور ٢/٢٨٧.

(3) سورة الفاتحة ٦.

بحث روائي

(أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي) [1].

(عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً بالملائكة ، وذلك قوله { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام })[2].

(عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم، وفيه: "أنّ الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدًا واحدًا، من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد، صلوات الله وسلامه عليه .

فإذا جاؤوا إليه قال: أنا لها، أنا لها. فيذهب فيسجد لله تحت العرش، ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد، فيُشفّعه الله .

ويأتي في ظُلَل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا، وينزل من فيها من الملائكة، ثم الثانية، ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكَرُوبيّون .

قال: وينزل الجبار، عز وجل، في ظُلَل من الغمام والملائكةُ، ولهم زَجَل مِنْ تسبيحهم يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان رب العرش ذي الجبروت سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت

---

(١) الدر المنثور ٤٨٤/١.

(٢) الدر المنثور ٤٨٤/١.

الخلائق ولا يموت، سُبّوح قدوس، رب الملائكة والروح، قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذي السلطان والعظمة، سبحانه أبدًا أبدًا")[1].

عن علي بن الحسن بن فضال قال سئلت الرضا علي بن موسى عليه السلام، عن قول الله عز وجل ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ قال يقول "هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام" وهكذا نزلت وعن قول الله عز وجل ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[2] فقال ان الله عز وجل لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الإنتقال وانما يعني بذلك "وجاء امر ربك والملك صفا صفا".

بالإسناد عن الإمام الباقر عليه السلام يقول ابتداء منه: (ان الله اذا بدا له ان يبين خلقه ويجمعهم لما لابد منه امر منادياً ينادى فليجتمع الإنس والجن في اسرع من طرفة العين، ثم اذن لسماء الدنيا فتنزل وكان من وراء الناس .

واذن للسماء الثانية فتنزل ، وهي ضعف التي تليها فاذا رآها اهل السماء الدنيا قالوا جاء ربنا قالوا الا وهو آت يعني امره حتى تنزل كل سماء يكون كل واحدة منها من وراء الأخرى وهي ضعف التي تليها، ثم ينزل امر الله ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

(1) تفسير ابن كثير ١/٥٦٧.

(2) سورة الفجر ٢٢.

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٤٣	من غايات الآية
٧	قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾	٤٤	تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾
٧	الإعراب واللغة	٥٥	تفسير قوله تعالى ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾
٨	في سياق الآيات	٥٨	تفسير قوله تعالى ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾
٣٠	إعجاز الآية	٦٢	قاعدة كلية
٣٣	الآية سلاح	٦٣	تفسير قوله تعالى ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾
٣٤	مفهوم الآية	٦٦	قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾
٣٦	الآية لطف	٦٦	الإعراب واللغة
٣٩	إفاضات الآية	٦٧	في سياق الآيات
٤١	الصلة بين أول وآخر الآية	٩١	إعجاز الآية

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٩٣	الآية سلاح	١٢٠	تفسير قوله تعالى﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾
٩٥	أسباب النزول	١٢٣	قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
٩٨	مفهوم الآية	١٢٣	القراءة
٩٩	إفاضات الآية	١٢٣	الإعراب واللغة
١٠٢	الآية لطف	١٢٥	في سياق الآيات
١٠٤	الصلة بين أول وآخر الآية	١٥٥	الصلة بين خاتمتي الآيتين
١١١	من غايات الآية	١٥٧	إعجاز الآية
١١٣	تفسير قوله تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾	١٥٩	الآية سلاح
١١٧	تفسير قوله تعالى﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾	١٦٢	قاعدة كلية
١١٩	بحث بلاغي	١٦٣	مفهوم الآية

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٦٧	الآية لطف	١٩٠	قوله تعالى ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
١٦٩	إفاضات الآية	١٩٠	الإعراب واللغة
١٧٠	من غايات الآية	١٩١	في سياق الآيات
١٧٢	الصلة بين أول وآخر الآية	١٩٦	إعجاز الآية
١٧٤	تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	١٩٧	الآية سلاح
١٧٥	تفسير قوله تعالى ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾	١٩٩	أسباب النزول
١٨١	تفسير قوله تعالى ﴿كَافَّةً﴾	١٩٩	مفهوم الآية
١٨٣	تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	٢٠٠	الصلة بين أول وآخر الآية

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٣	من غايات الآية	٢٥١	إعجاز الآية
٢٠٥	تفسيرقوله تعالى ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾	٢٥٢	الآية سلاح
٢٠٦	بحث بلاغي	٢٥٣	مفهوم الآية
٢٠٧	تفسيرقوله تعالى ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	٢٥٤	إفاضات الآية
٢٠٩	تفسيرقوله تعالى ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٥٦	الآية لطف
٢١٢	قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	٢٥٨	الصلة بين أول وآخر الآية
٢١٢	الإعراب واللغة	٢٦١	من غايات الآية
٢١٣	في سياق الآيات	٢٦٣	تفسيرقوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ﴾

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٦٦	تفسيرقوله تعالى ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾	٢٧١	تفسيرقوله تعالى ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾
٢٦٧	تفسيرقوله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾	٢٧٣	بحث روائي
٢٧٠	تفسيرقوله تعالى ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	٢٧٥	الفهرس